الملا آقا الدربندي

وتدوين المقتل

الرؤى والحداثة والأسانيد

تأليف

رسول جعفريان

تعريب

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

إصدارات العتبة ١١٤٥

إصدارات المركز ٢١٠

الملا آقا الدربندي
وتدوين المقتل

الرؤى والحداثة والأسانيد

الملا آقا الدربندي وتدوين المقتل

الرؤى والحدائة والأسانيد

تأليف
رسول جعفريان

تعريب
مركز كربلاء للدراسات والبحوث

BP80.D2886 J34 2023

جعفريان، رسول، ١٣٤٣ للهجرة- - مؤلف.

الملا آقا الدربندي وتدوين المقتل الرؤى، والحداثة، والأسانيد / رسول جعفريان ؛ ترجمة ماجد الخاقاني. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٣.

١٤٣ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١١٤٥)، (مركز كربلاء للدراسات والبحوث ؛ ٢١٠)

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٣٣-١٤٠).

١. الدربندي، آقا بن عابد، توفي ١٢٨٥ للهجرة ٢. الحسين الشهيد، الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الثالث، ٦١-٤ للهجرة -- مقتل أ. الخاقاني، ماجد -- مترجم. ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

info@c-karbala.com
karbala.center1@gmail.com
karbala.center1@yahoo.com

www.c-karbala.com
00964 7719491210
00964 7815046337

كل الحقوق محفوظة

١٦٨١/ ٩٢٢

ج ٦٧٤ جعفريان، رسول.

الملا أقا الدربندي وتدوين المقتل الرؤى، والحداثة، والاسانيد/ رسول جعفريان. - ط١-

كربلاء: مركز كربلاء للدراسات والبحوث ، ٢٠٢٣.

١٦٣ ص؛ ٢٤سم.

١. الشيعة - تراجم ٢. الدربندي، الملا آقا (رجل دين شيعي فارسي. أ. العنوان

م. و.

٢٠٢٢

المكتبة الوطنية/ الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٤٨٨) لسنة ٢٠٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه وأمينه وصفيه وخيرته من الخلق محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين لاسيما خاتمهم الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، واللعن الدائم على أعدائهم ومخالفيهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

زخرت المدرسة العلمية في كربلاء بعلماء أضحوا علامات فارقة في تاريخ هذه المدينة المقدسة، وليس من شك ان ذلك يعدُّ دلالة على مكانة هذه المدرسة وأهميتها وسعتها إذ برع أساطينها في مختلف العلوم وشتى الاختصاصات.

ومن هؤلاء العلماء برز الشيخ الملا آقا الفاضل الدربندي عالماً اقتحم أبواب الفقه والأصول دراسة وتدريساً، وتأليفاً لبعض الكتب في هذا المجال، لكن انتقاله من الإختصاص بالعلوم التقليدية الى الاقتصار على القضية الحسينية والمقتل وما طرح فيها من آراء وأفكار جعله يستقطب اهتمام من نظر في شخصيته وآرائه، ومنها قوله البيِّن الجلي: «لا يجوز نقل الأُمور التي لا أصل لها في الآثار والأخبار وكتب العلماء وأهل التواريخ والآداب والسير ـ من الخاصّة أو العامّة ـ في مجالس عزاء سيّد الشهداء، ومآدب مصائب آل محمّد، طمعاً في كثرة بكاء الناس وشدّة نوحهم وضجّتهم وصيحتهم، فكيف لا؟! فإن ذلك في الحقيقة من قبيل إحباط الحسنات بالسيّئات، فإنّ إبكاء أحد الناس على سيّد الشهداء وعترته وأصحابه المظلومين من أفضل العبادات وأقرب الطاعات وأعظم

القربات، فكيف يُجوّز العاقل أو يرضى بأن يُخرّب بنيان ذلك بتعمّد الكذب والافتراء، ووضع الأحاديث من عند نفسه، أو بتعمّد نقل ما هو يعلم كذبه ووضعه».

والكتاب الذي بين يديك - أيها القاريء الكريم- إطلالة على سيرة حياة هذا العالم الذي توطن في كربلاء سنينَ من عمره، وترك أثراً في تاريخها من خلال ما تناوله وأدلى به في القضية الحسينية، وبما قدمه لخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبما أن مركز كربلاء للدراسات والبحوث قد أخذ على عاتقه مهمة التقصي والتحري عن كل ما يتعلق بكربلاء وتاريخها وتراثها، لا سيما علماءها وآثارهم، فقد انبرى لترجمة هذا الكتاب ووضعه بين أيدي القراء الكرام ليكون محطة فائدة ومنفعة للباحثين والمحققين ومصدر معلومات لكل من يتوق لها، وإن المركز إذ يقدم هذا الكتاب فهو ليس في موقع تبني آراء الشيخ الدربندي أو نقضها بل هو مجرد نتاج علم لإثراء المكتبة ويبقى التقييم للقاريء اللبيب، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل البحث

القرن الثالث عشر هو قرن ولادة الأفكار الحديثة في إيران الشيعية، ولادة بطرز شتى تستخدم في انتاج مدارس جديدة ويمكن تعرف النصوص المنتجة من خلال البحث الدقيق. يأتي بعض تلك التطورات في سياق العرف الاجتهادي العتيد في التشيع في تجديد الدين خلال مسيرة التاريخ، وفي مقدمة هذه التطورات في هذا القرن ما قدّمه الوحيد البهبهاني، الذي سعى إلى تمهيد الطريق للتغيير في المذهب الشيعي من خلال خلق ثورة حديثة. أما القسم الآخر من هذه الأحداث، فتنطوي على حالات إبداع وابتكار جديدة وهي بحكم أفكارٍ جديدة تعمل على خلق بناء جديد من الدين والمذهب.

إن أشخاصًا من هذا القبيل موجودون في هذا القرن بإيران والعراق وربما بالهند هم أكثر شبهًا بشخصيات ترى رسالتها في الكشف عن الآراء والأفكار الجديدة من أعماق النصوص مع زيادات عليها، ويتقدمون باختراع فرقة أو نحلة صغيرة وحتى إلى الادعاء بامتلاكهم دينًا جديدًا ومستحدثًا. ليس معنى هذه العبارة ان هذه الطريقة بالحداثة ليست مسبوقة بوصفها آيديولوجيا خاصة تتلاءم مع البيئة السياسية للمجتمع فقد اتفق وجود نماذج مثلها من قبيل الحروفية والنقطوية في القرون السابقة، ولكن على أي حال، برزت في القرن الثالث عشر الهجري على نحو صريح ظاهرة معينة تنسجم مع الأفكار الحاكمة في النجف، أو طهران، أو بعض المدن الأخرى، وكذلك إثر حروب إيران والروس، التي كان لها تأثير مهم في الإيرانيين معنويًا ونفسيًا ناهيك عنها اقتصاديًا واجتماعيًا، من هذا القبيل شخصيات مثل الشيخ أحمد الأحسائي (١٢٤٣م)، والميرزا محمد الأخباري (١٢٣٢م)، والسيد كاظم الرشتي (١٢٥٩م)، والسيد علي محمد

باب (١٢٦٦م)، والحاج محمد كريم خان كرماني (١٢٨٨م) وأشخاص من قبيل الملا آقا الدربندي . وعدة من أشخاص من آل البرغاني والنراقي، وكذلك علماء في تبريز هم في عداد الذين كان لهم دور في المؤلفات المدونة على وفق طبائع معينة، ولعل هذا البحث جدير بالتفصيل أكثر، ولكن الغرض هو كتابة سطورٍ للولوج في موضوع الملا آقا الدربندي، فنكتفي بهذا المقدار.

على العكس من التصور الموجود في المحافل الإعلامية الدينية بإيران خلال العقود الأخيرة عن الملا آقا الدربندي والناجم على الأغلب عن الموضوعات التي نقلها بشأنه الميرزا حسين النوري في اللؤلؤ والمرجان ثم نقلها عنه الشيخ المطهري، فإن هذا الرجل من الشخصيات البارزة، وكان مقتدرًا في تأسيس مباني فكرية حديثة في القرن الثالث عشر وفي مقدمة ذلك أنه نهض بدوره منتهلًا من بحر الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء.

من الواضح إننا لسنا بصدد الحكم بصحة أفكاره أو سقمها، وإنما نبحث في الأغلب في مستوى تأثيره في الرأي العام الشيعي في إطار عالمٍ مختلفٍ، يحمل رسالة نبوية ليحول عاشوراء إلى مشروع عظيم ومختلف.

حري بالانتباه أن الأفكار الشيعية الحديثة التي ظهرت في القرن الثالث عشر منوطة بقدرتها على أن تكون مصدر تغيير فكري، بل حتى سياسي في المجتمع الإيراني الذي كان يدور في فلك أفكاره الموروثة، وما وقف بوجه ذلك ومنع من حدوثه حتى جرَّ البابوية والبهائية نحو مسار آخر، هو ظهور تجديد، قد سد الطريق أمام تسلل تلك الأفكار، بل حتى أن أفكارًا كالبابية والبهائية، وهي أفكار ناشئة وتحمل نتاجات القرن الثالث عشر، من قبيل نظريات الأحسائي، والميرزا محمد الأخباري، والسيد كاظم الرشتي، قد ساقها مرغمة إلى أن تتغير من صورتها التقليدية إلى التجدد، في حين أن الكثير من هؤلاء الأشخاص والتيارات التي صنعتهم قد خرجوا هم ومؤلفاتهم عن فلك الفكر في إيران في صراعهم مع الحداثة التي شهدها العصر القاجاري الأخير، ومن بعده العهد

البهلوي، وإن كان لا يمكن القول: إن هذه الأفكار قد زالت من الوجود ولم يعد لها مقومات الحياة بين أوساط العامة من الناس .

الأمر المهم هنا هو أن مزية الكثير من الأفكار التي صنعت هذه التيارات في القرن الثالث عشر خاصّة، هي التأكيد على أهمية الولاية، وعلى نافذة عاشوراء وواقعة كربلاء، كما في مورد الملا آقا الدربندي الذي يتحدث عنه هذا الكتاب. إنّ أهمية هذه القضية للمجتمع الإيراني، الذي تم العمل على أفكاره الشيعية منذ بداية العصر الصفوي، وأصبحت دائرة نفوذ عاشوراء ومحرم معروفة أكثر فأكثر، هي في محورية الولاية وعاشوراء والتأليف بشأنها، وكان أمرًا طبيعيًا في المجتمع الإيراني الذي ابتعد عن سائر بقاع العالم الإسلامي خلال قرنين أو ثلاثة. كان المهم أن الشخصيات التي تلج هذه الموضوعات، وتبادر لتأليف الكتب، تكون قادرة على استخراج فلسفة من أعماقها، وتخلق نظريات حديثة تمتاز بالجاذبية والسليقة التي تلائم المشاعر الدينية للمجتمع.

كانت تشاهد في تلك البرهة كتابة شروح متعددة على زيارة الجامعة، وكذلك التطرق المسهب لموضوعات تتعلق بعاشوراء على وفق توجهات جديدة تحت عنوان (الأسرار) وغير ذلك، وقد سبق أن أوضحت في بحث آخر، الأفكار المغالية التي ظهرت في تبريز في القرن الثالث عشر، وبعض التيارات الفكرية، أما هذا الكتاب فسينحصر بالملا آقا الدربندي.

رسول جعفريان

١٣٩٨/١٠/١

سيرة الملا آقا الدربندي

ولد الملا آقا الدربندي عام ١٢٠٨هـ وتوفي ١٢٨٥ أو ١٢٨٦ (يُنظر: ريحانة الأدب ٢/ ٢١٧) وتضع مصادر الترجمة هاتين السنتين، فقد كتب في نسخة نفيسة جدًا تاريخًا دقيقًا لوفاته كما يلي: يوم الجمعة ٢٠ شهر رجب ١٢٨٥ (يُنظر: مكارم الآثار :٨/ ٢٧٧٩) واعتقد بوجوب تقبل هذا التاريخ.

يعرّف الملا نفسه (خادم العلوم) آقاى دربندي (سعادات ناصرى ص٥٢) وأكثر دقة (هذا الأحقر خادم العلوم) آقا بن عابد بن رمضان بن الزاهد الشيرواني الدربندي. ومعروفٌ في المصادر أيضًا بـ (الفاضل الدربندي).

يرى غوبينيو في (المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى ص٩١) المعاصر له، أنه من طائفة لزكي وهو طالب من دربند وينتمي إلى دربند شيروان في القفقاز (وليست دربند طهران كما تصور مؤلف فهرس التراث ٢/ ١٦٦)، وما كتبه عن نسبه إلى دربند أو باب الأبواب مشيرًا إلى الملا آغا، وأنها شيروان وليست شروان، فإن هذا صحيح البتة (يُنظر: راهنماي دانشوران :١/ ٢٧١ «برقعي، قم،١٣٨٤»).

لا نعلم شيئًا عن حياته الشخصية، وعن والديه بل حتى أبنائه. في سرده لما تبع هجوم نجيب باشا على كربلاء ذكر أباه وزوجته اللذين لاذا بالعتبة العباسية، مما يدل على أن أباه كان معه في هذه المدينة، ذكر الملا محمد تقي الإيرواني أبا زوجته في موضع من كتاب (إكسير العبادات ١/ ٦٢٦). في مصدر (مفاخر آذربايجان ٢/ ٢٨٠٣ الهامش). وذكر فائق الدربندي بأنه أحد احفاده وهو مترجم مختصر تفسير الأمثل، وهو نفسه قد ذكر في مورد «زوجته الصالحة المرحومة » (سعادات ناصرى، ص٩٠).

وورد في سيرته أنه شارك في حروب إيران وروسيا، وقيل: إنه جاء برفقة السيد محمد المجاهد سنة ١٢٤٣ هـ للقتال مع إيران، وعاد إلى العراق مرافقًا جنازته التي جيء بها إلى كربلاء ودفنت فيها [مقدمة «المنتقى النفيس من درر القواميس، محمد رضا الجلالي، منشور في مجلة تراثنا، السنة السادسة (١٤١١هـ) العدد الثالث، ص ١٥٨" نقلًا عن «كربلاء في حاضرها وماضيها، مخطوط، دون ذكر الصفحة»].

وكتبوا أن الملا آقا الدربندي بدأ دراسته في قزوين إلى جانب البرغانيين، ثم انتقل إلى كربلاء وذهب مدة من الزمن إلى النجف ثم عاد إلى كربلاء وأصبح فيها من العلماء والفضلاء المشهورين. وأثناء الأزمات التي حدثت في كربلاء نتيجة وجود الشيخية وأمور أخرى، وبعد صدام الشيخية معه وهجومهم عليه، غادر إلى إيران وقضى ما تبقى من عمره في طهران، فكان عالمًا مجللًا فيها، ويتردد على البلاط وعلى شخص الملك، وألَّف عددًا من كتبه في هذه المدينة. ويُفترَض أنه أمضى السنوات ما بين ١٢٥٨-١٢٨٥ في طهران، وإن كان قد ذهب إلى مدن أخرى في غضون هذه المدة.

يقول في خاتمة (خزائن الأصول) الذي كتبه ببركة الإمام الحسين عليه السلام: «ببركات صاحب هذه القبة الشريفة ريحانة رسول الله» ذاكرًا أن ١٢٦٧ هي سنة التأليف. وهذا يدل على أنه بعد مجيئه إلى طهران سنة ١٢٥٨ قد أمضى مدة في كربلاء مرة أخرى.

كانت بدايات دراسته في قزوين إلى جانب آل البرغاني خاصة على الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري (ت ١٢٧١)؛ أما دراسته العليا فقد أمضاها في كربلاء. فقد درس علم الأصول عند شريف العلماء (الشيخ محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري :ت ١٢٤٥هـ) ودرس الفقه عند الشيخ علي كاشف الغطاء (مع علماء النجف،١/ ٤٦٧" بيروت، دار الثقلين،١٤٢٠هـ «تنقيح المقال: مقدمة الجزء الأول، الهامش، ص٢٢)، وفي أحد المواضع يثني على الوحيد البهبهاني بأن جميع طلابه قد بلغوا الاجتهاد، ويفاخر بأن علمه يصل إلى الوحيد البهبهاني عن طريق التتلمذ على شريف العلماء، وهو تلميذ

صاحب الرياض، أو كما يقول هو» السيد علي الحائري صاحب الرياض في الفقه) ابن اخت آغا باقر البهبهاني وصهره (إكسير العبادات ١/ ١٩٥).

كانت هذه المدة زمن ظهور شخصيات بارزة أهمها: صاحب الجواهر، والشيخ الأنصاري، وبوصف الفاضل الدربندي زميل درس الشيخ، فقد سعى أن يكون في مصاف أعلام الفضلاء في الفقه والأصول، وبناء على ذلك، قام بتأليف كتابي: خزائن الأحكام، وخزائن الأصول، وكالمعتاد يفترض أن يكون درس سائر العلوم الحوزوية على هذا المنوال. سوف نرى أن الذين ترجموا له مثل آقا بزرك الطهراني والسيد محسن الأمين [أعيان الشيعة:٩/ ٣٦٤] قد وضعوه في عداد أعلام ذلك الزمان من قبيل سعيد العلماء المازندراني، والسيد شفيع جابلقي، والشيخ الأنصاري، بل حتى صاحب الجواهر [الكرام البررة، ص ٩٩؛ الفوائد الرضوية،٢/ ٨٤٢].

يمكن القول: إن هذه عموميات حوله، أما المصادر المعاصرة له، وتلك التي أُلفت بعده بقليل، فقد وردت فيها معلومات قيّمة سنقرؤها بنصوصها، أو بشرح بعض الملاحظات. وفي البداية نقرأ ما كتبه غوبينو المعاصر له، وترجمته المطولة التي كتبها عنه، ثم نتطرق إلى سائر المصادر.

غوبينو ومعلومات جديدة عن حياة الملا آقا الدربندي في طهران

أمضى آرتو دو غوبينو (١٨١٦-١٨٨٢) مدة (١٨٥٥-١٨٥٨م/ ١٢٧١-١٢٧٤هـ) في طهران، وقدم شرحًا عن عدد من علماء طهران وقتذاك، منهم الملا آقا الدربندي. من خلال اهتمام غوبينو به يتضح أن الملا آقا الدربندي كان وقتذاك، يتمتع بشهرة في طهران، وأن غوبينو قد ذكره عند ذكره لعلماء طهران في حينها.

يصف غوبينو شخصية الملا آقا الدربندي على نحو مدهش، ويتحدث عن أمور شخصية عجيبة لديه، وعن نهجه الفكري، وعلاقاته بالبلاط:

وأخيرًا انجبت مدرسة النجف نموذجًا من الحكماء الإلهيين يمتاز بالاندفاع والإقدام، وقدمته إلى عالم التشيع، وهذا النموذج عُرف بأنه أمضى، ويمضي حياة، ملؤها الاضطراب والأحداث، وطراز حديثه وتعاليمه، لا تتلاءم وتتناسب، كما ينبغي، مع طبائع العامة وأذواقها. يُعرف هذا المجتهد المثير للجدل والمفعم بالحيوية بالملا آقا الدربندي [في الأصل: الأزميري!] وهو في أصله من طائفة لزكي، ومولود في مدينة دربند بالقوقاز، وهي إحدى المدن الساحلية على بحر الخزر، ورغم دراسته وبلوغه درجة الاجتهاد، فإنه لم يفقد مزاياه العنصرية، ويشبه في تصرفاته رجلًا مقاتلًا مقدامًا. يأتي الدرس في الحوزة، ويرتقي المنبر متقلدًا سيفه، تبدو فظاظته وسوء مزاجه من حاجبيه المقطبين، ومحياه العبوس، ورغم ذلك يحضر درسه الكثير من الطلبة، لما يتمتع به من معلومات عميقة، وكثيرًا ما يميل إلى بحث المسائل الدقيقة والمعقدة، فينقلون أنه إذا لم يعترض عليه أحد، وأنصت المستمعون لما يلقي كما يرغب ويريد، فأنه يسترسل في تفصيل أفكاره بكلام بليغ، ويورد مطالب نافعة جديرة بالقبول. أما إذا أشكلوا عليه، ولو كان ذلك جزئيًا، فسرعان ما يختل توازنه، وإذا ما كان هنالك حاضرٌ لا يستمع لكلامه، يغضب عليه، والأدهى من ذلك كله أنه إذا ما ألفى طلابه لم يفهموا كلامه، تنشب في داخله ثورة، ويوجه لهم نظرة ملؤها الغضب، ويخاطبهم بألفاظ فظة ومهينة، وربما نزل من المنبر

وهو في حال الغضب مجرَّدًا سيفه من غمده، مهاجمًا قطيعه -أي طلابه - متسببًا بحدوث فوضى بحيث يهرب الطلاب من الحوزة وهم يصرخون، ولاسيما عند النقاشات والمنازعات التي تكون خلافًا لأصول الدين، فهو يثور بقوة، ويتوسل بالسلاح، ونتيجة لعصبيته تتولد في جسمه حرارة، وحيث تعجز أدلته وبراهينه عن التأثير في المستمعين، فإن الغضب والسخط يستولي عليه، ولا يأتي بدليل مقنع غير السيف، وما أكثر أن واجه في خصوماته وشجاراته خصماء أقوياء، فيغادر حوزة الدرس، وقد شُجَّ وجهه والدماء تسيل منه. لم تخلق هذه الحوادث تغييرًا في أوضاع هذا المجتهد الذي ينتسب إلى طائفة (لُزكي) أبدًا، ولم تلقنه درسًا ببرود الأعصاب والمرونة. قبل مدة حلَّ الملا آقا في طهران [غوبينيو ١٢٧١-١٢٧٤هـ في طهران] ونظرًا لما يتمتع به من شهرة، فقد تنازع الأعيان والأشراف على ضيافته، فكلٌ منهم يرغب أن يأخذه إلى داره، وبالنتيجة فقد ظفر به معير الممالك الخازن العام من دون الجميع، واصطحبه إلى داره.

أورد غوبينيو تفصيلًا لوضعه المادي وممتلكاته وشغفه بجمع الورود وغير ذلك من الأشياء، ويتابع عن إقامة الملا آقا الدربندي في بيته قائلًا:

منذ اليوم الأول لإقامة الملا آقا الدربندي في داره، كان واضحًا من سيمائه، استحالة بقائه طويلًا في هذه الدار بسبب حدة أخلاقه. على أية حال، بمجرد وصوله خصص له دار في مبنى فخم من ثلاثة طوابق وتم توفير مستلزمات الراحة له من جميع الجوانب، وبتوجيه من صاحب الدار جاء له بالشاي خدام يمتازون بالجمال، فوقع نظر الملا آقا على السماور وملحقاته المصنوعة من الفضة، وبطبيعة الحال ان المسلم الصادق يُفتَرَضُ به النأي عن مثل هذه الكماليات، من هنا فقد احتج الملا آقا على معير الممالك لإحضاره هذه المستلزمات المصنوعة من الفضة، فرد معير الممالك منفعلًا: ان هذه المستلزمات ليست من خالص الفضة وانما مطلية بماء الفضة، فأقطب الملا آقا حاجبيه وتوجه ببصره نحو الغلمان الحسان بملابسهم الزاهية وقال: وهل هؤلاء ممن تم طلاؤهم بماء الفضة

أيضًا؟ وبطبيعة الحال اتضح من خلال هذه المقدمة صعوبة أن يطول الوئام بين المضيّف وضيفه، وبعد هنيهة أمسك الملا بعصاه وَهَمَّ بالخروج قائلًا: إن هذه الدار لا تصلح أن أقيم فيها، فغادر. وتبين فيما بعد أنه اتخذ بيتًا متواضعًا في مبنى يجاور مسجد الشاه. وكان أصحاب القيل والقال والهمّازون، الذين كانوا يراقبون هذه الأحداث وهم مسرورون، يتربصون حصول حدث آخر، وذاك ما حدث فعلًا، إذ لم يطل الوقت حتى ارتقى الملا آقا الدربندي المنبر في المسجد، وخلال ما كان يدلي به من مواعظ، توجه بالتوبيخ لما تفعله الحكومة الحاضرة، مهاجمًا ممارسات الأشراف والأعيان وأصحاب البلاط، قائلًا: لا وجود للإسلام في عاصمة إيران، وهو إن كان موجودًا فيما سبق، فقد تم سحقه. وفي اليوم التالي، انبرى لتوبيخ وزير المالية العامة، وقال: إنه رجل مرتشٍ. وهو يستحوذ على أموال الناس وممتلكاتهم بالغصب والقوة. وحيث إن المستمعين كانوا على علم بأمور أخرى، ولديهم معلومات في هذا المجال، فقد اجتمعوا عند المنبر. وبعد ثلاثة أيام هاجم وزير الداخلية مبينًا الأدلة والبراهين على مخالفاته. ومن هذه الحملات استمد المستمعون الحيوية والنشاط وأخذ عددهم يتزايد في كل يوم. لم يطل الوقت حتى علمَ الشاه عن طريق وزرائه المتهمين أنفسهم بما يقوم به الملا الدربندي، وفي البداية لم يبد اهتمامًا لما يتعرض له وزراؤه من إهانة وإذلال. وفي كل يوم كان الملا الخطيب يرتقي المنبر ويوجه انتقاده إلى ما يقوم به الوزراء وأصحاب البلاط من دون مواربة أمام حشود الملأ من الناس، وكان الحاضرون يستمعون لحديثه وهم مسرورين. إلى أن شنَّ هجومًا لاذعًا على دبير الملك نايب الإيالة، وقال: ما السبب عدم إنجابه الأطفال؟ بالطبع، فإنما ذلك، لأنه لا يؤوب الى ذاته، ويوفر لنفسه دواعي الترفيه والتسلية في الخارج. وفجأة أفاق الشاه، وانتبه إلى أن الملا، قد ذهب بعيدًا، وخشي أن يخلق تمردًا، ومن هنا فقد أوعز إلى إمام الجمعة بمنع الملا من ارتقاء المنبر وإلقاء خطبه، وقد انجز إمام الجمعة مهمته بكامل الحذر والحيطة. فتخلى الملا عن المنبر، لكنه لم يكن راغبًا في الانزواء، فهو للتو قد حظي بالشهرة والاحترام في العاصمة. كان الكثير من الناس يقصدون داره، ويتوقون لسماع

شيء منه، ويرون تقويمه مؤسسة الدولة، وكانوا يتوجهون إلى داره بكل اندفاع وتشوق كبير لسماع كلامه الذي يتسم بالشجاعة، وهو من جانبه كان يحمل تصورًا بأن لا يخفي ما عرفه من أسرار البلاط الملكي. أخذ أصحاب البلاط بممارسة الضغط على الشاه بأن الصلاح في نفي الملا عن طهران، وأن ينتقل من العاصمة إلى مكان آخر، وهو مكلفٌ بمهمة دينية رسميًا، فأرسله الشاه إلى كرمانشاه، وخصص له مرتبًا سنويًا، ووافق الملا بذلك، فيما حصل تصور لدى العامة بأن الملا كان يروم الحصول على وظيفة وعمل رسمي من وراء خطاباته الشديدة، وما أن ارتضى هذه المهمة والوظيفة الرسمية وتوجه إلى كرمانشاه، أصبح عرضة للسخرية من العامة، فتنفس رجال الدولة الصعداء.

في الختام حريٌ أن أزيد: ربما يمكن القول: إن الملا آقا يمثل نموذجًا بارزًا للحكماء الإلهيين إذ كان يقارع بكل وضوح ودون وجل كل عقيدة تتعارض مع مباديء الدين، وكان يناهض الصوفية بلا هوادة، وينظر بعين الغضب والنقِمة لأفكار الشيخية، ويرى بطلان عقائد الأخباريين، وخلاصة القول: إنه كان مجتهدًا صلبًا قد أحاط نفسه بدائرة الإسلام على نحو التمام، وأعيد القول: إن هذا المجتهد المتشدد هو [من طائفة] لُزكي [إحدى طوائف القفقاز] وكان يظهر تقاليده وطبائعه الحادة في مختلف المجالات [مذاهب وفلسفه آسيايي، كنت دو غوبينو، ترجمة همايون فره وشي،تهران،١٣٢٨ هـ ش، صص٩١-٩٤. ويُنظر: دين ودولت در دوره قاجار، ص٢٥٥].

في هذا النص هنالك معلومات جديدة ينبغي التأمل بها، فقصة حمله للسيف يؤيدها ما تحدث هو بنفسه عن ذلك عند كلامه على هجوم الشيخية عليه سنة ١٢٥٨ إذ قال انه دافع عن نفسه بسيفه وقتل أحدهم. لكن الأهم من الناحية التاريخية هو ارساله إلى كرمانشاه ومكوثه هناك وهذا ما لم أطلع عليه حتى هذه اللحظة من أي مصدر آخر قد تناول هذا الموضوع. ربما كان الأمر متداولًا بين أصحاب البلاط المناوئين لوجوده حينذاك لكنه لم يطبق.

وذكر خياباني تبريزي مؤلف كتاب علماى معاصر (ص٣٣ قم،١٣٨٢) خاطرة عن خطبة للدربندي في تبريز تؤكد أنه أمضى مدة هناك. كتب السيد مهدي بور ان المرحوم الدربندي ارتقى المنبر في المسجد الجامع بتبريز مدة عشرة أيام في الصالة المعروفة بمسجد (يا علي) وحضر عنده عشرات الآلاف حتى اكتظ مسجد ثقة الإسلام ومسجد خاله أوغلي ومسجد آقا ميرزا صادق آقا والمدرسة الطالبية بالحاضرين، وفي اليوم التاسع أعلن ان المجلس ليوم غد سيكون عن أبي الفضل العباس عليه السلام وكل من لديه مريض عسيرٌ علاجه فليأت به، وفي اليوم التالي جاؤوا بـ ٢٧ مريضًا ممن تعسر علاجهم وأجلسوهم إلى جانب بعضهم في زاوية من المسجد فتفقدّهم المرحوم الدربندي ثم ارتقى المنبر وقال مخاطبًا قمر بني هاشم: إن لم تلطف بهؤلاء فإن كرامة خادمك في خطر. كتب مهدي بور يقول: لقد قرأ مأتمًا في غاية الرقة فخرج هؤلاء بأجمعهم من المسجد وقد تشافوا ببركة أبي الفضل العباس عليه السلام. (أجساد جاودان، ص٢٣٦).

سيرة الملا آقا الدربندي في مصادر أخرى

كتب اعتماد السلطنة (ت١٣١٣هـ) في (المآثر والآثار، طبعة ١٣٠٦ هـ) واحدة من أُولى التراجم له (الملا آقا): كان الآخوند الملا آقا المجتهد الدربندي صاحب الخزائن وأسرار الشهادة وسعادات ناصرى وغيرها تالي تلو شيخ الكل حجة الإسلام الحاج الشيخ مرتضى الانصاري قدس الله سره في الشهرة والجلال ونفاذ الأمر وذيوع الصيت والسمو، وكان ذا امتياز واضح بين العلماء في الحشمة والهيبة والعزة والشجاعة. كان هنالك جرح على وجهه الشريف أصيب به على أيدي جماعة البابية. بعد مجاورته للعتبات المقدسة في العراق حلَّ في دار الخلافة وتم استقباله بصنوف المراسيم والتبجيل. كان الناس يزدحمون على نحو مذهل عند منبره في الأيام العشرة الأولى من المحرم في كل عام. وكانت تظهر منه حالات مدهشة خاصة في عاشوراء مما ينتشر في أوساط تجمعات المعزين، فهو - ودون إرادة منه - يرمي العمامة على الأرض ويشق جيبه ويحثو التراب على رأسه. بمعنى أنه كان يتمتع بسمو المرتبة في حب أهل البيت عليهم السلام، ومنعة المنزلة في التعصب للشريعة المقدسة. كانت وفاته في سنة ١٢٨٦ هـ في دار الخلافة طهران (المآثر والآثار :١/ ١٨٩، طبعة حجرية، ص١٣٩).

هنالك أمران في شخصيته أولهما حالاته الخاصة في مأتم الإمام الحسين عليه السلام، والآخر تشدده في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي ملاحظات وردت في الحديث عن سيرته في سائر الترجمات أيضًا.

فضلاً عن ذلك، يؤيد اعتماد السلطنة صنوف الاستقبال الحار والتكريم الذي قوبل به عند قدومه إلى دار الخلافة.

كتب الميرزا محمد التنكابني (ت ١٣٠٢هـ)- الذي يصفه اعتماد السلطنة بالفقيه المقدس، الصادق، سليم الصدر، الساذج (المآثر والآثـار:١/ ٢١٢)، مؤلف قصص العلماء (١٠٧-١١٢)- ترجمة من عدة صفحات بأسلوبه الخاص للملا آقا الدربندي بمعلومات قلَّ نظيرها .فيما يلي أهم ما ورد فيها:

الآخوند الملا آقا بن عابد بن رمضان الدربندي الدرة البهية في الفقاهة والاجتهاد... من تلامذة شريف العلماء، وكان في غاية المزاجية وتقلب الأوضاع، وكان يتحدث احيانًا عن أمر ما ويقول ان لديَّ عليه أربعين إلى خمسين إشكالًا، فيقول له شريف العلماء حسنًا هات واحدًا منها وكفى، فيتحاجج الآخوند مع استاذه شريف العلماء إلى أن تنقلب أحوال شريف العلماء، وتتغير طباع الآخوند كذلك دون إرادة منه، فيقول شريف العلماء: أخرجوه من المجلس فيأخذوا بساعديه ويخرجونه من المجلس ولدى وصوله إلى الباب يصيح: أيتها الجماعة لا تقبلوا هذا الكلام إن حديثه باطل.. فقال زملاؤه لشريف العلماء: إن الآخوند ملا آقا، رجل فاضل، فاسمح له بالحضور في الدرس ... لكنه عاد إلى سابق تصرفاته.

ذات مرة كان شريف العلماء متوجهًا برفقة طلابه لزيارة سامراء، وفي إحدى الليالي توقفوا في أحد المواقع، فوقع نزاع بين الملا آقا وأحد الطلبة حول مسألة، فكانت النتيجة أن غضب الملا آقا فسحب خنجرًا كان عند ذاك الرجل، وأخذ يلاحقه، ولما وجد الرجل الأمر اتخذ هذا المنحى، ألقى بنفسه في خيمة شريف العلماء ... كان موافقًا للأحكام الشرعية في علم الكلام والحكمة وموضوعاته العقلية، وكان في علم الرجال، أوحد الرجال، ومحط رحال أرباب الكمال، ومسلَّمٌ له في ديار العرب والعجم بالفصاحة والبلاغة، بل إني لم أرَ له ثانيًا تاليًا في البلاغة والفصاحة خلال هذه الأزمنة... وكذا في العربية.

زار الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر كربلاء في بعض الزيارات المخصوصة، فجاء الدربندي لزيارته فقال له الشيخ صاحب الجواهر في بعض الحديث: كتابنا (الجواهر) كتاب في غاية الجودة، فهل رأيته فأعجبك؟ فقال له الدربندي: في خزائننا (خزائن الأحكام) من هذه الجواهر، شيء كثير.

قضى الآخوند مدة طويلة في كربلاء، وكان يلقي الدروس أحيانًا، وهو مؤلفٌ أيضًا، وكنتُ أحضر درسه أحيانًا، لكن درسه كان يعتريه الارتباك بسبب كثرة غضبه وحدّته. [يقول بعد بحث في (إكسير العبادات) الذي أشرتُ إليه في موضع آخر من هذا المقال]: من مؤلفاته كتاب (سعادات ناصرى) الذي كتبه بطلب من الملك، وهو وجيز باللغة الفارسية، ولا يخلو من الظرائف العلمية. وكان مواظبًا ومتشددًا وثابتًا في إقامة مأتم سيد الشهداء حتى يغمى عليه من شدة البكاء وهو على المنبر، وكان يخلع ثيابه يوم عاشوراء، ويمشي أعرج، ويحثو التراب على رأسه، ويطلي جسمه بالطين، ويرتقي المنبر على هذه الشاكلة. وعلى نحو الإجمال، كان يفوق أبناء زمانه في إخلاصه للأئمة الأطهار، وعنده علم الإكسير، وكتب رسالة فيه، وقد أورد قدرًا من ذلك العلم وأهله في كتاب الخزائن، وكان صادقًا. ولما جاء سلطان الزمان ناصر الدين شاه لرؤيته قال للسلطان: أنت حاكم إسلامي، وإن إطلاق الشارب، وعدم جزه، ينافي الأحكام الإسلامية. وامتثالًا لتوجيه الآخوند، استدعى الشاه حلاقًا وقام بحلاقة شيء من شاربه في ذاك المجلس. كان أوحد زمانه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد عاش ما بين ثمانين إلى تسعين سنة وتوفي في دار الخلافة طهران [ثم يروي قصة بأنه كانت له صحبة في بغداد مع شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ومفتي بغداد المدعو ملا عبد الرحمن وقد حاوره في مسألة لعن معاوية] ثم يقول [كان الملا آقا في العشرين من عمره يدرّس شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وقد رأى في عالم الرؤيا أنه حاجج الشيخين، وابن أبي الحديد، وقد أفحمهم. هذا ما كتبه في (أسرار الشهادة). (قصص العلماء، ص١٠٧-١٠٩"تهران،

افست،١٣٦٤هـ.ش")] تحدث في موضع آخر عن لعن يزيد، وتكلم عن تعصب شافعية بغداد وقتذاك، وتعصب الأكراد في ذلك الزمن أيضًا، إذ لم يكونوا على استعداد للعن يزيد. وفي السياق ذكر حواراته مع السيد محمود الآلوسي [وردت الأروسي في النص المطبوع خطأً!]. (إكسير:١/ ٣٠٣-٣٠٩). هذه الحوارات مطولة جدًا.

ورد في ما كتبه التنكابني أيضًا قضية الرثاء، وعلاقته بناصر الدين شاه، وكذلك مزاياه العلمية، وناهيك عن بعض الجمل، فمن الممكن القبول ببعض الموضوعات فيما يخص الملا آقا، فهو يصدق فيما يخص البعد الأدبي والعربي عنده استنادًا للنصوص المتبقية خاصة، إذا عرفنا أنه لزكي قفقازي يتعين عليه أن يجهد كثيرًا لكتابة النثر بالعربية والفارسية بهذا المستوى.

سنرى أن الملا آقا تحدث في (جواهر الإيقان) عن علاقاته بالسيد محمود الآلوسي عادًّا تفسيره (روح المعاني) أفضل من تفسير الفخر الرازي، وقال: إن سيرتنا تقوم على نهج الصدق والتصافي، وما كان بيني وبينه صداقة ورفقة وطيدة، وأمور عجيبة، ومكاتبات ومراسلات لطيفة. ثم يتابع: إنه يعتقد بأنه قد مضى مستبصرًا (جواهر الإيقان: ص٢٩٦-٢٩٧). وذكر كيوان حوارات ومناظرات الملا آقا والآلوسي وقال: إنه قد فاق الآلوسي في هذه الحوارات، وقد روى هذه الأمور لكيوان الملا عطار تلميذ الملا آقا، الذي كان حاضرًا تلك الحوارات. [حج نامه، طهران،١٣٠٨ هـ ش، ص١٧١].

كتب ناصر الدين في مذكرات رحلة زيارة العتبات المقدسة (سنة الرحلة ١٢٧٨) عن مدفن الملا آقا الدربندي: في الطريق من حرم الإمام الحسين عليه السلام إلى حرم العباس ينتهي الطريق من صحن سيد الشهداء إلى صفة على يسارها مسقف وعن يمينها حجرة، وعلى يسار الحجرة مدفون الملا آقا الدربندي والسيد مهدي الطباطبائي (شهريار جاده ها، ص١١٨ «تهران، كتابخانه ملي،١٣٧٢»].

وكتب عين السلطنة في مذكراته في سياق حوادث سنة ١٣٢٧ هـ فقرة لطيفة عن الملا آقا الدربندي، يكتب ضمن عنوان «تعازي للجن»:

الحمد لله لم يقع نزاع وخصومة في المدينة. أغلب الهيئات قد منعت من الحركة. كان التطبير كثيرًا، وكذلك ما تعارف عليه من نذور الاتراك. ومضت عدة من سنوات قد امتاز المشهديون في طهران بالجشع والاحتكار رغم حرمة ذك من الناحية الشرعية. لم يجرؤ أحد على التصدي لهم وقد قتل عدة أشخاص تلك السنة. لم يسوغ أحدٌ من علماء الشيعة هذا العمل غير الشرعي سوى الملا آقا الدربندي فقد قرأ الرثاء للجن في حدائق الشاه مدة خمسة عشر يومًا [روزنامه خاطرات عين السطنة:٣/ ٢٢٨١-٢٢٨٢»تهران، اساطير،١٣٧٤] لم يصرح عين السلطنة بأنه قد جوَّز التطبير لكنه ذكر نكتة لطيفة في انه قد استحسنه من بين علماء ذلك الزمان. وينبغي البحث في هل كان هنالك آخرون يؤيدون ذلك أو لا؟

دبير التفرشي والملا آقا الدربندي

جاء في تاريخ دبير التفرشي- الذي تناول مادة تاريخ وفاة العلماء، وفيما يخص (تاريخ رحيل الملا آقا المدعو بالفاضل الدربندي عليه الرحمة)- هذان البيتان من الشعر:

واحسرتاه لرحيل الملا آقا الأوحد ... آية الحق معين دين محمد

أضحى مخلدًا بجنان الخلد ... وخلده التاريخ فهو الفاضل الدربندي الواحد الأوحد

وكتب عند المصرع الأخير ١٢٨٦

وكتب التفرشي بعد ذلك عن الملا آقا: لا يخفى أني اطلعتُ على كرامتين للفاضل الدربندي: إحداهما في خاتمة ترجمة الأمير علي قلي الميرزا وزير العلوم وهي رؤيا أوردها في كتاب (سعادات ناصرى) وهو من مؤلفاته عن الحاج الميرزا أحمد ساعت ساز لعدة سنوات سبقت وفاة الأمير المذكور [سعادات: ص٢٠٩-٢١٢] بعد عدة سنوات على وفاة الأمير تكشفت الآثار الصادقة لتلك الرؤيا بقليل من الاختلاف. توفي علي قلي ميرزا في يوم عاشوراء، وحمل نعشه إلى البقعة المقدسة لعبد العظيم الحسني، وفي الطريق كانت هنالك جماعة من المعزين من قرية تقع في الضواحي يتوجهون نحو تلك البقعة وهم يلطمون الصدور، والتحقت بهم جنازة وزير العلوم في وسط الطريق، وكانت الجنازة برفقتهم حتى مقدار ربع فرسخ حتى وصلوا مرقد عبد العظيم، وعند حصول تلك الحادثة خطرت في بال الناس رؤيا الحاج ميرزا أحمد.

الأخرى أنه (ره) والحاج الميرزا باقر مجتهدي تبريزي التحقا بالرفيق الأعلى في غضون عام واحد في طهران، وقد أُلحدا على مقربة من بعضهما ليحملا لاحقًا إلى كربلاء والنجف، وإثر بعض المعرقلات، تأخر الأمر إلى سنتين أو ثلاث نتيجة الإهمال، وبعد زوال تلك العراقيل أخرجوا ذينك الجسدين من اللحد، فوجدوا أن جسد الفاضل الدربندي لم تتفسخ أعضاؤه أبدًا، بل ظل سالمًا صحيحًا وكأنه نام قبل ساعة، ما أذهل الناظرين

إليه، وبعد شيوع الخبر انهال الناس لمشاهدة الجسد أفواجًا افواجًا، ولما حُمل الجسد إلى مدينة قم، وكان أهل قم قد سمعوا الخبر قبل وصول الجنازة، توجهوا نحوها ليشاهدوا الحال بعين اليقين، فلمسوا صدق الأمر وعاينوه. رحمة الله عليه (نخبة التواريخ في مواد التاريخ، إسماعيل المستوفي التفرشي "دبير"، نسخة المجلس، الرقم ٨٩٩٨، ص١٢٠ إطار ٣٦).

وردت قصة بقاء جسد الملا آقا الدربندي سالمًا في كتاب أجساد جاويدان (ص٢٣٥-٢٣٦، قم، حاذق، ١٣٧٤) عن آقا بزرگ (في الكرام البررة: ١/ ١٥٣). وحريٌّ القول: إن آقا بزرگ يقول: إن جسد الملا آقا نقل إلى العراق بعد ستة أشهر، وهذا لا يتناسب مع القول: إنه نقل بعد سنتين أو ثلاث.

عبد الله المستوفي والملا آقا

أورد عبد الله المستوفي (ت١٣٢٩هـ) في كتابه (شرح زند گاني مَن) [طهران، زوار،١٣٨٤] ترجمة له (ره) وذلك لدى تناوله لتاريخ المراثي في الحقبة القاجارية وأحوالها، إذ تحدث عن منزلة الملا آقا فكتب يقول: كان قراء المراثي وقتئذ على قسمين: الأول هم الخطباء الذين يعقبون الافتتاحية بإيراد آية من القرآن الكريم، ثم يدخلون التحقيق في ما يدور حول الآية بالتفصيل والإيضاح والشرح من خلال ذكر الأمثال والحِكَم والموضوعات الأخلاقية والدينية العالية، ويضفون جوًا بديعًا من خلال إيراد أبيات من الشعر، وبالأخير يختتمون المجلس بذكر المصيبة والدعاء لملك الإسلام وعامة المسلمين وصاحب الدار .

والطائفة الثانية كانوا قراء مراثي بالمعنى الأخص يبتدئون المجلس بالسلام على سيد الشهداء والدخول إلى المصيبة مباشرة، يمزجونها عشر دقائق بالشعر وعبارات النثر، ويختتمون المجلس بما سبق ذكره من الدعاء.

كان التعلم من الضروريات بالنسبة للخطباء، واللحن بالنسبة للرواديد. لم يدخل قراء المراثي الذين ينقصهم التعلم واللحن هذا الصنف بعد، وحتى الرواديد كانوا أناسًا متعلمين ومتمكنين من الخطابة. لما يزل طراز الخطابة المأخوذ عن كتاب الملا آقا الدربندي لم يشق طريقه للرواج. هنا يتحدث عن الملا آقا الدربندي:

"إن هذا العالم التركي رغم منزلته العلمائية وحتى اجتهاده، وبما يتمتع به من بساطة وإخلاص لآل النبي، كانت له معتقدات عجيبة وغريبة فيما يخص واقعة الطف أوردها في كتابه، وفضلًا عن نقله الأخبار الضعيفة، فقد أورد الأحلام وكأنها الأخبار في كتابه (المراثي)، وبالنتيجة فقد جعلها جزءًا من المواضيع الواقعة. إن هذا المعمم الساذج يرى أن يوم عاشوراء طال اثنتين وسبعين ساعة، وهذا الرأي استقاه من ايحاءات زادها على واقعة الطف، وبهذه المقدمات أصبح لا بد من أن يطول يوم عاشوراء اثنتين وسبعين ساعة، في حين لم يسبق لأي مدون للتعازي أن تفوه بمثل هذا الطراز من الآراء.

ذات يوم جاء عند معتمد الدولة فرهاد ميرزا وأدلى بدلوه بأن مرقد السيد قاسم الواقع في أعالي تجريش هو مدفن رأس القاسم بن الحسن، الشهيد في يوم عاشوراء، جاؤوا به ودفنوه هنا. لم يستسلم الأمير معتمد الدولة لهذا الكلام، فطالبه بسند لهذه الدعوى، لم يكن لدى الآخوند من سند لكنه أخرج مصحفًا كان يحمله وقال: «اقسم بهذا القرآن ان هذا القبر هو مدفن رأس القاسم بن الحسن، شهيد واقعة الطف».

إن هذا المعمم المسكين، نتيجة إخلاصه لآل الرسالة، وإيصال الثواب للناس، قد أفسد الرثاء، وقراءة التعزية تحت يافطة «التسامح في أدلة السنن» حتى استطاع إقحام الأخبار الضعيفة، والمعتقدات التافهة في المراثي. إن التطبير من الممارسات التي أدخلها هذا الملا في التعازي، وأشاعها بين الملأ، وجعل فعلًا حرامًا، موجبًا للأجر و.. وأن العوام قد تقبلوا هذا النمط من التعزية، موحيًا أن هذه المخالفة الواضحة للشرع هي من التعازي وفيها الأجر..

لكن عدّ الأحلام والايحاءات وارتكاب فعل الحرام من أدلة السنن، لا قاعدة له وإن هذا الملا التركي المسكين قد ارتكب الكثير من هذه المغالطات».

ويتابع قائلًا: "في الأزمنة التي تلت هذا التاريخ، أصبحت قراءة المراثي تجارة رابحة، فولج هذا العمل أطيافٌ من الناس حتى الأميين، الذين ينقصهم الصوت الجميل، وقد وصل عدد قراء المراثي في طهران ألفًا أو الألفين، وكل أمي منهم قد لفَّ على رأسه ذراعين أو ثلاثة من القماش الأبيض أو الأسود، واقتحم هذه المهنة، وإذ لم يكن لهم نصيب من الصوت الحسن ليصبحوا رواديد، فكانوا يمتهنون الخطابة فيتكلمون على المنبر بكل غث وسمين، حينذاك أصبح كتاب الملا آقا الدربندي والجوهري، أساسًا لقراءة المراثي. [شرح زندگاني من، ١/ ٢٧٦-٢٧٧].

في موضع آخر انبرى المستوفي لانتقاد قراءة المراثي في النصف الثاني من العهد الناصرى واصفًا «قراءة المراثي على طريقة الملا آقا الدربندي قائلًا: "كما سبقت الإشارة منذ أن اتخذ الأغنياء مجالس العزاء وسيلة للرياء والتشريفات، وأصبح المستمعون يقصدون هذه المجالس لقضاء الوقت، وتخلى قراء المراثي عن الجوانب الأخلاقية للمنابر، وانغمسوا بالمظاهر، واستبدلت المعنويات والمعنى بالتلاعب بالألفاظ، وشاعت قراءة المراثي على وفق طريقة الملا آقا الدربندي، وغدت الأحلام والخيالات من الحقائق، وانهمك قراء المراثي بنقل الروايات الضعيفة، وأصبح من اليسير دس ما تفيض به أفكارهم من عبارات، وأخذوا ينسبون الأكاذيب إلى آل النبي تحت ذريعة «لسان الحال»، حتى تسنى لهم خلط الأخضر باليابس لتمشية أمور مجالسهم، واستدرار عويل النساء. بدأ هذا الحال من أواخر حكم ناصر الدين شاه، وأخذ بالتنامي يومًا بعد يوم، وبلغ ذروته في عهد مظفر الدين شاه، مما أضعف الإيمان في نفوس الناس. فانبرى بعض المتدينين ممن شخصوا منافاة هذا التوجه مع روح المراثي إلى انتقاده.

كان هذا الانتقاد من أجل الإصلاح، أما الذين كانوا لا يمتلكون الجرأة على توجيه مثل هذا النقد للمراثي، فقد انبروا لمناهضة هذا النقد، وتمادوا إلى محاولة زعزعته من الأساس، وفي تلك الأثناء حلت الحركة الدستورية [شرح زندگاني من:١/ ٣١٧].

وفي موضع آخر، وفي سياق حديث المستوفي عن «عبد الحسين خان كفري» صرح فيما يخص وجه تسميته بالكفري قائلًا: لن أصدّع بال القاريء العزيز، إن زيارة واحدة لموكب حكومي، أو مرور على مجموعة من الكتائب الدوارة، أو الذهاب إلى أحد مجالس التعزية، والاستماع لواحد من المراثي على طريقة الملا آقا الدربندي، يكفي لأن يتناول عبد الحسين خان هذا الموضوع بكلامه العذب عدة أيام. إن شهرته بالكفري، كانت على إثر انتقاداته لهذه الخرافات. ولغرض إضفاء طلاوة على كلماته ربما أخذ أحيانًا يدور حول بعض المعتقدات الدينية أيضًا، التي يجهل مبادئها ومبانيها، لكنه بالقدر المتيقن كان من أكثر الناس تدينًا في تلك المدّة [شرح زندگاني من: ج٣/ ٢٩٤].

وأورد السيد حسن الصدر رحمه الله (ت١٣٥٤هـ) في (تكملة أمل الآمل) :٢/ ١٩٣ حديثًا موجزًا مثنيًا فيه كثيرًا على علمه [كان متبحرًا في العلوم العقلية والنقلية، طويل الباع، كثير الاطلاع في المعقول والمنقول والحديث والرجال] منوهًا إلى أساتذته شريف العلماء والشيخ علي كاشف الغطاء وذاكرًا كتبه السبعة: وكان من المجاهدين في الدين، مُجدًا في قمع المبتدعين، والفرق المحدثة، وكان حسينيًا شديد الحب لسيد الشهداء، باذلًا لكلٍّ كلّه في أيام عاشوراء في إقامة عزائه، يصعد المنبر بنفسه، وربما أغمي عليه من كثرة البكاء واللطم. ويزيد: أنه أقام في طهران آخر حياته: وترتبت آثار جليلة على وجوده، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، كان في الدرجة الرفيعة في التعصب للشريعة. وصرح بأن سنة وفاته كانت ١٢٨٦ وقيل: إن جنازته حملت إلى كربلاء ودفنت في حجرة عند باب الصحن الصغير. وفي موضع آخر ينتقد الدربندي لترجيحه أستاذه شريف العلماء على الجميع حتى العلامة الحلي معبرًا عن ذلك بـ «حب الشيء يُعمي ويُصم».

(التكملة:٣/ ١٥٩).

وأشار محمد امين الخوئي(ت١٣٦٧هـ) إلى لقب الدربندي مؤكدًا ان المقصود منه دربند القوقاز، واصفًا إياه بالعالم، الفقيه والأصولي، وأنه «كان متصلبًا في الدين، كان حار المزاج، سريع الغضب، شديد الغيظ». ثم ينقل مطالب عن قصص العلماء - دون ذكر اسم الكتاب- وأنه كان تلميذًا عند شريف العلماء.

يكتب قائلًا: كان درسه من بعد استاذه مزدهرًا في كربلاء وكان السيد إبراهيم القزويني الحائري صاحب ضوابط الأصول يشجع الطلبة على حضور درسه واصفًا إياه بعبارة «انه رجل من أئمة الأصول». ثم تطرق إلى أحواله في يوم عاشوراء وخلعه العمامة والضرب على رأسه و... ويقول: لقد جاء إلى طهران في عهد حكم ناصر الدين شاه، وإن سبب مجيئه إلى طهران فضلاً عن زيارة الإمام الرضا، كان لطبع كتابه «خزائن الأصول» سنة ١٢٨٤. ثم يكتب قائلًا: لقد اطلعت على بعض نسخٍ من كتبه التي بعثها إلى أحد علماء زنجان وكانت قيمة كل منها خمسين قِرانًا وقد طلب منه أن يرسل هذا المبلغ كي يسدده مقابل طباعة الكتاب. وقد اطلع الخوئي بنفسه على مذكرة كتب فيها: أنه نذر أن لا يبيع الكتاب بأقل من خمسين قِرانًا، وأن لا يهبه بالمجان لأي أحد. دوَّن تاريخ وفاته في سنة ١٢٨٦، والعجيب ما كتب بأنه دفن في أرض عبد العظيم في بقعة الشيخ أبي الفتوح الرازي. [لعله قصد أنه قد استودع هناك ليتم نقله إلى كربلاء لاحقًا].

يقول الخوئي: قيل: إنه خرج من بيته في كربلاء بمستهل الصباح ولقيه جاره فسلَّم عليه وقال: مرحبًا بشيخ محلتنا، فرد عليه قائلًا: لا بل شيخ الإسلام والمسلمين جميعًا. يتابع الكاتب: خلال مدة إقامته في طهران كان يرتقي المنبر في المدرسة الناصرية وبعض المساجد الكبرى الأخرى ويحضر عنده حشد كبير من الناس. كانت مجالسه من أعظم المجالس من حيث البكاء، ولم يكن لها نظير. ثم ذكر الخوئي مؤلفاته ونوَّه إلى (إكسير العبادة) و(أسرار الشهادة) [كذا] ويقول: لعل المؤلف لم يلتفت إلى الأسانيد في هذا

الكتاب بسبب تركيزه على البكاء وجمع الأخبار ضعيفها وقويها فيه. من هنا فإن العلماء والفضلاء لا يعتمدون كثيرًا على هذا الكتاب. ويرمونه بالضعف وعدم تبني النقول. الكتاب الآخر (خزائن الأصول) الذي ألَّفه سنة ١٢٦٧ وطُبع خلال السنوات ١٢٧٤ و١٢٨٤ في طهران. ذكر فقط أسماء ثلاثة كتب أخرى هي (سعادات ناصرى)، و(رسالة في بعض القواعد الفقهية العامة)، و(رسالة في فن الدراية) [مرآة الشرق،١/ ١٦٣-١٦٥ "بجهود صدرائي خوئي، قم، مرعشي، ١٣٨٥ هـ ش»] وفي سياق حديثه عن حياة الملا هادي السبزواري نقل قصة عن لقائهما فكتب يقول: خلال رحلة العلامة الفاضل الدربندي إلى إيران قصد لزيارة الإمام الرضاعليه السلام، دخل عليه ولم يكن ثمة اتفاق تام بينهما وكان السبب في ذلك الاختلاف في المزاج العلمي. فالدربندي كان صاحب عنوان» المقام الأرفع بين المسلمين والدرجة العليا في العلم والروحانية والرياسة والمرجعية العامة» في زمانه وحيثما توجه في أي مدينة، كان الناس يعدّون وجوده غنيمة. ارتقى المنبر في هذه المدينة [سبزوار] فأخذ يورد عبارات فيها تشنيعات وتلميحات للفلسفة والحكمة، وبعد عدة أيام أصبح مجلسه خاليًا فأدهشه الأمر حتى أدرك أن السبب ما أدلى به من تلميحات، وهذا يعود إلى إيمان الناس بالملا هادي، ولكن الصداقة بينهما أخذت تقوى تدريجيًا [مرآة الشرق:٢/ ١٣٢٧].

ذكره آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣-١٣٨٩هـ/ ١٣٤٨هـ ش) في مواضع عديدة عند ذكر أسماء كتبه. ذكره في (الكرام البررة) تحت عنوان الشيخ المولى آقا الدربندي واصفًا إياه بـ (عالم متبحر، فقيه فاضل، رجالي محدّث). كان في النجف من تلامذة الشيخ علي بن جعفر كاشف الغطاء، ودرس الأصول في كربلاء عند شريف العلماء، وكانت له يدٌ في أكثر العلوم من فقه وأصول ومعقول ومنقول وحديث ورجال وغيرها. أمضى ردحًا طويلًا في كربلاء وكان من أعلامها [من أجل اء العلماء بها]، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يخشى أحدًا. كان شديد الحب للإمام الحسين وواقعة الطف وقد

ترك عليه تأثيرًا عجيبًا. وكان دائم البكاء واللطم والنحيب. في خاتمة المطاف جاء إلى إيران ومكث في طهران وعاش فيها عالمًا نزيهًا وكان من أماثل السلف الصالح الذين يمكن المفاخرة بهم. توفي سنة ١٢٨٥ أو ١٢٨٦. تم الاحتفاظ بجسده مدة ستة أشهر ريثما يجف، ثم يتم نقله إلى العراق. وبعد ستة أشهر بدت عليه آثار الطراوة، فنقل إلى كربلاء ودفن في الصحن الصغير بحجرة كان قد دفن فيها عدد من الفحول والاعلام من قبيل السيد مهدي الطباطبائي، والشيخ محمد حسين الاصفهاني صاحب الفصول، والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط وآخرين. ثم سرد مؤلفاته (طبقات أعلام الشيعة:١٠/ ١٥٢-١٥٣).

منها انه كتب في الذريعة في ذيل (إكسير العبادات): المحقق الخبير العلامة الشيخ آقا بزرگ الطهراني في الذريعة: ألّفه مدة ثمانية عشر شهرًا، وفرغ منه صبيحة يوم الجمعة منتصف ذي القعدة سنة ١٣٧٢، طبع مكررًا ويقال له (أسرار الشهادة)... ومن شدة خلوصه وصفاء نفسه نقل في هذا الكتاب أمورًا لا توجد في الكتب المعتبرة، وإنما أخذها عن بعض المجاميع المجهولة اتكالًا على قاعدة التسامح في أدلة السنن مع أنه لا يصدق البلوغ عنه بمجرد الوجادة بخط مجهول، وقد تعرض شيخنا في (لؤلؤ ومرجان) إلى بعض تلك الأمور فلا نطيل بذكره (يُنظر: الذريعة، ٢/ ٢٧٩).

وورد في ترجمته ما يخص غلظته والحديث عن تشدده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كتب الملا حبيب الكاشاني في (لباب الألقاب) في سيرة الميرزا محمد اندرماني قائلًا: حضرت درسه لسنتين، وكانت تجري مناظرات بينه وبين الفاضل الدربندي، وكان الحق فيها حليف اندرماني، ورغم ذلك كانت تصدر كلمات قاسية عن الدربندي [طبقات أعلام الشيعة:١٢/ ٣٢٤]

ذكر تشدده الديني في مصادر أخرى أيضًا، فقد ورد في (كشف الأستار) في سياق الحديث عن كتابه (خزائن الأحكام): "الغيور في ذات الله، والمحب الصافي لرسول الله

وآله أمناء الله، خاصة لخامس أصحاب الكساء". وتحدث عن علمه وجامعيته في الفروع والأصول والمعقول والمنقول [كشف الأستار، ٥/ ٣٠٧].

ذكره محمد علي مدرس التبريزي (١٢٩٦-١٣٧٣ هـ/ ١٣٣٣) في (ريحانة الأدب) وكتب يقول: الشيرواني، المعروف بالفاضل الدربندي، عالم متتبع جليل، فقيه اصولي، جدلي رجالي، محقق مدقق، معاصر للشيخ مرتضى الأنصاري وأمثاله، وكان من تلامذة شريف العلماء المازندراني. كان كثير الجدال والاحتجاج في الدرس، وربما قال: إن هنالك أربعين أو خمسين مورد احتجاج على مطلب ما، فيرد عليه شريف العلماء قائلًا: حسنًا إذا كان لديك أمر واحد جيد، فهذا يكفي ولا داعي لثانٍ. وفي أحد المجالس عندما كان صاحب الجواهر يتباهى بكتابه، قال الدربندي: في خزائننا من هذه الجواهر شيء كثير، في إشارة إلى كتابه (خزائن الأحكام)، وكان مبدعًا في علم الإكسير، وألّف رسالة في هذا العلم (ريحانة الأدب:٢/ ٢١٦) وقد أشرنا سابقًا إلى وجوب ذكره بالشرواني، وليس الشيرواني.

ذكره مهدي بامداد (ت١٣٥٢هـ ش) في سياق عنوان «الملا آقا» وكتب يقول: الآخوند الملا آقا الدربندي بن عابد من الملالي الساذجين، وأصحاب الخرافات. عاش المومأ إليه مدة في العراق (بين النهرين)، ثم قدم إلى طهران وكان يرتقي المنبر في أيام العشرة من المحرم، وكان يقوم بأفعال ويضرب رأسه بالمدية، وذلك يتنافى مع أحكام الإسلام، والإسلام يسمو عن هذه الأمور، وقد أجازها في أيام عاشوراء وفعلها بنفسه ومنذ ذلك التاريخ تبعه عوام الناس كالأنعام، وأخذوا يفعلونها في أيام عاشوراء، وهي أعمال أصبحت اليوم مثار سخرية المتنورين من المسلمين وسائر الديانات. من مؤلفاته كتاب خزائن الأحكام، وأسرار الشهادة، وسعادات ناصرى. توفي الدربندي في طهران سنة ١٢٨٦ للهجرة ونقلت جنازته إلى كربلاء ودفن فيها (رجال إيران، مهدي بامداد:٤/ ١٣٧-١٣٨ «طهران، زوار،١٣٥٧»).

وأورد الشيخ عباس القمي(ت١٣٥٥هـ) ترجمته في (الفوائد الرضوية)، ورغم عدم تضمنها ما هو جديد غير أن من الأهمية بمكان ما تحمله ذهنية الشيخ عباس القمي من صورة له. يكتب (ره) قائلًا: الآقا بن عابد بن رمضان الدربندي، شيخ فقيه نبيه متكلم، محقق مدقق، جامع المعقول والمنقول، عارف بالفقه والأصول، من طلبة شريف العلماء، لكنه كان معروفًا بالمجادلة والإشكال، وهنالك قصص عنه لا مجال لذكرها. من مؤلفاته: الخزائن، وأسرار الشهادة، وسعادات ناصرى، وغير ذلك. وأسرار الشهادة يشتمل على أمور ليست جديرة بالتعويل عليها، لكنه(ره) كان معروفًا في مقام الإخلاص لسيد الشهداءعليه السلام وإقامة المراثي والتعازي والعزاء لهعليه السلام حتى يغمى عليه من البكاء، وهو على المنبر، ويلقي بعمامته على الأرض دون إرادة منه، ويشق جيبه. وروي أنه كان في يوم عاشوراء يخلع ثوبه ويمشي أعرجاً، ويحثو التراب على رأسه، ويطلي جسمه بالطين، ثم يرتقي المنبر وهو على هذا الحال، وقيل: إنه كان يولي كتب الحديث تعظيمًا بالغًا، حتى كان إذا أخذ كتاب (التهذيب) للشيخ الطوسي قبَّلَه ووضعه على رأسه كما يفعل بالقرآن الكريم، ويقول: إن كتب الحديث لها عظمة القرآن. وإجمالًا كان له مقام رفيع في محبة أهل البيت عليهم السلام ومنزلة منيعة في التشدد للشريعة المقدسة. توفي سنة ١٢٨٦ في طهران، وحمل جثمانه إلى العتبات المقدسة، ودفن بجوار سيد المظلومين (عليه السلام) [الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية، ١/ ١٠٧-١٠٨«قم ١٣٨٥»].

وأورد السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي(ت١٣٩١هـ) ترجمته في «أحسن الوديعة» وكالعادة في ترجمات المؤلفين أثنى عليه كثيرًا: «كان عالمًا في الفروع والأصول، ماهرًا في المعقول والمنقول، حاويًا المحامد والمآثر، جامعًا للمكارم والمفاخر، تلمذ لدى جمع من أساطين الدين، وفقهائنا المجتهدين، مدة من الزمن، وبرهة من الدوران، وبذل مجهوده في تحصيل العلوم، وتكميل الآداب والرسم، وأتعب فكره في تحصيل المراتب العالية، وألّف الكتب الشريفة، وصنّف الرسائل المنيفة، جيد التحرير، لطيف التقرير،

مع كمال من الفصاحة والبلاغة كأنها الدرر المنثورة...» وأكثر من الإطراء: «وقد حوت مؤلفاته غرر الفوائد ودرر الفوائد، فلله درّه وقُدسَ سرّه، حيث سلك في ذلك مسالك ذوي الألباب الطالبين للحق والصواب» وختم قائلًا: «وبالجملة فقد أودع في جملة مؤلفاته كثيرًا من التحقيقات الأنيقة، والتدقيقات الرشيقة، لكنه لما أورد في بعض مؤلفاته بعض الأخبار الغريبة، والتحقيقات العجيبة، أورث وهنًا في الاعتماد على مؤلفه الشريف، ومصنفه المنيف». وهذا انتقاد لما أورده من أخبار غريبة وتحقيقات عجيبة أدت إلى وهن بالاعتماد عليه. ثم أورد مطالب نقلًا عن التنكابني في (قصص العلماء) عن مسلكه في عزاء الإمام الحسين عليه السلام يبدو أنها ترجمة لمضامين من المآثر والآثار وعبارات منه. أغرب ما في الأمر قوله: إن عم والدي آية الله العظمى السيد محمد هاشم الموسوي الخوانساري صاحب (مباني الأصول وأصول آل الرسول، أخو صاحب روضات الجنات «لا يعتقد بفضله وعلمه». هذا ما كان نقله لي والدي، ثم أورد مؤلفات في تسعة عناوين لا جديد فيها [أحسن الوديعة، ص٥٣-٥٥].

يقدم المرحوم معلم حبيب آبادي (ت٢٩/ ٤/ ١٣٥٥ هـ ش) ترجمة وجيزة وسردًا دقيقًا نسبيًا لمؤلفاته له أهميته الخاصة استكمالًا لمعلومات أستاذي المرحوم روضاتي. كتب حبيب آبادي يقول: المرحوم الملا آقا بن عابد بن زاهد بن رمضان الدربندي الشرواني [لا الشيرواني] من كبار العلماء والفقهاء، له تبحر كامل في بعض علوم المعقول والرياضيات والحكمة، وله أحوال غريبة في البكاء والإبكاء على سيد الشهداء عليه السلام. فكان يضرب رأسه، ويولي ذلك اهتمامًا كبيرًا، وقد ذكر أحاديث ومضامين غريبة في كتبه بخصوص ذلك. وقد ألّف كتبًا عديدة، أولها كتاب (إكسير العبادات في أسرار الشهادات) وهو أشهر كتبه، ويُعرف بأسرار الشهادة، وهو بالمصيبة والمقتل وفيه ما يقرب من اثنين وثلاثين ألف بيت من الشعر. انتهى من تأليفه صبيحة الجمعة ١٥ ذي القعدة ١٢٧٢.

يقول في ج٥ من المجلد السادس من (أعيان الشيعة): جاء بأمور غريبة في ذلك

الكتاب سببت عدم الاعتماد عليه. انتهى. ورد التصريح في اللؤلؤ والمرجان، والجزء الثاني من الذريعة، وقصص العلماء، وأحسن الوديعة، بغرابة بعض مضامينه وكذبها. وقد ترجمه إلى الفارسية الميرزا محمد حسين بن علي أكبر تحت عنوان (أنوار السعادة في ترجمة أسرار الشهادة). الثاني: جواهر الإيقان وهو في المصيبة والمقتل أيضًا، وترجمة لقسم من إكسير العبادات [وهذا موضع تردد ظاهرًا]. الثالث: جوهر الصناعة في الاسطرلاب ألّفه لتلميذه السيد محمد رضا الموسوي الهندي الملقب بميرزا عليجاه بهادر خان وكتب خلفه إجازة لتلميذه: كتب السيد الشبيري في هامش هذا االمطلب: الكتاب الثالث الذي ورد ذكره باسم (جوهر الصناعة في الاسطرلاب) إنما هو عبارة أوردها صاحب (قصص العلماء) عن طريق الخطأ، والكتاب هو (رسالة في علم الإكسير) فاسمه يدل على أنه في الكيمياء لا في الاسطرلاب. الكتاب الرابع: خزائن الأحكام في شرح «درة بحر العلوم». الخامس: خزائن الأصول في جزأين يضم ما يزيد عن سبعين ألف بيت شعر. السادس: رسالة في علم الإكسير. السابع: سعادات ناصرى وأقوات روحانيه، ترجمة لقسم من إكسير العبادات، معنونة لناصر الدين شاه. الثامن: عناوين الأدلة في الأصول. التاسع: الفن الأعلى في الاعتقادات. العاشر: «فن التمرينات». الحادي عشر: القواعد المتقنة، أربعة عشر ألف بيت، وقد عثروا عليه في بعض المواضع مع الرابع والخامس في ثلاثة أجزاء من الخزائن. الثاني عشر: قواميس القواعد، في الرجال، يشمل علم دراية الحديث والرجال وطبقات الرواة. الثالث عشر: كتاب في الدراية [ثم ينقل عن السيد محسن الأمين:] يقول أورد في مؤلفاته النقلية كثيرًا من الروايات الضعيفة مما لا تتقبلها العقول ولا تصدقها. [ثم يقول في تاريخ وفاته الدقيق] وفي (البداية) أورد تاريخ وفاته مرددًا بين هذه السنة «١٢٨٦» وسنة ١٢٨٥، لكنه صرح في (المآثر) بوقوعه في هذه السنة «١٢٨٦»، وكتب في (فصوص اليواقيت والذريعة) ١٥ ش ٢٢٥١في سنة ١٢٨٥. وأنه كان ساكنًا كربلاء لسنوات ووفاته في طهران، ودفن في كربلاء بحجرة على يسار الممر الذاهب من الحرم الحسيني إلى حرم أبي الفضل العباس. ودُوِّن عمره في القصص

ما بين الثمانين والتسعين. (مكارم الآثار:٨/ ٢٧٧٦-٢٧٧٨). ثم أشار المرحوم روضاتي إلى عدة مصادر في ترجمته وأعرب عن ملامته لإسفاف ومبالغة مهدي بامداد، وكذلك المستوفي في (شرح زند گانى مَنْ) بحق الملا آقا. ثم أورد أبيات الشعر التي جاءت في «فصوص اليواقيت» (طبعة سنة ١٣٠٠) في خمسة أبيات على أنها مضمون تاريخي في وفاة الملا آقا ومنوهًا إلى سنة ١٢٨٥.

كتب آية الله الشبيري في الهامش هنا -أي في كتاب المكارم-: وجدت في نسخة لمخطوطة أعلام الورى موجودة في النجف الأشرف عند المرحوم آية الله السيد نصر المستنبط مؤلفًا يدعى فتاح الحسيني ضبط مجموعة من تواريخ وقائع، من بينها كتب ما يلي: تاريخ وفاة الفاضل الدربندي سماحة الآخوند الملا آقا في طهران ٢٠ رجب المرجب سنة ١٢٨٥. (مكارم الآثار:٨/ ٢٧٧٩). ينبغي أن يكون هذا التاريخ دقيقًا.

وردت مطالب بشأنه في مستهل الآقا الدربندي في دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، أثر آفرينان(٣/ ٢١)، دانشنامه أدب فارسي(٥/ ٢٧)، وكذلك على نحو الإيجاز في (تاريخ علماى خراسان) (ص١٤٦) لا تتضمن أمرًا جديدًا يزاد على ما نقل في النصوص المتقدمة.

في مؤلفات ملا آقا الدربندي

أورد الأستاذ السيد محمد رضا الجلالي -الذي نشر جانبًا من كتابه القواميس في مجلة تراثنا- سردًا لترجمته في ضوء المدونات والنصوص السابقة. [يُنظر: تراثنا، العدد ٢٤، رسالة «المنتقى النفيس من درر القواميس» تقديم وعرض السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، صص١٥٥-٢٣٧، أورد السيرة في الصفحات:١٥٧-١٦٤، ومصادر السيرة في ص ١٦٤]. ذكر له ما مجموعه أحد عشر مؤلَفًا: إكسير العبادات في أسرار الشهادات، وجواهر الإيقان، (مقتل بالفارسية. يقول في مقدمة الجواهر(ص٣٨): إنه

ألَّفه بعد أسرار الشهادة وسعادات ناصرى)، والجوهرة في الإسطرلاب [التأليف في ١٢٧٣هـ]، وحجية الأصول المثبتة بأقسامها، وخزائن الأحكام في شرح الدرة النجفية في الفقه، وخزائن الأصول(طباعة ١٢٨٤)، والرسالة العملية[حيث تدلل على أنه كان يطمح للمرجعية]، وسعادات ناصرى، ترجمة قسم من إكسير العبادات، والعناوين في الأصول، وأحد عشر المسائل التمرينية، وعُدَّت مؤلفاته في موسوعة مؤلفي الإمامية (١/ ٧٧) بخمسة عشر.

له كتابان فقهي وأصولي: أحدهما خزائن الأحكام، والآخر: خزائن الأصول، ذكر صاحب (كشف الأستار) كلا الكتابين معًا، كتب عن خزائن الأحكام: إن هذا الكتاب شرح للدرة البهية لبحر العلوم، الذي وصف الملا آقا: «محدّث متتبع نبيل، الغيور في ذات الله، المحب الصافي لرسول الله وآله، خاصة خامس أصحاب الكساء المظلوم الشهيد أبي عبد الله عليه السلام». يعرف بالفاضل الدربندي، وجامعًا للفروع والأصول، ومتبحرًا في المعقول والمنقول. من كتبه الرفيعة كتابه هذا. كتابه الآخر خزائن الأصول في مجلدين ضخمين لكنه «متروك المراجعة». كان ملا آقا من تلاميذ شريف العلماء المازندراني، وتوفي سنة ١٢٨٦- كما ورد المآثر والآثار- أو ١٢٨٥ كما أورد الميرزا محمد الهمداني أبيات من الشعر في تاريخ وفاته في «فصوص اليواقيت» (اليواقيت، ص٩-١٠، يُنظر: كشف الأستار:٥/ ٣٠٧):

حلَّ بنا البلاء لا حول ولا ... وما البلاء ينزل إلا بالولا

بموت مفرد غدا في جمعه ... العلوم طرًا علمًا مرتجلا

فاضل دربند ومن في عصره ... قد كان كهفًا للورى وموئلا

فانفصمت عرى الهدى بفقده ... وانقصمت ظهور من قالوا: بلى

ومذ أتانا نعيه أرّختــه ... قد طار روحه إلى عرش العلى

وفي مؤلفي الكتب المطبوعة (٦/ ٢٧٩-٢٨٠) جاء مشار بفهرس لكتبه المطبوعة.

جاء في موسوعة مؤلفي الإمامية (١/ ٧٥-٧٧) فهرس لكتبه الخطية والمطبوعة وهي نفيسة، ومن بين مؤلفاته كتاب في علم الفلك اسمه (الجوهرة) كتبه للميرزا محمد رضا الموسوي الهندي سنة ١٢٧٣هـ وصدر في لكهنو سنة ١٢٨٠ مع كتابين لسيد دلدار علي (موسوعة مؤلفي الإمامية:١/ ٧٦). رسالة في علم الإكسير من مؤلفاته الأخرى لكنه لم يذكر ضمن مخطوطاته أو كتبه المطبوعة. ولئن كان الأمر كذلك فهو يدلل على تضلعه في العلوم الغريبة، وهذا من وجوه قربه من موارد مشابهة في هذا القرن.

ورد تفصيل لمؤلفات ملا آقا في دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، مدخل آقا الدربندي (١/ ٢٦٨) فقيل هناك: خزائن الأحكام، تأليف سنة ١٢٦٧، وصدر سنة ١٣١٧هـ. ووردت ذات المطالب المتقدمة بخصوص سائر مؤلفاته.

إكسير العبادات، ترجمة تحمل عنوان «رضوان» لعبد الجليل بن محمد رفيع بارفروش. هذه الترجمة مهداة لمظفر الدين شاه وعُرضت عليه. ورد بشأنها: فيها زيادات معنونة بـ«يقول المترجم» وآخر مجلس فيها المجلس ٣٠، وقد فرغ من هذا المجلس يوم الإثنين ١٨ جمادى الأولى ١٣١٩[فهرستواره كتابهاى فارسى:٩/ ٣٢٨].

تلاميذ ملا آقا الدربندي

لا نعرف على وجه الدقة ما إذا كان له درس وبحث في طهران أو لا، ولم نعثر على تصريح بهذا الشأن، ولكن على نحو الإجمال ورد ذكرٌ لبعض طلابه وهم ليسوا بكثرة بطبيعة الحال. قيل: إن السيد محمد رضي خان الهندي (ت بعد ١٢٧٣) من فضلاء طلاب الملا آقا، وقال آقا بزرگ: إن الملا آقا ألف كتاب الاسطرلاب بطلب منه، ووردت إجازة الملا آقا لهذا الطالب في نهاية هذا الكتاب (طبعة ١٢٨٠هـ) (طبقات أعلام الشيعة:١١/ ٥٧٦). كان الميرزا حبيب الله شهيدي الخراساني أحد تلاميذ الملا آقا، وكتبوا بشأنه: «انتهل من الميرزا الشيرازي الكبير والميرزا الرشتي والفاضل الدربندي وآخرين». (كنجينه دانشمندان:٧/ ١٣٩) محمد شريف رازي، تهران، اسلاميه،١٣٥٢هـ ش)، وذُكر أيضًا الحاج الشيخ محمد رضا شريعتمدار دامغاني بأنه «كان يحادث الملا آقا».(كنجينه دانشمندان: ٥/ ١١٤)، كما قيل عن الحاج الميرزا نصر الله الشيرازي (ت ١٢٩١هـ): إنه كان مجازًا من الشيخ الأنصاري وملا آقا الدربندي لرواية الحديث. طبقات أعلام الشيعة: ١٢/ ٥٩٤، ويُنظر: مشاهير المدفونين في الحرم الرضوي: ١/ ٢٦٩-٢٧٠ «آستان قدس،١٣٨٦»). ومن طلابه الميرزا محمد علي، المعروف بـ ميرأخور أوغلي، وليد أردبيل المتعلم في النجف، وقيل انه» من أفضل طلاب الحلقة الدرسية للفاضل الدربندي رحمه الله» (اردبيل در كذركاه تاريخ: ٣٦١) «بابا صفري، اردبيل، ١٣٧٠»). والشيخ محمد حسن الأنصاري (١٢٥٤-١٣٢٥هـ) من طلاب ملا آقا الدربندي والميرزا الشيرازي، وهو ابن أخ الشيخ الأنصاري. (الطبقات: ١٣/ ٤٤٣). توجه نواب ميرزا محمد بهادر المعروف بـ والا جاه -وهو من لكهنو في الهند- إلى العراق ودرس عند الملا الدربندي وآية الله علي نقي الطباطبائي (مطلع

الأنوار، أحوال دانشوران شيعه باكستان وهند، ص٧٠٤«آستان قدس،١٣٧٤»). كان الشيخ علي محمد الطالقاني (١٢٣٣-١٣١٢هـ) ممن تتلمذوا في النجف على الشيخ الأنصاري وملا آقا الدربندي (الطبقات:١٦/ ١٦١٨). وكان الشيخ عبد الله المامقاني والد محمد حسن وجد الشخصيات الأخرى المشاهير من هذه الأسرة، من الأصدقاء المقربين للملا آقا في كربلاء (اختران فقاهت: ١/ ٣٧١ «قم، ١٣٨٧»). وقال السيد علي بن السيد إسماعيل الموسوي القزويني - صاحب المؤلفات العديدة في الفقه والأصول-: إن الملا آقا حثه على التوجه إلى العتبات للدراسة (طبقات أعلام الشيعة:١٢/ ٢٨).

من نافلة القول أن نشير إلى أن المرحوم خياباني لدى حديثه عن أحد علماء تبريز واسمه الميرزا أسد الله بزار التبريزي (ت١٣٢٦هـ) ذاكرًا درسه، وأنه بعد حديثه في شهر رمضان «يستوفي الحديث عن مأساة الطف ومصائب سيد الشهداء عليه السلام، وهو تالي تلو، بل ثاني الفاضل الدربندي رضوان الله تعالى عليه في الإبكاء ونشر العزاء الحسيني» (علماى معاصرين:٣٩٣) ونقلًا عن كيوان: إن من تلامذة ملا آقا أيضًا الملا علي العطار الذي كان حاضرًا معه في بغداد عند حواراته مع الآلوسي [حج نامه، ص١٧٠-١٧١].

الفاضل الدربندي في مؤلفاته

يورد الملا آقا الدربندي على نحو العجالة نكاتًا نفيسة في ثنايا بعض مؤلفاته عما يتصل بحياته وأفكاره، وهذه النكات - ولا سيما تلك التي في سعادات ناصرى- جديرة بالاهتمام، وإن تكررت بعضها في سائر مؤلفاته. ولهذه النكات بالغ الأهمية في نقل صورة عنه وعن أفكاره وكذلك علاقاته بالآخرين وآرائه في بعض الشخصيات، وعامة الناس.

أ- التعرّف على رجال الحكم العثماني

من الأمور التي أوردها الملا آقا في مؤلفاته صداقته مع بعض رجال الحكم العثماني في العراق. كتب في موضع من سعادات ناصرى: «يقول مصنف هذا الكتاب خادم العلوم الدربندي: ثمة حكاية وقعت بيني وبين القائم على مكتب الدولة العثمانية في زماننا سردار أكرم عمر باشا، في عهد ولاية سردار أكرم عمر باشا على عراق العرب، وهي أعجب وأطرف قصة وبيانها: لما أصبح عمر باشا واليًا على بغداد وعربستان خرج الظلم والعدوان عن حدوده، وتمادوا كثيرًا بالعدوان والتعسف بحق زائري المراقد المنورة، والأضرحة المقدسة، وكان يعقوب أفندي حاكمًا للهندية وقتذاك، وهو شخصيًا كان مؤدبًا وخلوقًا، بل في داخله كان من الطائفة الإمامية المحقة. فجاء إلى كربلاء وقال: إن عمر باشا في الهندية ويريد قطع الفرات، فهلّا تجشمت العناء وقدمت إلى الهندية لعل عمر باشا يستمع اليك، ويُرفع الظلم والعدوان عن الزائرين وسائر المسلمين. فأجبته إلى ذلك، لكن ثمة معوقات وموانع حدثت وحصل تأخير عدة أيام، ولما ذهبت إلى الهندية بعد أيام، كان عمر باشا قد غادر إلى بغداد. قال يعقوب أفندي: لقد تجشمعت عناء المجيء، لكن عمر باشا ذهب منذ يومين أو ثلاثة، وقال: إن نائب الباشا والقائم مقامه

في جميع الشؤون، هو دفتردار أفندي وسيأتي غدا عند العشيرة الفلانية».

ولما جاء تحدث الملا آقا إليه، وكان مضمون حديثه معه عن صحيح البخاري، وحياة البخاري، ورواية بعض الأحاديث في فضائل أمير المؤمنين من هذا الكتاب، فدهش الأفندي لتسلطه على هذه المضامين. ثم «روى طائفة من مناقب الزائرين لقبر ريحانة رسول الله سيد الشهداء وفضائلهم ودرجاتهم»، وأورد عدة مقدمات لهذا الحديث، منها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في الإمام الحسين عليه السلام بحضور عائشة حيث قال: الحسين ثمرة فؤادي، وبضعة مني وريحانتي. ثم ذكر له مضامين عن فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وروى أحاديث مطولة للدفتردار أفندي. ثم كتب: «لما سمع الدفتردار ذلك سُرَّ وسعُدَ كثيرًا وقال: جزاك الله تعالى خيرًا... [ثم أورد أمورًا في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام بحيث] ولما وصل بالحديث إلى هنا أخذ دفتردار يجهش بالبكاء، واشتد بكاؤه، وألقى بنفسه على يديَّ، وأخذ يقبلهما مرات ومرات ويمر بهما على عينيه ويمسحهما بهما وهو يبكي».

هنا يقول ملا آقا «انتهزتُ الفرصة وقلت: «والله وبالله إنك ستُسأل» قال: لماذا؟ قلتُ: إن الزائرين بعد دخولهم لأراضيكم وبعد أن تكون حكومة الروم قد انزلت عليهم وابلًا من البلاء، وفرضت عليهم الأتاوات والضرائب المختلقة، ينثال عليهم قطاع الطرق، فيقتلون بعضًا ويجرحون بعضًا ويسلبون أموالهم وممتلكاتهم» قال الملا: «لما سمع دفتردار ذلك أخذ يرتجف بشدة وقال: لن يحصل مثل هذا إن شاء الله تعالى».

وفي آخر عبارة من هذا المقطع، وبعد الإشارة إلى بكاء الدفتردار إثر رواية هذه الفضائل، يقول الملا آقا: «وأما جهلاء أهل إيران الذين يسمون شيعة إذا ما سمعوا أمثال هذه فإنهم يفتعلون ألف طريقة وطريقة لاستبعادها وإنكارها». (سعادات ناصرى،٥٢-٥٧) إشارة إلى الانتقادات التي كانت توجه إليه ولأحاديثه. قد تحدثنا عن ذلك في موضع آخر.

وتحدث في موضع آخر عن تعرفه على قوربي أفندي إسلامبولي، الذي كان القائم مقام وحاكم كربلاء المقدسة، ونقل عنه حكاية تتعلق بشخص يدعى ملا محمد أفندي إسلامبولي «وكان في إسلامبول قبل قرن من الآن» وألّف كتابًا ضخمًا في «مصيبة سيد الشهداء عليه السلام». وقد تعرض لاحتجاج من قبل المتشددين من علماء أهل السنة وكتبوا له «لأنك تعيش في زقاق بائعي الأسماك، فقد اعتلَّ أنفك وأصيب بالخلل وأصبح معيبًا بسبب الرائحة المتعفنة». فردَّ عليهم بعنف:» قد تيقنتُ الآن أنكم لستم أبناء آبائكم». ثم نقل قصتين أخريين عن قوربي أفندي في ذلك المؤلف. قال الملا آقا: رغم أن قوربي أفندي شديد التعصب في مذهبه، لكنه ينقل هذه القصة، لكن «جماعة من الحمقى والجهلة في هذا الزمن، ممن يُسمَّوْنَ محبين وشيعة، يواجهون سماع مثل هذا القصص بجبين مقطب، ووجوه عبوسة». (سعادات ناصرى،ص٩٢).

ب- الملا آقا من العلوم الدينية التقليدية إلى تدوين المقتل

إن الدربندي قد تحدث في طيات كتاباته عن نفسه، وعلاقاته الفكرية، وفضلا عن ذلك، قام بصراحة ببيان آرائه التي من الممكن على أساسها تحديد خطه الفكري. بعبارة أخرى: إن من أنفس المصادر بشأنه هي مؤلفاته التي ينبغي أن تحظى بالتأمل والعناية.

قد تقدمت الإشارة، أنه أورد في مقدمة (سعادات ناصرى) نكاتًا في هذا الصدد، ومنها إنه أوضح علّة اهتمامه بروايات عاشوراء، وكتب مؤلفات بهذا المجال. فنحن نعلم أنه كان شديد الميل للفقه والأصول حتى أنه انشغل بهذه العلوم خلال مدة إقامته في طهران، لكنه ركز على قضايا عاشوراء أكثر من غيرها خلال العقدين الأخيرين من حياته، وإن الرجوع إلى مؤلفاته يؤكد أن عددًا منها كان في العلوم الحوزويّة المتداولة مثل الفقه والأصول والرجال والدراية، لكن شهرته كانت بالمؤلفات التي كتبها عن الإمام الحسين عليه السلام، ومن بين ذلك مؤلفاته الثلاثة: إكسير العبادات، وسعادات ناصرى، وجواهر الإيقان، التي ألّفها بهذا الشأن خاصّة.

لقد ذكر في مقدمة (سعادات ناصرى) التغيير الذي حصل في مساره من تأليف الكتب الحوزويّة إلى تأليف الكتب عن الإمام الحسين عليه السلام، ويقول: إنه لما بلغ المراتب العلمية، بدأ بتأليف الكتب، ولكن بعد مدة تأمل بأنه لو كانت الكتابة عن الإمام الحسين عليه السلام بدلًا من هذه الأعمال العلمية، لكانت أفضل بكثير، من هنا فقد قام بتغيير مسيره بهذا الاتجاه، وكتب كتاب (إكسير العبادات في أسرار الشهادات). وذكر في مواضع متعددة من هذا الكتاب أوضاعه العاطفية في التوجه نحو هذه الموضوعات. ونحن نعلم أن الآخرين تحدثوا كثيرًا عن أحاسيسه العاشورائية، وكتبوا عن حالات الحرقة والذوبان التي كان يبديها خلال إدلائه بالمضامين.

كتب الملا آقا في مقدمة (سعادات ناصرى)، وهي ترجمة له من كتاب إكسير العبادات:» إن هذا الأحقر خادم العلوم، آقا بن عابد بن رمضان بن الزاهد الشيرواني الدربندي منذ أوائل نشأته وترعرعه وصغر سنه، في السادسة أو السابعة ما وجدت نفسي إلا في موقع الدرس والتدريس، والتعلم والتعليم، ولم يصدر مني تقصير في خدمة الأساتيذ الكرام، والأساطين الفخام، ومن بعد ذلك كرست ما يناهز ثلاثين سنة من حياتي في المؤلفات، ومنها الكثير من المصنفات، التي جاءت في العلوم والفنون الحقة من معقول ومنقول مثل (خزائن الأحكام في شرح الدرة النجفية) في الفقه، و(خزائن الأصول) في الأصول، و(الفن الأعلى) في العقائد، و(فن ثمر البينات وقواميس الصناعة) في فنون الأخبار والرجال، وغير ذلك من الكتب المطولة والمختصرة بما يخمن مجموعها بثلاثمئة ألف بيت، ومن ثم انتبهت إلى أمر حساس وهو أن ركوب الصعاب، وتحمل المتاعب والمشقات، خلال هذه المدة الطويلة، وإن لم يكن دون ثواب ولكن ليتني كرست نصف هذه المدة لعمل هو أعظم أجرًا، وأكثر ثوابًا، ومنزهًا في نفسه من الشوائب والمعايب والأهواء النفسية، ألا وهو تأليف كتاب جامع في معرفة الأسرار وغوامض الأخبار، والآثار الدالة على فواضل وفضائل ومناقب آل الله تعالى، وأهل

بيت رسول الله، ولاسيّما كتاباً يكون شارحًا لأسرار، وكاشفًا لوجوه شهادة خليفة الله سيد الشهداء عليه السلام، ويكون مبيّنًا وموضحًا لجميع المتعلقة بهذه الشؤون أيضًا، لأن معرفة أسرار فواضل سيد الشهداء عليه السلام وفضائله ومناقبه، ومعرفة الأسرار الغامضة والخواص الدقيقة للندبة والبكاء على ذلك المظلوم، وكذلك معرفة الأسرار والحكمة في زيارة قبره الشريف بمنزلة الميزان الأقوم. فأُلهمتُ بالعزيمة على تأليف كتاب (إكسير العبادات في أسرار الشهادات)، وما أكد وسدد هذا الإلهام الغيبي بما فيه من وارد وشارد لا تعتريه الريبة، الرؤيا الصادقة، ولقد ذكرت تفاصيل هذه الرؤيا الصادقة في بداية كتاب (إكسير العبادات في أسرار الشهادات)».

كتب ملا آقا في موضع: «والله العظيم لقد كانت تحصل موارد وحالات غريبة فيما سلف من أوقات حين تدوين هذه الموضوعات، وفي المقام بالذات، أي: في كتاب إكسير العبادات في أسرار الشهادات، إذ تعتريني حالة من الأسى والحزن بنحو لم تعد لدى القدرة والتحمل، ويسقط القلم من يدي في أكثر الأحيان، ولم يعد بإمكاني كتابة أي شيء، وأصبح مبهوتًا ومتحيرًا ومضطربًا، بل لم أعد أشعر في داخلي بوازع الرحمة... وربما استولت عليَّ الأوهام فأتصور أن أصابعي ستحترق مع قلمي إن أنا دونتُ المضامين في تلك الأثناء». (سعادات ناصرى،ص٩١).

وفي موضع آخر: «وأنا اكتب هذا المقال الآن، فإن النار تستعر في جوانحي من قلب وكبد ودماغ وغيرها من الجوانح، وا ويلاه، وامصيبتاه، هاي هاي، آه آه، ليت قلمي وأناملي تحترق كما يحترق فؤادي» (سعادات، ص١٠٠). هذا ما سطره حين كتابته عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام وهي أصعب اللحظات يوم عاشوراء.

وفي موضع آخر كتب عن حالاته النفسية هذه لدى كتابة روايات شهادة الإمام الحسين عليه السلام والهجوم على خيام الحرم فيقول:» لا يخفى على المؤمنين المخلصين أنني حين الكتابة عن كيفية استشهاد سيد الشهداء عليه السلام، والله العظيم، وبالله الكريم فإنها

من الصعوبة عليَّ وكأنَّ قواي وقدراتي تُنتَزَعُ عني كليًا، وأشاهد العجائب والخوارق من أوضاعي، كما أشرت لذلك في حينه. وإن الكتابة عن الوقائع والأحداث بهذا الشأن في غاية الصعوبة والشدة عليَّ، ولقد مضى عليَّ اثنا عشر يومًا وأنا أحاول المباشرة بالكتابة عن أحداث هذا الأمر، لكنني كلما أضع الكتاب أمامي وأفتحه، تعرض لي حالات أدناها الشعور وكأن الآلاف من العقارب والحيات تريد لدغي، فأغلق الكتاب وأنحّيه جانبًا، وفي تلك الليلة، وكانت ليلة جمعة، عرضت لي حالات تعجبتُ لها كثيرًا... ففي ليلة الجمعة أردتُ البدء ولكن استولى عليَّ الاضطراب والحيرة، واقشعر بدني، وغلبته الرجفة، ولم استطع الكتابة، وكأن القدرة والقوة قد سلبت مني كليًا» (سعادات ناصرى،ص١٣٨-١٣٩).

ت- هجوم فرقة الشيخية على الدربندي ليلة السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٥٨هـ

في ضوء ما تقدم، لا بأس أن نشير إلى أنه في أواسط سني عمره إذ حماسة الشباب، كانت سنوات ظهور الشيخية في كربلاء، وبسبب وقوفه إلى جانب الأصوليين وأتباعهم، فقد اصطدم بالشيخية. ثم كان ظهور البابية، فهيمنت ذات الحساسية على سلوكياته، على الرغم من ذلك فإن الإشارات المتوافرة في هذا المجال، قليلة جدًا.

لقد كان فرهاد ميرزا يتردد على الملا آقا، فقال في موضع: إن الملا آقا لم تكن لديه مشكلة مع الشيخ أحمد الأحسائي، بل مع تلامذته، ومع السيد كاظم الرشتي بطبيعة الحال. يقول فرهاد ميرزا: «سمعتُ من الدربندي أنه قال: قال لي الشيخ علي – الولد الصادق للشيخ أحمد [الأحسائي]: إن أبي ضيّعوه تلامذته. وكان الملا آقا يترحم على الشيخ علي» [سفرنامه فرهاد ميرزا، ص٩٠ «تهران، علمى، ١٣٦٦»].

يقول صاحب (أحسن الوديعة) عن الشيخ أحمد الأحسائي: في بداية الأمر، حيث لم تكن مؤلفاته قد انتشرت، كان العلماء يثنون عليه، ولكن ما إن اطلعوا على آرائه شيئًا فشيئًا، انبروا للتنديد به، من هنا فإن صاحب (الروضات) قد أطرى عليه في موضع، لكنه أمعن في ذمه بشدة في موضع آخر من كتابه في ذيل ترجمة رجب برسي. ويزيد قائلاً: بعد اطلاع بعض العلماء على مؤلفاته، حكموا بكفره، ومنهم الشيخ محمد تقي البرغاني، ومحمد مهدي الطباطبائي، والملا محمد جعفر الأسترآبادي، والآخوند الملا آقا الدربندي، وشريف العلماء، والسيد إبراهيم صاحب الضوابط، وكذلك كان صاحب الفصول وصاحب الجواهر. [أحسن الوديعة، ص٣٠٣ «قم، ١٣٩٤هـ ش»، ويُنظر: دين ودولت در إيران، ص ١٢٢ «تهران،١٣٦٩»].

وبطبيعة الحال، في تلك الأثناء، كان الموقف من البابية واضحًا، ففي أحد الموارد بالغَ في ذمهم لما ذكر في أحد المجالس من طعنهم بمسلم بن عقيل. وكان ناقمًا لما اقترفوه من جسارة، ولكن «ملالي وعلماء هذا الزمان» يلوذون بالسكوت إزاءهم. (جواهر الإيقان، ص٨٩-٩٠).

وأما الملا آقا فقد أشار في بداية كتاب (سعادات ناصرى) إلى مغادرته العتبات والمجيء إلى إيران، منوهًا فيه إلى حادثة مهولة - بحسب قوله - إن ثلة من الأراذل والأوباش، بتحريض من أولاد السيد كاظم الرشتي(ت ١٢٥٩هـ)، هجموا عليه ليقتلوه. في بداية كتابتي لهذا المقال، ظننتُ أنه في ضوء مجيئه إلى إيران بعد أحداث سنة ١٢٥٨-١٢٥٩ فإن هذه الحادثة وقعت في شهر رمضان سنة ١٢٥٨هـ في أثناء المواجهات بين الشيخية ومعارضيهم، ولقد أشار بنفسه إلى أن أولاد السيد الرشتي، كان لهم دور في هذا الفعل، بمعية ميرزا محيط كرماني، ولكن بعد الرجوع من جديد إلى عبارته في «سعادات ناصرى» والإشارة إلى أن هذه الحادثة كانت بعد عدة من سنوات من تأليف (أسرار الشهادات) (تاريخ الفراغ من تأليفه النصف من ذي القعدة ١٢٧٣) يفترض وقوع هذه الحادثة في

سنة ١٢٧٧، وهنالك سندان لهذه الحادثة عثرت عليهما بعد التدوين الأول، وأوردتهما في نهاية هذه الرسالة.

تفصيله لهذه الحادثة الخطيرة في مقدمة (سعادات ناصرى) كما يلي:

«ولما اكتمل الكتاب -أسرار الشهادات- بحول الله تبارك وتعالى وقوته، وتسديد الإمام صاحب الزمان -عجَّلَ الله فرجه وجعلني فداه-، وبعد سنتين أو ثلاث من إكماله، وقع لي حادث خطير عظيم توضيحه على نحو الإجمال هو أن ميرزا محيط كرماني، وأولاد السيد كاظم الرشتي، وبالاستعانة بابن امرأة كردية كان على الدوام عدوًا للدين والدولة، حرضوا مجموعة من اليارمازية وأوباش العرب وأوغادهم لقتلي، وكان عدد اليارمازية خمسة أنفار، وقد هجموا عليَّ أنا خادم سيد الشهداء (روحي له الفداء) بعد منتصف الليل من ليلة السادس والعشرين من شهر رمضان، وانهالوا عليَّ بالسيوف فضربوني عدة ضربات على رأسي ووجهي، فطعنتُ أحد أولئك الملاعين بالقامة في قلبه، وأرسلته إلى الدرك الأسفل رغم ضعف قوتي، فلقد كنت أُعاني أمراضًا عديدة وشديدة منذ أربعة أشهر أو خمسة، وكانت تلك الأيام ذروة نقاهتي وضعفي، ولم يكن ليُقتل أحد أولئك اللعناء إلا بحول الله وقوته، وتسديد إمام الزمان (عجَّلَ الله تعالى فرجه وجعلني فداه)، وبركات صاحب القبة الحمراء الياقوتية النورانية سيد الشهداء (جعلني الله فداه)، فلولا مقتل ذلك اللعين، وانشغال بقية اللعناء بحمل جسده، ومن ثم لواذهم بالفرار، لكانوا قطعوني إربًا إربًا، ومع ذلك فلقد كانت الجراحات والطعنات التي أنزلوها بي شديدة وعميقة، لا يحتمل أحد اندمالها، لكنني شفيتُ بفضل الرحمة الإلهية الواسعة، وشفاعة أصحاب الولاية المطلقة، والخلافة العامة».

وأزيد هنا، على الرغم مما تقدم، لما يزل موضع شك لديَّ بأن الحادثة التي يعنيها آنفًا في ضوء تصريحه بأنها تعود إلى فرقة الشيخية، هي تلك الحادثة التي قدم فيها القائم بالأعمال الإيراني في بغداد وثيقتين (يحتمل بقوة في سنة ١٢٧٧هـ) وذكر فيها هجوم جماعة البابية

على الملا آقا الدربندي (ينظر: ملحق الكتاب) أو إنها حادثة أخرى سبقت هجوم نجيب باشا على بغداد. إذا كانت الكلمة أعلاه تعود إلى سنتين أو ثلاث بعد تأليف (أسرار الشهادات) ولا يراودنا الشك بتأليف هذا الكتاب سنة ١٢٧٢، فينبغي أن نعد الهجوم من قبل البابية، أما لماذا يرى الملا آقا، ضلوع أولاد السيد كاظم الرشتي فيها، فهذا ما يعوزه التسويغ.

على أية حال، إلى هنا كان الملا آقا في صراع مع الشيخية، وقد اتهمهم بتلك الحادثة الخطيرة، كما يُحتمل كثيرًا أن العداوة كانت قائمة بينه وبين البابية، ونحن على نحو العجالة نتطرق الى واقعة كربلاء وهجوم نجيب باشا على المدينة سنة ١٢٥٩.

هجوم نجيب باشا على كربلاء ورواية ملا آقا الدربندي للواقعة

من حوادث كربلاء الدامية في هذه الحقبة، هجوم نجيب باشا العثماني على المدينة في شهري ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٢٥٨هـ، وكان الملا آقا موجودًا في المدينة أيضًا، وبعد انتهاء الواقعة غادر إلى إيران وترك رواية عنها، فإذا كانت الحكاية التي أوردها في مقدمة (سعادات ناصرى) عن هجوم الشيخية عليه تعود إلى شهر رمضان السابق، لهجوم نجيب باشا، فيبدو لي أنه كان ضمن التكتلات السياسية في هذه المدينة المناوئة للشيخية، أما إذا كانت الحكاية تتعلق بزمن آخر، كما تقدمت الإشارة، فينبغي أن نأتي بقصة هجوم نجيب باشا لتوضيح موقع رواية الملا آقا من هذه الحادثة الدامية، ومن ثم نقدم شرحًا لروايته.

كانت كربلاء في ذلك الزمان مدينة كبيرة، غنية، كثيرة السكان من العرب الأصليين وأعداد كبيرة من الإيرانيين المقيمين. وكان هنالك صراع امتد سنوات بين الشيخية [بزعامة السيد كاظم الرشتي] والأصوليين [بزعامة السيد إبراهيم القزويني]، وعلى الجانب الآخر كانت الدولة العثمانية وحاكمها في بغداد مشغولة بهذه القضية. كان نفوذ

الإيرانيين من ناحية، ونفوذ الشيعة من عرب وعجم من ناحية أخرى، وكذلك الموقع الاقتصادي لكربلاء، مسألة في غاية الأهمية بالنسبة للدولة العثمانية. ما كان يبدو للعيان أن الخلافات الداخلية في كربلاء، هي التي دفعت حكومة بغداد - التي كانت للتو قد أصبحت بيد نجيب باشا - أن تتخذها ذريعة للهجوم على كربلاء، [للمزيد من التفصيل عن هذه الواقعة، راجع كتاب (قصة مذبحة) للسيد علي موجاني، قم،١٣٩٤].

تعرضت مدينة كربلاء للحصار في مطلع ذي القعدة ١٢٥٨، وجرت لقاءات عديدة بين وفود الوساطة وبين القوات العثمانية، فكانت النتيجة هو تصميم الحكومة العثمانية على مهاجمة المدينة. وأقدمت عمليًا على هذه الخطوة في ذي الحجة عام ١٢٥٨. كانت مأساة كارثية للغاية، ففي غضون يومين من القتال،١١-١٣ ذي الحجة قتل الكثيرون (قصة مذبحة، ص٧٥).

السؤال هو: أين كان الملا آقا الدربندي في خضم هذه الأحداث؟ بديهي أن الملا آقا كان منحازًا للسيد إبراهيم القزويني، الأصولي، واللافت أنه دفن إلى جواره في حجرة واحدة. المعلومات الواردة في الوثائق والنكات في كتاب (قصة مذبحة) تفيد معلومات خاطفة عن الملا آقا، المهم في الهجوم على كربلاء هو إعلان بيت السيد كاظم الرشتي والحرم، أماكن آمنة، ومن الواضح أن ما جرى كان موجهًا قبل كل شيء ضد المخالفين للسيد كاظم الرشتي.

يستفاد من الوثائق الموجودة أن الملا آقا غادر كربلاء إلى طهران عقب هذا الهجوم، وهناك كان له لقاء بالسفير الروسي، وقدم تقريرًا عن أحداث كربلاء ما زال نصه باقيًا. وهذا التقرير الذي جرى إعداده بعد شهر من الواقعة طبقًا لما أدلى به الملا آقا للسفير الروسي، هو في غاية الأهمية ويحتوي معلومات دقيقة عن أبعاد جريمة الأتراك في كربلاء. يستفاد من هذا التقرير أن والد الملا آقا وزوجته ممن امتحن بما جرى في حينه. ولقد حاول الحصول على منفذ للهرب والخلاص من الأوضاع بوصفه مواطنًا روسيًا.

وبعد ٢١ يومًا من أحداث الواقعة خرج من كربلاء وقدم إلى كرمانشاه ومنها توجه إلى طهران.

ورد في تقرير محمد نامق باشا الذي كان مستشارًا للسلطان العثماني أن القنصل الإيراني طلب من الملا آقا أن يتوجه إلى طهران، وبوصفه مواطنًا روسيًا يقدم تقريرًا بما جرى للسفير الروسي. وبعد تسلّم السفير الروسي للتقرير من الملا آقا، انتدب شخصًا يدعى موسيوف فرانت ممن يجيدون الإنجليزية وبعثه إلى كربلاء للتحقيق من قبل السفارتين البريطانية والروسية. ولما كتب الرد على هذا التقرير عدّ في تقريره المعلومات التي قدمها الملا آقا للسفير الروسي ومن ثم البريطاني، حفنة من الأخبار المفتعلة المغرضة جرى تقديمها للسفير الروسي [قصة مذبحة، ص٣٣٨]. من البديهي أن يحكم نامق باشا بمثل هذا الحكم بشأن تقرير الملا آقا!

حريٌ أن نعرف أن الملا آقا عرض وقائع هذه الحادثة عدة من مرات لشاه إيران وقتذاك محمد شاه، ففي التقرير الذي كتبته وزارة الخارجية الإيرانية إلى علماء كربلاء جاء ما يلي: جناب العلماء والفضلاء والمجتهدين وأصحاب القداسة في كربلاء المعلا نعرض أمامكم: عندما قَدِمَ معالي العالم بالحقائق والدقائق عمدة الفضلاء العظام الآخوند الملا آقا إلى دار الخلافة الباهرة وعرض قضية الواقعة الكبرى في كربلاء المعلا كما جرت عدة مرات في محضر حامي القوانين السلطان ملك الدين - خلّد الله ملكه وسلطانه وأفاض على العالمين برَّه وإحسانه - ورواها بحضور أولياء الدولة القاهرة، وقد بذل أولياء الدولة القاهرة غاية همتهم لإحقاق حقوق المظلومين في كربلاء المعلا من قبل حكومة الروم، وبعثت وكيلًا إلى ارزنة الروم لإحقاق الحق، وألزمته بتقديم قضية كربلاء على سائر الأمور والمهام وعدّها الأهم والأكثر لزومًا، وأن لا يقدم على أمر آخر إلى حين اتخاذ قرار في هذا الصدد، لأن هذا الأمر ليس مما يعد هينًا فيكون نسيًا منسيًا. وإن معالي الجليل عين الإسلام والمسلمين ناصر الملة والدين سماحة الشيخ مد ظله العالي قدم شرحًا مفصلًا

عن قضية كربلاء المقدسة إلى صاحب الجلالة المشير المكرم جناب الحاج رؤوف باشا الصدر الأعظم، ولم يصل الجواب على ذلك بعدُ. وسيصل الجواب خلال هذه الأيام إن شاء الله، وسيتم إعلام أصحاب الفضيلة العلماء والفضلاء هناك. [أرشيف مركز الوثائق والتاريخ الدبلوماسي في وزارة خارجية الجمهورية الإسلامية في إيران، سلسلة مسودات المكاتبات، ج٢، ص٨٧ ألف، نقلًا عن قصة مذبحة، ص٣٧٨].

نص رواية الملا آقا حول هجوم نجيب باشا على كربلاء إلى السفير الروسي

أما تقرير ما عرضه الملا آقا على السفير الروسي ومن ثم تم تدوينه، فهو تفصيل مسهب عن أحداث أيام المذبحة في كربلاء، وهو تقرير جدير بالاهتمام من ناحية الدقة في التفاصيل.

تاريخ الوثيقة: ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٣-١٨٤٤م.

المرسل: سفير روسيا في طهران.

المتسلم: مندوب الحكومة البريطانية الكلتل فرانسيس فرانت

النص: ترجمة تقرير الملا آقا من بلدة دربند التابعة لروسيا، الذي كان شاهدًا على واقعة كربلاء ونقل ما شاهده بعينه إلى سفير روسيا في طهران، وبدوره قام السفير المذكور بتدوين التقرير باللغة الفرنسية وإرساله إلى كلتل فرانت البريطاني الذي تلقى الأوامر بالسفر إلى بغداد للقيام بالتحقيق بالواقعة:

في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ذي الحجة حاول مير آلاي [العقيد] طاهر بيك اقتحام كربلاء، فنصب سلَّمًا على جدار القلعة في الموضع ما بين باب النجف وباب الخان، ولما كان الأهالي قد حصلوا على وعد من والي بغداد بعدم وقوع الحرب، فلم يتوقعوا هذا الهجوم المفاجيء، ودخل طاهر بيك المدينة خلسةً، فوجد عدة من الغوغاء والحراس

نائمين فقتلهم. ثم عزم على إدخال العسكر الذين كانوا يرابطون خارج المدينة فقرر السيطرة على إحدى البوابات وقد نجح في ذلك. ولما علم أحد قادة الغوغاء ويدعى علي كشمش بالأمر، هجم على طاهر بيك وقتل مئتين - وبرواية أخرى خمسمئة- من العثمانيين حتى نفدت ذخيرته من العتاد، ويئس من وصول المدد والمعونة، فلاذ بالفرار، ولما سمع باقي الغوغاء بهروبه هربوا وخرجوا بأجمعهم من بوابات المدينة، ولاذوا بالفرار. في تلك الأثناء توجه طاهر بيك وجنوده نحو حرم العباس عليه السلام، وكان يقتل كلَّ من يجده في طريقه. وبناء على الوعد الذي أعلنه نجيب باشا من ان المتحصنين بحرم الإمام الحسين عليه السلام وحرم الإمام [كذا] العباس عليه السلام لن يمسهم الأذى، فتحصن في هذه البقاع المقدسة بين خمسة آلاف وستة آلاف من الناس، وبمجرد وصول الجنود تحت إمرة طاهر بيك إلى حرم العباس عليه السلام، تمردوا عليه، وارتكبوا اعمالًا انتقامية في غاية السوء خارج حدود ما يتسنى لجندي أن يفعله، فقتلوا الشيوخ والشباب والنساء والرجال والأطفال بغض النظر عن السن والجنس. ولو شاهد الجنود خلخالًا جميلًا في ساق امرأة ينتزعونه منها دون مواربة، ويقطعون قدم المرأة للاستيلاء على الخلخال. يبقرون بطن المرأة الحامل ويستخرجون الجنين ثم يقومون بقطع رأسه. كانت الأزقة الثلاثة بين حرم الإمام [؟] العباس عليه السلام وحرم الإمام الحسين عليه السلام، مليئة بالجثث، وألقى العثمانيون النفط وغيره من المحروقات على الجثث وأشعلوا فيها النار.

هنالك ثلاثة آلاف من العرب[البدو] كانوا قد دخلوا البلدة للدفاع عن كربلاء المقدسة، خرجوا من باب الحور [باب الحر] وأرسل طاهر بيك ثلاثة آلاف من الجنود يتعقبونهم، وأرسل ألفًا من الجنود إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام، ومنذ انطلاق الجنود الثلاثة آلاف حتى وصولهم إلى باب الحور، كانوا يقتلون كل من يجدونه في طريقهم، ثم خرجوا من البلدة ولاحقوا البدو المذكورين. وإن الجنود المرابطين خارج المنطقة، هجموا على البدو، وأعملوا فيهم السيف. والجنود الألف الذي أُرسلوا إلى حرم الإمام

الحسين تم توزيعهم إلى ثلاثة أقسام: فجماعة دخلوا من باب السد، وجماعة أخرى دخلوا الحرم من الباب المسمى باب الحمام (حمجان خان) ومارسوا عملية إبادة بكل قسوة. فقُتل خلقٌ كثيرون. والمجموعة الثالثة تم وضعها عند باب قاضي الحاجات، فجاء خبر وصول سعد الله باشا، فتوقفت المذبحة مباشرة. وبالنتيجة قد نجا الموت ثلاثمئة أو أربعمئة من الذين تحصنوا بحرم الإمام الحسين عليه السلام. بعد انتهاء أعمال الإبادة جاء دور النهب والسلب، ونظرًا إلى أن أصحاب الدور قد تحصن أكثرهم في المراقد المقدسة، واختفى بعضٌ آخر في بيوتهم، فكانت أبواب البيوت مقفلة بأجمعها، فكان الجنود يحطمون الأبواب، ويقتحمون البيوت، وإذا ما وجدوا أحدًا يهددونه بالقتل إن لم يدلهم على النفائس، وهكذا قاموا بالسطو على كل مكان، وبقيت دور ظل السلطان، والسيد كاظم، فقط، مصونة عن النهب. أصيبت أم الخاقان ابنة القائممقام وبنت أخ الشاه بالرصاص في موضعين من جسمها، وتم أسر جميع النساء الجميلات، ومهما حاول ملا علي منعهم من هذا الفعل، لم يجدِ نفعًا.

ولغرض مرابطة جنوده داخل صحن الإمام الحسين عليه السلام وحواليه، أدخلَ طاهر بيك الجِمال والكلاب إلى الصحن، وعزف المطربون الموسيقى فيه، وفي اليوم التالي قام الأتراك بدفن جثث القتلى على عَجَلٍ، وملأوا السلال بجثث الكثير من الأطفال، وفي اليوم الثالث واصلوا دفن ما تبقى من الجثث بلا غسل ولا كفن. قاموا برمي جثث الذين قتلوا خارج المدينة أمام البوابات. وبمجرد أن علِمَ قادة الجند الأتراك بخبر قرب مجيء نجيب باشا إلى كربلاء، أرغموا المجتهدين وسائر العلماء البارزين والمعروفين على تنظيف الأزقة والشوارع، وإخلاء نفايات المدينة وقمامتها. في اليوم الرابع أغاروا على كل ما موجود من أطعمة، وتركوا متاع ما يكفي ثلاثة أيام للأعاجم. في اليوم الخامس باشروا بحملة تفتيش البيوت بيتًا بيتًا بذريعة جمع الأسلحة، وقاموا بنهب ما تبقى من أشياء في البيوت. في اليوم السادس وصل نجيب باشا إلى كربلاء فتوجه إلى المسجد

مباشرة، وللمحافظة على الشكليات أدى الاحترام للبقاع المقدسة، لكنهم أقدموا بعد ذلك على تقاسم النساء والفتيات بين الجنود. بعثوا خمسة وأربعين شخصًا لنقل ما تم نهبه من كربلاء إلى بغداد، ولكنهم قاموا بقتل نصف هؤلاء على مقربة من بغداد بعد العبور من الجسر، وأعدموا الباقين أيضًا بعد عبور نهر الفرات. وكما يروي العديد من الناس أنهم أعدموا مجموعة من الأشخاص لإرعاب الشيعة في بغداد. وعلى رواية بعض الناس أنهم دفعوا كبار أهل السنة ومتعصبيهم إلى غسل أيديهم بدماء العلويين[!]. كان من بين الخمسة والأربعين شخصًا، مواطنون روس. قام قائد الجنود بأخذ ما كانوا استحوذوا عليه من أحجار كريمة نفيسة، وأشياء ثمينة، وقام القنصل البريطاني والصيارفة اليهود، بشراء بعضها الآخر، بأسعار زهيدة.

وبحسب رواية الملا آقا، إن عدد القتلى بلغ ستة آلاف شخص، واستنادًا لسماعه ونقله، هنالك اثنا عشر ألف شخصٍ تم إعدامهم خارج المدينة. وقتل خمسة من الهنود البريطانيين أيضًا في واقعة كربلاء، ويزداد هذا الرقم إلى خمسة وأربعين مع القتلى من كشمير وبيشاور. وقتل بين أربعين وخمسين من الروس. ونهبت ممتلكات بين خمسين ومئة منهم أيضًا. لجأ والد الملا آقا وزوجته إلى حرم [الإمام] العباس عليه السلام فنجوا. لكن بيته تعرض للنهب. ذهب [الملا آقا] إلى راشد بيك متسلّم كربلاء فأوضح له أنه مواطن روسي وطلب الحماية منه، لكن راشد بيك لم يعر هذا الطلب سمعًا، ووضع جنديًا ليرابط في داره، وما زال مرابطًا فيه حتى يومنا هذا.

مكث الملا آقا واحدًا وعشرين يومًا في كربلاء بعد الواقعة، وبعده حمل أهله وعياله وانتقل إلى كرمانشاه، ثم توجه إلى طهران فوصلها في الأول من شهر مارس. وهو يعرف أسماء وألقاب أغلب المواطنين الروس الذين قتلوا في كربلاء، أو أُعدموا، أو نهبت ممتلكاتهم، وقدم القائمة التالية بأسماء المقتولين وألقابهم: زوجة كربلائي حسن وأولاده من دربند. وملا يعقوب من شروان. وملا حمزة وشخصان آخران من قوبا، وسيد محمد

من ساليان، وزوجة ملا قاسم وأولاده من شروان، ونجل ملا عبد الله وهو من شروان أيضًا، وملا حسين من تفليس، ونجل ملا نقي من قانجه، ونجل ملا تقي من إيروان، وابن اخ كربلائي محمد من أردوباد. فضلاً عمّن تقدم ذكرهم، فإن أسماء الذين لم يقتلوا، لكنهم نهبت وسلبت أموالهم وممتلكاتهم: حسن آقا، كربلائي، وحسين وسيد إبراهيم وجميعهم من دربند، وملا حسين وسيد أحمد آقا وملا حسن وجميعهم من ساليان، وملا قاسم وسيد محسن وحاجي ملا عبد الله وملا عبد الأحد، وملا عبد العزيز وجميعهم من شروان، وملا حسن من تفليس، وملا نقي وملا حسين وحاجي محمد من قانجه، وحسن خان وملا نقي من إيروان، وكربلائي محمد من أردوباد، وموسى آقا من شوشا، وملا ميرزا ومير عبد الصمد ومير أبو طالب ومجتهد وجميعهم من باكو. وفيما يتعلق بمقدار الأموال المنهوبة، التي تمت مصادرتها من الرعايا الروس والهنود والعجم، فإن الملا آقا لا يستطيع أن يقدم رقمًا ولو تقريبيًا. لم ينهب شيء مما يتعلق بالإمام الحسين عليه السلام سوى سبعة أو ثمانية أبسطة وفرش تم إخراجها من هناك. فيما جرى نهب ممتلكات المتحصنين في ذلك المكان المقدس. ليس ثمة خزانة في حرم [الإمام] العباس عليه السلام ولكن كان هنالك مقدار من السلاح خاصة سيف نفيس قد اشتراه حكام الشرق بأموال طائلة، وقد نهب الأتراك كل تلك الممتلكات واغتصبوها بذريعة أن لا يبقى سلاح في كربلاء. [قصة مذبحة، صص٣٥٩-٣٦٣ مع صورة الوثيقة، ص ٣٦٤-٣٦٦، عن: إرشيف العهد العثماني رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية، العنوان: (١٢٦٤)٤١/ ١ .A.DUN].

ولا بأس أن نشير إلى أن الملا آقا عندما يتحدث في (أسرار الشهادة) عن أرض كربلاء، وكونها أماناً بالنسبة للشيعة، فهو قد أثار إشكالًا، وهو ما المراد من أن بقعة كربلاء آمنة بالنسبة للشيعة؟ وهو يتحدث عن واقعتين فتاكتين هما هجوم الوهابية على كربلاء (وهو كما يقول حصل قبل بضع وخمسين سنة على يد الفرقة المشؤومة)، وكذلك هجوم نجيب باشا الذي يقول إنه حدث قبل تأليف هذا الكتاب باثني عشر عامًا [كانت الواقعة سنة

١٢٥٨ وتأليف الكتاب سنة ١٢٧٠]. (إكسير العبادات:٢/ ٤٦).

بوسعنا تصور- بطبيعة الحال- أن تأليف كتاب أسرار الشهادة، استغرق وقتًا، ناهيك عن قوله: إنه بعد سنتين من تأليف الكتاب، زاد عليه بحثًا جديدًا (إكسير:٢/ ٣٩٥)، وفي رده على هذا الاشكال، أشار إلى استجابة دعاء الزائرين في كربلاء عادًّا ذلك وما شاكله، معنى الأمان.

يحتملُ كثيرًا في وثيقة أخرى تحمل الرقم ٢٣٣٧/ ،٢٣٢، بقرينة الوثائق اللاحقة من العام ١٢٧٧ هـ الموجودة في منظمة الوثائق الوطنية، ونقلًا عن الزائرين، أن الاضطرابات التي حصلت في كربلاء، تعود إلى فرقة البابية الضالة، و«حتى ذُكر أنهم أنزلوا جراحات وخيمة بمجتهد العصر الآخوند ملا آقا الدربندي وهو من فحول العلماء». المضامين التي تلي ذلك، لا تتعلق بالملا آقا وجرى الحديث عن وجوب التعامل مع هؤلاء من خلال الحوار مع العثمانيين، حيث سياسته في هذا الشأن خاصة به.

الملا آقا الدربندي وناصر الدين شاه

في مقدمة كتاب (سعادات ناصرى) يقول الملا آقا: بعد سنة من مأساة الهجوم عليه، التي وقعت في شهر رمضان سنة ١٢٥٨، جاء إلى إيران ومكث سنة واحدة في طهران، وحينها كان محمد شاه ما يزال متربعًا على عرش السلطة، وكما تقدمت الإشارة، فإنه قدم توضيحات للشاه عن هجوم نجيب باشا على كربلاء، ومقتل الإيرانيين. حريٌّ القول أنه وإن كان عالمًا شيعيًا، لكنه ينحدر من منطقة القوقاز، حتى انه ادعى اثناء هجوم نجيب باشا أنه من الرعايا الروس وطلب أن يتركوه وشأنه.

إن إقامته في إيران مدة عام واحد أو ما يناهز ذلك، ومن ثم العودة إلى العراق، ينبغي أن يُفهم أنه افتراض، فضلاً عن ان عبارة المكوث في طهران سنة، تؤكد أن اقامته في المرة

الأولى كانت قصيرة، في حين أن مصادر ترجمته تشير إلى أنه حين جاء إلى طهران كأنما بقي فيها أبدًا [يُنظر: موسوعة كربلاء:١/ ٧١ حيث يقول: ثم استقر في طهران إلى أن مات].

إن أفضل افتراض هو أنه عاد إلى كربلاء بعد سنة، ومن ثم جاء إلى طهران ثانية، ولكن في أي سنة؟ لا علم لنا. عندما جاء إلى طهران وكان عازمًا على البقاء فيها، كانت علاقاته بالبلاط حسنة، إذ كان يتردد على ناصر الدين شاه واللقاء به، وكان أهل البلاط يبدون له الاحترام.

تحدث غوبينو في ما نقلناه من نص مفصل، عن علاقات حميمة باديء الأمر، ثم تدهورت علاقاته بأصحاب البلاط نتيجة الانتقادات التي كان يوجهها لهم، وهنالك وثيقة تصور عدم الاهتمام له، وتظهر اللائمة له لذلك. وردت هذه الوثيقة في سلسلة وثائق آل غفاري وعنوانها «عريضه به ناصر الدين در باره ملا آقا دربندي» ونصّها:

فداء لتراب اقدامكم المباركة.. منذ مدة والملا آقا الدربندي في طهران. لم يحظَ بالعناية الملكية كما كان يتوقع. إنه رجل معروف، ووضعه ليس مما ينبغي أن يكون خافيًا عن نظركم المبارك. قبل يومين التقاني الحاج الشيخ محمد ابن أخ المرحوم الشيخ رضا وعضد الملك، وتحدثا كثيرًا عنه، وإنني كنت وما زلت اعتقد به. لعل توقفه في طهران ليس مناسبًا، والملاحظات على نحو الإجمال، لعل من غير المناسب ان يذهب مذاهب اليأس من عدم العناية به. فلو قررتم إبداء تفقده لئلا يفكر أن الملك المقدس الشاهنشاه أرواح العالمين فداه، يرى وجوده أو عدمه سيان، وأن يخصص له معاشًا في قم، ويتعين له مبلغ مئتي تومان، ويزاد عليها بدل إيجار لمسكنه في قم، فلعل تسير أموره في قم على أحسن حال وتزول بعض الأمور العالقة من قريب أو بعيد، والأمر ما اقتضاه رأي صاحب الجلالة الملك.

مطلع العريضة بقلم ناصر الدين شاه [ردًا على هذا العتب]

لقد زرت الملا آقا في اليوم الأول لمجيئه، وأبدينا له كامل الاحترام، وطلبنا كرارًا عن طريق الحاج ملا علي مقدسي وسبهسالار أن أعرف ما يريد ويرغب فلم أعرف. وبطبيعة الحال لا ينبغي أن يصيبه اليأس. إنه هو الذي يعطل نفسه بنفسه. بادروا أنتم واقضوا ما يريد ويرغب واعرضوا عليه، فلا ممانعة لدينا مما يقرر بشأنه. [أسناد تاريخى خاندان غفارى:٢/ ٢١٠-٢١١به كوشش كريم أصفهانيان وإيرج افشار، تهران، موقوفات افشار،١٣٨٥].

إذا قارنا النص أعلاه بالتقارير التي قدمها غوبينو بخصوص الملا آقا والقلاقل التي خلقها في خطاباته على المنبر لأرباب الحكم، ربما يمكن القول: إن الرسالة أعلاه كانت موجهة، وكتبت لإبعاد الملا آقا عن العاصمة، وهي خطة لم تتحقق وبقي الملا آقا في طهران. رغم ذلك فإن الإشارات اللاحقة في المصادر للقاءاته بالشاه، وما تحدث به، لدليل على اهتمام ناصر الدين شاه به.

عندما زار ناصر الدين شاه العتبات المقدسة سنة ١٢٨٧هـ بعد وفاة الملا آقا بسنة أو سنتين، شاهد عالمًا يدعى السيد حسين ترك تبريزي وبحسب قوله: «إنه عالم فاضل أحمر اللحية «ووصفه» وهو شبيه نوعًا بالملا آقا الدربندي» [شهريار جاده ها، ص١٣١-١٣٢].

وكتب اعتماد السلطنة: «بعد عدة سنوات من مجاورة المشاهد المقدسة في العراق، قدم إلى دار الخلافة، وجرى استقباله بصنوف الحفاوة والتكريم « [المآثر والآثار: ١/ ١٨٩» تهران،١٣٧٤»]. وهذه إشارة الى تكريم البلاط للملا آقا.

وأما الملا آقا فقد تحدث بعبارات مؤدبة عن ظروفه الصعبة، وهو يشرح المشكلات التي عانى منها بعد الهجوم الذي تعرض له، وأوضح أمورًا في مقدمة (سعادات ناصرى).

ثمة مشكلة في تاريخ هذه اللقاءات. فخلال سنة من إقامته في طهران، لم يستطع اللقاء بناصر الدين شاه، ويحتمل أنه دوّن هذه المطالب لاحقًا. قد وقع لغط في أي سنة كانت. على أية حال كتب في مقدمة (سعادات ناصرى):

«بعد مضي مدة تناهز عامًا واحدًا على وقوع تلك الحادثة المهولة، غادرتُ العتبات المقدسة -على أصحابها آلاف آلاف الثناء والتحية- إلى البلاد، في نهاية السنة الثانية من وقوع تلك الحادثة. وفي شهر رمضان المبارك، خلال مدة إقامتي في طهران ما يقرب من عام واحد، أدركت عدة من مرات، فيض اللقاء، ومحادثة ملك الملوك الأعظم والسلطان الأفخم، بدار السلطنة الكبرى طهران، ملك الملوك الذي أقول في نعته:

أقـامـت في الـرقـاب لـه أيـاد هـي الأطـواق والـنـاس الحـمام

هيهات هيهات من اللغط، حاشا ثم حاشا أن تستوعب أشباه ونظائر هذا النمط من المقالات في مدحه ووصفه. وإنما أقول: إن سلطان السلاطين، وملك الملوك، هو ظل الله، بمعنى أنه ظل خليفة الله، الولي المطلق إمام العصر والزمان- عجَّل الله فرجه وجعلني فداه-. فمن هذه الجهة، إن جميع السلاطين والملوك وذوي التيجان في الأرض، هم ظلال ملك الملوك الأعظم والأفخم هذا. وهذا المنحى منحى الصدق والصواب لا المبالغة والإغراق. إذن من مقامات ظلّ ظلّ الله، أن ينعت ويوصف بسماء العقل والعدل، شمس الفضل والبذل، سحاب نيسان البرّ والإحسان، سدّ طوفان الكفر والكفران، تاج الملة والشوكة والدولة الوهاج، بحر النعمة والنقمة الموّاج. سبحان الله! أي عاقل وذي شعور يستطيع القول: إن هذا المدح والنعت بحق هذا السلطان الأعظم، يشبه المدائح والنعوت التي يسطرها المصنفون والمؤلفون في مطالع مؤلفاتهم. أي: على منحى الإغراق والمبالغة، لا نحو الحقيقة وبيان الواقع، فهذه المقارنة باطلة وعاطلة. هيهات! أين الثرى من الثريا، وقد أحسن من قال: «إذا جاء نهر الله، بطل نهر معقل». وأي كلام كاشف ومبين في مقام بيان الفارق في هذا الكلام، أي: «في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار»،

وكيف لا يكون كذلك وهذا ملك الملوك الأعظم، والسلطان الأفخم، موصوف بشدة محبته، وجزيل إخلاصه لأصحاب الولاية المطلقة، والخلافة العامة - صلوات الله عليهم أجمعين- وهذه افضل الصفات والملكة النورانية للسلطان الأعظم تستلزم خواصًا وآثارًا ولوازم جمة، منها أداء الواجبات والحقوق للسادة والعلماء والفضلاء والطلبة، وسائر عباد الله من عربٍ ومن عجم، في عهد الدولة والسلطنة الخالدة لملك الملوك الأفخم حتى بمقدار كرور إيراني واحد، ولم يعهد وينقل هذا النحو من العطية والإحسان في أي عصر وزمان من أزمان سلاطين وملوك الإسلام، وغير الإسلام، فهذا السلطان الأعظم، والملك الأفخم، هو السلطان ابن السلطان ابن السلطان والخاقان ابن الخاقان ابن الخاقان، السلطان الغازي ناصر الدين شاه القاجار، اللهم احفظه واحفظ أولاده من جميع الآفات والعاهات والبليات والأمراض والأسقام، وأبّد ملكه ودولته وعزته وشوكته، وانصره وانصر عساكره وجنوده، وأنفذ حكمه في أظلته من سلاطين العصر وملوك كرة الأرض بحق محمد وآله المعصومين الوارثين لجميع كمالاته وتسليماتك عليه وعليهم أجمعين إلى يوم الدين [مقدمة سعادات ناصرى].

توضيحات الملا آقا اللاحقة لعلاقاته بناصر الدين شاه تكشف عن أمور أكثر جلاءً: عندما التقى الشاه «للوداع ومغادرة طهران» طلب منه أن يحرر كتاب (أسرار الشهادات) بالفارسية. يفترض أن ذلك كان بعد سنة من إقامته الأولى. بهذا الشأن يوضح الدربندي قائلًا: «عندما أدركت فيض الحضور عند السلطان الأعظم واللقاء به للوداع ومغادرة طهران، أبدى رغبة شديدة وكثرة تشوقه لمضامين (إكسير العبادات في أسرار الشهادات) وقال: لو ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية، لقرأته في أغلب أوقاتي فأظفر بالفيوضات الربانية، بسبب قراءتي له. وضمن كلامه أمر بترجمته وتسطير مضامينه باللغة الفارسية لتعم الفائدة منه. وأنا الداعي بدوام الدولة الباهرة القاهرة، قدمت اعتذاري على حقيقته، وقلت له: إنني أشعر بضعف شديد فلا قوة عندي ولا طاقة بعد أن عرض لي المرض إثر

تلك الحادثة المهولة، ففي كل أسبوع تعتريني القشعريرة والحمى يومًا كاملاً. لكنه أمر بترجمته عدة من مرات. فقلت حينها: إن هذا الأمر سينفذ إن شاء الله بشرط أن يدعو لي السلطان الأعظم، وملك الملوك الأفخم - طوّل الله تعالى عمره وأيّد ملكه- لأن دعاءه في هذا الباب، سيكون مستجابًا بالقطع واليقين. وبعد الخروج من مجلس السلطان الأعظم- أدام الله وجهه وأيّد ملكه- أبدى رئيس جهابذة الوزراء وأمير الأمراء - الذي لو قورن بوزراء الزمان وأمراء العصر، لاستحق أن يقال فيه:

ما يجعل الجد الظنون الذي ... جنب صوب اللجب الناظر

مثل الفراتي إذا ما طمى ... يقذف بالبوصي والماهر

أعني: طاهر الطينة، وطيّب السجية، فرّخ خان أمين الدولة - أدام الله عزته- تأكيدًا بالغًا، وإصرارًا أكيدًا، لبذل المساعي لإنجاح هذا الأمر. ففكرتُ بأنني لو بدأت بالترجمة من بداية كتاب (إكسير العبادات) فسيطول إنجاز هذا العمل وإكماله لا محالة. فلابد من إكمال مجلد واحد على الأقل، يتناول المطالب المهمة، ويتم فيما بعد المباشرة بسائر المجلدات، إن حالفني التوفيق إن شاء الله تعالى. فبشرت من حيث بقي سيد الشهداء وحيدًا - روحي له الفداء-، وأكملت هذا المجلد بكمال مجالس ولحظات مرور حرم رسول الله ﷺ على مصارع الشهداء. فيمكن القول: ببركات ظل الله تعالى، وتسديد خليفة الله تعالى، وولي الله تعالى صاحب العصر والزمان -عجّل الله تعالى فرجه وجعلني فداه- صارت كل ورقة من هذا المجلد كميزاب يروي الظمآى لبستان قصص مصائب آل الرسول، أو كسراج يفتح النواظر الباكية للتائقين وعاشقي المحبة الحسينية بلقاء شمعة الانجذاب نحو الحق، أو كدرّة صدق تنثر تلك المرتبة السامية رضوان من الله اكبر. كيف لا توصف أوراق هذا الكتاب بالصفات المذكورة وقد فتح أمام القلوب فتوحات، وأزال بمجلى نفس الرحمن عن مرايا الألباب والأفئدة ما علق بها من صدأ الشكوك والشبهات بخصوص خواص وآثار ولوازم الولاية المطلقة. نِعمَ الكتاب، إنه

مظهر لصقل الأرواح من أجل العشق الحسيني، وعشقه قرين القلوب في مشكاتها.

ثم إن ما راودني من إلهام غيبي هو أن يكون اسم هذا الكتاب هو «سعادات ناصرى وأقوات روحانيه» وبعد تأكيد هذه التسمية انتبهتُ إلى أمرٍ دقيق ومطلبٍ ظريف وهو أن الصفاء الروحي للسلطان الأعظم ناصر الدين شاه - حفظه الله تعالى وحفظ أولاده وأبَّدَ ملكه وسلطنته- مما لا يبلغه التقرير والتحرير، كما انتبهت إلى معنى لطيف آخر وهو أن هذا الكتاب، سيغدو مرتبة أخروية عظيمة بالنسبة لملك الملوك الأعظم -حفظه الله تعالى- وأشرف وأعظم وأنفس الجواهر والنفائس في خزائن سلطنته الكبرى. أي: سيصبح بشيرًا ومبشرًا على دوام ملكه ودولته وسلطنته إلى ظهور الدولة القائمية-عجَّل الله تعالى فرج صاحبها وجعلني فداه - ينبغي لقاطبة المؤمنين والمحبين الانتفاع من مضامين هذا الكتاب، فبه سينالون السعادة الأخروية. من اللازم والواجب أن لا ينسوا السلطان الأعظم وملك الملوك الأفخم ناصر الدين شاه-حفظه الله...- من الدعاء فلقد كان سلطان السلاطين وملك الملوك- أعزه الله ونصر جنوده وعساكره- دافعًا وسببًا في تصنيف هذا الكتاب (سعادات ناصرى،ص٥-٦).

تدوين أدبيات عاشوراء في العصر القاجاري ودور ملا آقا الدربندي

خلال مسيرته التاريخية الدينية في العهد القاجاري دوَّن ملا آقا مؤلفات عن عاشوراء تمثل سلسلة من مجموعة حلقات. الفقه والأصول والعلوم العقلية قد أخذت مسيرها، وهنالك مؤلفات قد دوّنها في مجال الحديث والأخبار، ولكن إلى جانب ذلك كان للتاريخ الديني موقعه الخاص، التوجه الذي كان يراود أرباب المنابر هو ما يعد أكثر فهمٍ بالنسبة للناس، وما له تأثير عملي أكثر. لقد تم تأليف المئات من الكتب حول الإمام الحسين عليه السلام، وصنفت مؤلفات خاصة بمجالس الوعظ، وكانت مرتبة «مجلسًا بمجلس».

وفي هذا العصر ظهر في إيران كمٌ من العلوم الدينية والنتاج الحديث، أو بعبارة

أخرى قراءات مكررة بتوجهات جديدة تتناسب مع ضروريات الأمة، وتستدعي كتابة مؤلفات في بعض المسائل الدينية المهمة. وربما لم تكن في الأثناء ظاهرة أكثر جذابية وشعبية ومحبوبية من عاشوراء. الظاهرة التي تتواصل على مدى شهرين كاملين في كل سنة، وتشتمل على ضروب وأصناف من النشاطات العلمية والأدبية والثقافية والفنية. في تلك الأجواء انبرى جماعة من أعلام الدين في المجتمع، وسعوا من أجل كتابة مؤلفات حول عاشوراء، كيما يلبوا الحاجة، وليمهدوا لتطويرها وتجذيرها أكثر فأكثر، بما يحملون من تصورات تؤول إلى ثبات الدين. وكان من أشهرها وأولها في تلك الحقبة «محرق القلوب» للملا مهدي النراقي (تأليف ١٢٥١هـ) الذي صنفه في عشرين مجلسًا، وهو عن شهادة النبي صلى الله عليه وآله، وفاطمة الزهراء عليها السلام، وعلي عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام حتى المجلس الرابع، وعن الإمام الحسين عليه السلام بدءًا من المجلس الخامس، وأخيرًا المجلس التاسع عشر عن الإمام الكاظم عليه السلام، والعشرون عن الإمام الرضا عليه السلام.

وتناول النراقي منذ البداية بحث التسامح في أدلة السنن، وأقر نقل الأخبار الضعيفة لنيل الثواب بلا إشكال، وأن العمل بها لا إشكال فيه، بل عمل صحيح. وكتب يقول: المشهور بين علماء الإمامية وفقهائهم، إمكانية العمل بالأخبار الضعيفة في الأحكام المستحبة والمكروهات وفي المواعظ، وإذا ما وصل خبر ضعيف عن أحوال وقصص الأمم السابقة، يجوز للخطباء والرواة نقله. يتبين من هذه المقدمة جواز نقل الأخبار الضعيفة وغير المعتبرة الواصلة في القصص والوقائع الخاصة بالنبي وأهل بيته عليهم السلام، ومن نقلها وأبكى أو سمعها وبكى، أعطاه الله تعالى أجر من أبكى وبكى في مصيبة سيد الشهداء عليه السلام. من هنا فإن العلماء والمحدثين أوردوا ودونوا في كتبهم الأخبار الواردة في مآسي النبي وأهل بيته صحيحها وضعيفها، ولم يتحرجوا عن نقل الصنف الثاني» (محرق القلوب، نسخة المجلس، ش١٤٤٤٣، إطار٥). ولدى تدوينه الروايات الخاصة بشهادة الأئمة الذين أوردهم في هذا الكتاب، لم يذكر أي مصدر،

وذكر الأخبار والروايات بإملاء مؤلم مصطنع، وعبارات أنشأها من عنده، وما تمتاز به النصوص العاطفية الحزينة من نثر أليم، وأكثرَ في هذه النصوص من استخدام الشعر الفارسي والعربي، والعبارات العربية التي كان بعضها من الزيارات وبعضها الآخر من إنشائه، وهذه المفردات موجودة من سابق الأيام في (اللهوف) و(مثير الأحزان)، والمؤلفات الأخرى، التي كانت تؤلف لمجالس الوعظ بأسلوب حزين. وكان هنالك الكثيرون ممن يكتبون بذات الغاية وفي قالب «مجالس» فيذكرون مصادر رواياتهم. يظهر أن الأسلوب الذي استخدمه ملا آقا في مؤلفاته لاحقًا، كان قد وجد جذوره نظائر ما موجود في محرق القلوب. إن محرق القلوب من المؤلفات التي دفعت الميرزا حسين النوري لكتابة (اللؤلؤ والمرجان). وبتنويهه إلى المنزلة السامية لمهدي النراقي وأنه من «أعيان علماء الدهر» وأحد «المهديين الخمسة» في زمانه يقول: «رغم ذلك تجد في هذا الكتاب [محرق القلوب] مطالب منكرة، يعجب الناظر البصير لإيراد مثل هذا العالم، لمثل هذه المطالب». ومثال على ذلك: يورد خبر حضور هاشم بن عتبة المرقال في كربلاء دون أن يسند ذلك إلى عالم وكتاب، ويقول الميرزا النوري: إن ذلك كذب محض، فلقد كان هاشم في صفين واستشهد فيها. ويقول: إن هذه «القصة المجعولة» يجب أن «تُزال من الكتاب». [اللؤلؤ والمرجان، ص٢٤٦، تصحيح درايتي، قم، ١٣٧٩]. وبعد ذلك ينقل نماذج أخرى. وللقزويني مؤلف (أسرار المصائب) والمعاصر للنوري، ذات الكلام عن النراقي ويقول: رغم أنه من «أكابر علماء الدين» فإن كتابه (محرق القلوب) قد أحرق قلوب الصادقين بأكاذيبه (أسرار المصائب، إطار١٩٤).

كانت مثل هذه الكتب تطبع في قزوين أيضًا، وقُدر أن تكون قزوين وآل البرغاني، أول منزل ومعلمين يستقر عنده ملا آقا للدراسة. كان كتاب (مخزن البكاء) لمحمد صالح البرغاني من الكتب كثيرة الطباعة والتداول في العهد القاجاري. وفي الحقيقة إنه كتب عدة من كتب عن عاشوراء، وإن كتاب المخزن الذي كان تأليفه سنة ١٢٥٦هـ،

ربما طبع عدة من مرات، في سنة ١٢٦٧هـ (في ٣٨٠ صفحة)، وسنة ١٢٧٢هـ، ومرة أخرى في ١٢٨٥هـ في ما يقرب من ٣٥٠ صفحة بالقياس الرحلي. قال محمد صالح البرغاني في المقدمة: كان تأليف الكتاب باللغة العربية باديء الأمر، وتحت عنوان (معدن البكاء)، ومن ثم «لما كان الكتاب بلغة العرب، ولم ينتفع منه الأخوة من عوام العجم، من هنا فقد أوردت مجالس العزاء باللغة الفارسية مع قليل من المقدمات والملحقات وأسميته (منبع البكاء)». والظاهر أنه لم يحقق غايته هذه، فلقد» وجدتُ أن المراد هو البكاء والإبكاء، وغالبًا ما يتوقف ذلك على ذكر بضعة أحاديث تهيء المستمعين للبكاء، والواعظين للإبكاء، من هنا فقد باشرت بتأليف كتاب يحتوي كثيرًا من الأحاديث الباعثة على البكاء في مراثي سيد الشهداء، وكل خبر وأثر يكون مدعاة حزن وبكاء، يكفي في المقام ما لم يترتب عليه حكم من الأحكام الشرعية. من هنا لم أبادر لتصحيح المسألة، وإنما اقتصرت على الخبر، واكتفيت بوجوده في الكتب الموثقة، وفي أغلب الموارد أذكر الكتب التي نقلت عنها الحديث. وإذ إن هذا الكتاب خزانة لا تنفد بالنسبة للذاكرين، وجوهرة نفيسة بالنسبة للباكين، فقد أسميته (مخزن البكاء في مصيبة سيد الشهداء)، وهو يشتمل على مقدمة وفصلٍ وأربعة عشر مجلس. (مقدمة مخزن البكاء،ص١، طبعة حجرية،١٢٦٧هـ). ومؤلفاته الأخرى في المقتل عدا معدن البكاء: معدن البكاء في مقتل سيد الشهداء (الذريعة: ٢١/ ٢٢١)، ومجمع المصائب (الذريعة: ٢٠/ ٤٤)، ومنبع البكاء في مقتل سيد الشهداء (الذريعة:١٨/ ٣٥٨)، وكنز البكاء (الذريعة: ١٨/ ١٣٩)، وكنز الباكين في المصائب (الذريعة: ١٨/ ١٤٨)، وكنز المصائب في قتل العترة (الذريعة: ١٨/ ١٦٦).

ونظرًا لارتباط ملا آقا بآل البرغاني فمن المألوف أن يترك وجود هذه المفاهيم العاشورائية، بهذا الأسلوب والمنحى، أثرها في ذهنية ملا آقا الذي أمضى مرحلة دراسته عند هذه الأسرة في قزوين.

وفي كتابه (اللؤلؤ والمرجان) غمز الميرزا حسين النوري مؤلفات البرغاني، وبعد توجيه النقد لمحرق القلوب قال: «ومن ذلك كتاب من مؤلفات آل البرغاني القزويني، لكنهم في بعضها سهلوا الأمر على الناظر البصير»، ودليله أنهم يذكرون مصادر الروايات. و«لهذا يتبين المعتبر من غير المعتبر ويمتاز الصحيح من السقيم»، لكن «كان الأفضل أن لا يتطرقوا، فليس كل ناظر له حظ من التمييز» وهذا الأمر أدى بـ «العلماء الصادقين» أن «يعرضوا» عن كتب من هذا القبيل. (اللؤلؤ والمرجان، ص٢٤٨-٢٤٩).

إن كتب المقتل المذكورة آنفًا، حريٌ دراستها من عدة من جوانب، من حيث المصادر، ومنهج الكتابة والتحقيق فيه، ومن حيث المنحى في تحليل حادثة عاشوراء، وكذلك من حيث الأسلوب والسياق الأدبي بل حتى القصصي، وعلى أساس هذه الرؤى، يمكن تقسيم المؤلفات التي صنفت في هذه الحقبة. ففي مجال المنحى، من وجهة نظر «مأساوية» إنها ذات جذور عتيدة في الفكر التاريخي- الديني للشيعة، مقتدرة ومهيمنة. يكفي أن نلقي نظرة على عناوين هذه الكتب، لنجد وفرة في مفردات من قبيل: الحزن والبكاء والدموع وما شابهها. المؤلفات الموجودة بعضها روائي، وتحاول عدم الخروج عن دائرة الكتب الروائية الشيعية المعروفة، وإن كانت ضعيفة نوعًا ما على نحو الإجمال. إنها ليست تاريخية بل تحمل رؤية حديثية- تاريخية، والروايات الواردة في كتب الصدوق وآخرين هي الأصل بالنسبة لها. وأما المقاتل التاريخية فبعضها مقيدة وبعض أكثر تحررًا، فعلى سبيل المثال، (منتخب الطريحي) الذي امتد من العهد الصفوي الأخير حتى العهد القاجاري، كان مليئًا بالتلاعب بالروايات والزيادات بالمفردات والقصص. كان لهذا المنحى مؤيدون كثيرون في العهد القاجاري. وهنالك كتب مقيدة بالمصادر، ولعل من الكتب الجيدة في هذا المجال كتاب القمقام الزخار (طبع سنة ١٣٠٥هـ) لفرهاد ميرزا وهو خبير بالكتب وملتزم النقل من المصادر، وكان يحاول الكتابة بأسلوب علمي بما وسعته طاقته وزمانه، فلقد جاء بفهرس لمصادره مما يدل على مزية خبرته في الكتب.

(القمقام الزخار، صص٦٩٢-٧١٣ «طهران،١٣٠٥هـ»).

كانت مؤلفات ملا آقا نمطًا مميزًا من بينها، فقد كانت مَقاتِلًا، تستخدم الرواية والخبر، لكن مصادره لم تكن محددة بالمصادر المشهورة، فقد كان يجيء في كتبه بكل ما يطرق السمع من كل حدب وصوب، وعن كل أحد، ويراه منسجمًا مع رؤيته العامة، فكان يحاول تغليف الأحداث بنظرة عرفانية شيعية ممزوجة بتحليلات غامضة، ويعمل على إقحامها في رواياته وتحليلاته بأي طريقة كانت. كان يتحرك بالأحداث في أسلوب من الخيال، إذ كانت كربلاء بالنسبة له مأساة عظمى، يجب النظر إليها بكل العواطف والمشاعر وبطبيعة من الحزن والأسى. وعلى نحو المقارنة حريٌّ أن أقول: إن كتابه لا يمكن مقارنته بكتاب فرهاد ميرزا بأي وجه من الوجوه، فكتاب فرهاد ميرزا موثق بالمصادر المعروفة لديه، أما مؤلفات ملا آقا فالأهمية لما يطرح من تصوير أكثر مما فيه من مصادر.

ملا آقا والدخول إلى ميدان المؤلفات العاشورائية

لقد درس ملا آقا الدربندي في كربلاء والنجف، وتتلمذ على مشاهير الأساتيذ، وكانت له مؤلفات في الفقه والأصول، لكنه كان أكثر شهرة في تأليف كتب المقتل دون غيرها. لقد أشار في مقدمة (سعادات ناصرى) أنه انهمك في البداية بتأليف الكتب الفقهية والأصولية، لكنه أدرك تدريجيًا أن الأفضل أن تكون أعماله بأجمعها عن الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء. بناء على ذلك ينبغي القول: إنه كرس سنين طوال من حياته لهذه المهمة. إن محبته للإمام الحسين عليه السلام، وسائر رجال عاشوراء، مثل العباس وعلي الأكبر، كانت بمستوى ان أصحاب التراجم غالبًا ما يتطرقون إلى هذا البعد المعنوي له عند ترجمته. وقراءة مؤلفاته تؤكد هذ الشعور أيضًا. إنه يرى عاشوراء أصل كل شيء. من هنا كانت همته تصب في هذا المنحى بأن يظهر هذه الواقعة بمزيد من العظمة، ولم

يستسلم لأي رؤية قد تجعل رؤيته تنتقص من هذه العظمة. وكانت كتاباته تعبر عن هذه المعنويات، فعندما يريد الحديث عن حدث يختار كلمات وتعابير حماسية ومفعمة بالمشاعر. انظروا إلى هذا «آه، آه! وا ويلاه وا ويلاه! ألف وا ويلاه! إن فؤادي يغلي ويضج، يا رب العالمين زد في حرقتي وصراخي» ثم يقدم الموضوع الذي يريده (جواهر الإيقان، ص٥٠٨). وخلال البحث العلمي تأتي هذه العبارات المأساوية: «هل يصح من مؤمن مخلص في هذا العالم، ألا يصيبه الحزن وتنهمر دموعه على صفحات وجهه لمصاب علي الأكبر، وكيفية شهادته؟ كلا ثم كلا! حاشى ثم حاشى، آه آه آه لـ» لألف ونيف من ضربات السيوف، وطعنات الرماح، وجراح السهام والنبال، التي نزلت بجسد علي الأكبر ... (جواهر، ص٥١١). يمكن مشاهدة نماذج أخرى من النثر العربي حيث يحظ فيه على البكاء والنحيب، في المجلس الحادي عشر من أسرار الشهادة [إكسير العبادات:٦٤٧-٦٥٣] ونماذج أخرى كثيرة في المجلد الثالث منه أيضًا، منها [٣/ ٦٢-٦٤].

للملا آقا ثلاثة كتب مهمة في المقتل: الأول: إكسير العبادات وأسرار الشهادات، ويقال له: أسرار الشهادة للاختصار، وهو بالعربية، وكانت طبعته الأولى سنة ١٢٧٩ في طهران، ثم طبع في تبريز في السنوات ١٢٩٤و ١٣١٩، وطبع مجددًا في طهران. ترجمه للفارسية ميرزا حسين [بن ميرزا علي اكبر] شريعتمداري(ت١٣٣١) تحت عنوان أنوار السعادة في أنوار الشهادة، وطبع [سنة ١٣١١هـ] (فهرست كتابهاى چا پى إيران:١/ ٥٨١)، وقد صدرت الترجمة ذاتها في مجلدين مؤخرًا. وفي معجم الكتب الفارسية ورد ذكر كتاب تحت عنوان «رضوان» هو ترجمة أسرار الشهادة المهدى إلى مظفر الدين شاه، وقد تُرجمَ آخر مجلس منه في الثامن عشر من جمادى الاولى سنة ١٣١٩ هـ.

كتابه الثاني هو (سعادات ناصرى)، وهو ترجمة محررة لقسم من (أسرار الشهادة) إلى الفارسية، بقلم المؤلف نفسه لناصر الدين شاه. كتابه الثالث: (جواهر الإيقان وسرمايه

إيمان) وهو قصة المقتل كاملة من البداية حتى النهاية باللغة الفارسية. وعنوان (أسرار الشهادة) اسم مختصر يستخدم لإكسير العبادات وأسرار الشهادات. وبسبب التفصيل بالمطالب الذي جاء به، يحظى بالإهتمام أكثر من الكتابين الآخرين. يرى مصححو كتاب (أسرار الشهادة)، تاريخ تأليفه في سنة ١٢٧٢. فيما يقول المؤلف في موضع من الكتاب (إكسير العبادات:٢/ ٤٦): إن تأليف هذا الكتاب كان بعد اثني عشر عامًا من هجوم نجيب باشا على كربلاء، وهذا الهجوم يعود إلى سنة ١٢٥٨، وبهذا يكون الكتاب قيد التأليف في سنة ١٢٧٠. في موضع من الكتاب يصرح بإصابته بمرض شديد، فقرر ونذر وهو في حال المرض أن يؤلف كتابًا تحت عنوان «قوة الروحانيين» عن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، لكنه لم يستطع فيما بعد الوفاء بهذا النذر، وبناءً على ذلك عمل على تعويضه بزيادة مطالب على كتاب (أسرار الشهادة) (إكسير:٢/ ٤٨٨) حيث يقول: إنه سيفعل ذلك إن شاء الله. وذاك ما لم يتحقق بالطبع. وإن زاد في إحدى الطبعات عبارة « وأقوات روحانيه» إلى عنوان (سعادات ناصرى) ليصح النذر.

تمت طباعة كتاب (إكسير العبادات) طباعة حجرية في تبريز سنة ١٢٧٩ في زمن المؤلف، وصدر هذا الكتاب من جديد على تلك الحالة في كربلاء سنة ١٢٨٤.تمت طباعته بالطباعة الحجرية مرة أخرى سنة ١٣١٩هـ في خمسة عشر وستمئة صفحة. وعلى أساس هاتين الطبعتين الحجريتين، صدر هذا الكتاب من شركة المصطفى في البحرين سنة ١٩٩٤/ ١٤١٥ بثلاثة مجلدات صححها الشيخ محمد جمعة بادي، وعباس ملا عطية الجمري.

إن (إكسير العبادات وأسرار الشهادات) أهم كتاب لملا آقا في مقتل الإمام الحسين عليه السلام. طبعته الحروفية تقع في ثلاثة مجلدات، الأول في اثنتي عشرة وسبعمئة صفحة، ويشمل موضوعات المقدمات. وفي المجلد الثاني (في عشرين وثمانمئة صفحة) بدأ المؤلف بموضوع المقتل وجاء بالنقول من مختلف المصادر بحسب تسلسل الأحداث.

وجاء في المجلد الثالث (في ٩٤٨ صفحة) باقي الأحداث، وفي الأقسام الأخرى أمور مختلفة من استنباطاته وتحليلاته. جرى تنظيم الكتاب مجلسًا مجلسًا [يشمل متن الكتاب أربعة وأربعين مجلسًا، والخاتمة ثلاثة مجالس] وجاء في هامش كل مجلس تحليلات ونكات كلامية له تحت عنوان «تذييل»، وربما تصل إلى عدة من تذييلات لبعض المجالس والأحداث التي يتم تفصيلها.

تمت طباعة (سعادات ناصرى) في خمس وستين ومئتي صفحة بالحجم الرحلي، وجاء أن تاريخ طباعته في نهاية ثلاثمئة وألف طبعة حجرية.

صدر جواهر الإيقان سنة ١٢٨٨ هـ في ٤٧٨ صفحة بالحجم الرحلي بجهود آقا مير عبد العلي وكربلائي سليمان دربندي شيرواني وعلي أكبر تاجر شكوهي في معمل[مطبعة] آقا محمد رضا تبريزي. في السنوات الأخيرة صدر الكتاب ذاته [تصحيح محمد قربانبور، قم،١٣٩٤] بطباعة حروفية.

وفضلًا عن مؤلفاته العاشورائية المدونة، فإن طبيعة تعامله مع مجالس العزاء، وتصرفه وحركاته العجيبة، التي كان يصدرها، تعامله الخاص في التعبير عن عواطفه والبكاء ولطم الرأس ... الخ جرى التركيز عليها في أكثر الكتب التي تعرضت لترجمته. ويمكن القول: إن تأثيره مثير للاهتمام في هذا المجال منذ زمانه وما تلاه. وإن الكتب المذكورة كان تأليفها في هذا الجو المشحون عاطفيًا بإزاء عاشوراء، وقد أظهر عاطفته في كل موضع من هذه المؤلفات. كان لأسلوبه في العزاء، تأثير في إشاعة هذا الأمر. وكما أشار بعضهم أنه إما كان مؤسسًا لبعض الممارسات ومن بينها التطبير، وإما كان له دور في إشاعتها، ولم يرد شيء بصراحة في كتبه بهذا الشأن، لكنه ناقش في (أسرار الشهادة) حلق الرأس، والضرب عليه، وشق الجيب.

وكما يقول ملا آقا بنفسه: إنه بعد مرحلة الدراسة، بل حتى التدريس وتأليف الكتب

في الفقه والأصول والرجال، انتبه في برهة زمنية معينة إلى المؤلفات المدونة في عاشوراء، وباشر بالتأليف في هذا المجال. يقول في مقدمة (إكسير العبادات): سبق له أن ألَّف كتبًا في الفقه والأصول والعقائد والرجال والدراية، وقد مضى شطر مهم من حياته وبلغ الخمسين من عمره، فاشتغل بتأليف هذا الكتاب. [إكسير:١/ ٤٣] إن اختيار هذا الاسم، أي: [إكسير] جاء لأن هذا الكتاب يتولى دور الإكسير في تحويل الفلزات إلى مرحلة الكمال، وهذه الفلزات هي العبادات إلى جانب إكسير عاشوراء، تبلغ بالإنسان مرحلة الكمال. تم تأليف كتاب (إكسير العبادات) - وهو أول كتاب عاشورائي له- في عهد حكم ناصر الدين شاه، وقد نوه إلى هذا الأمر وألزم نفسه بذكر اسمه والدعاء له[إكسير:١/ ٤٧].

إن ملا آقا لا يرى إكسير العبادات كتابًا عاديًا كباقي المقاتل جرى جمعه من هنا أو هناك، بل يراه كتابًا كل بحث فيه يحتاج إلى «استعمال الفكر الدقيق». فيقول بأنه بذل جهدًا كبيرًا من أجله، وهو كتاب حريٌّ أن ينتفع به العلماء الجامعون المحققون، الذين يملكون ملكة قوية، وطبيعة سليمة. وهو ينقل عن ملا صالح القزويني قوله لولده أن يكتب هذا الكتاب، وحريٌّ أن يُكتبَ بماء الذهب [إكسير:١/ ٦٢٥].

إنه يرى أن تأليف هذا الكتاب، جاء بناء على رسالة إلهية، أُنيطت به في المنام. فهو يتحدث عن منام بسطت يداه خلاله بتأليف هذا الكتاب بأمر من المعصومين عليهم السلام. فلقد رأى ملا آقا في المنام رجلًا -والد زوجته، أي: الملا محمد تقي إيرواني- يقول له: يا فلان، إنك مكلفٌ من الأئمة المعصومين عليهم السلام بتأليف هذا الكتاب، فتردد في باديء الأمر، لكنه بالتالي باشر بتأليفه [إكسير:١/ ٦٢٦].

ملا آقا يوصي بعدم سرقة آرائه العلمية في كتبه

كان لكتب ملا آقا، ولا سيما (إكسير العبادات)، نوعان من ردود الأفعال في آنٍ واحدٍ، فالعلماء والناقدون في الوسط الشيعي، لم يعجبهم هذا الكتاب، فأخذوا يوجهون له الانتقادات باستمرار، أما من الجانب الآخر، فقد عشق هذا الكتاب العوامُ من الناس، وقراء المراثي، وقراء الكتب، ممن لم يكونوا يلتزمون الدقة العلمية. وهو كان معجبًا بكتبه في هذا المجال، وكان يرفض اتهامه بالإتيان بالأخبار الضعيفة، ومقتنعاً بأنه يعتمد مصادر أصيلة ودقيقة. من هنا كان يرى أن كتابه أثر عظيمٌ يتمتع بتحقيقات فريدة إذا ما استفاد منه الآخرون، فعليهم ذكره مصدرًا لهم. لقد أكد في مقدمة (أسرار الشهادة) وفي (سعادات ناصرى) أن يلتزم المستفيدون من كتابه بدقة بمعايير النقل، وأن ينقلوا عن هذا الكتاب استنادًا لمباديء الأمانة، وأن لا يقوموا بأدنى تغيير فيه بأي وجه من الوجوه. لطيفة هي الشروط التي أوردها بهذا الشأن في (سعادات ناصرى) من حيث الأمانة في النقل، وكذلك موضوع الانتحال والسرقة. فيقول: لا يخفى أنني، الأحقر، خادم العلوم، آمل من الخطباء وقراء المراثي:

١. أن لا يغيروا في أسلوب هذا الكتاب ونظمه ومقاصده، وأن يبينوا كل مطلب على وفق النهج الذي دونته بالكتاب.
٢. وأملي الآخر من الخطباء وقراء المراثي أن لا يغيروا ولا يبدلوا في أسلوب ونظم هذا الكتاب عند إيراد أي مطلب من المطالب على المنابر، لأن التغيير والتبديل في أغلب الأحيان يفضي إلى جملة من المفاسد العظيمة مثل الافتراء والكذب، وشيء مما لا يجدر ولا يليق بشأن أصحاب الولاية المطلقة والخلافة العامة -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وربما أدى إلى الطغيان، وأصبح سببًا في الكفر، استجير بالله تعالى من غضبه.
٣. وليَ توقع آخر أيضًا من الخطباء وقراء المراثي، وهو أن أي موضوع من مواضيع

هذا الكتاب، كان صعبًا ولم يفهموه من خلال سبيل الصدق والصواب، وعلى نحو الحق والحقيقة، فعليهم أن لا يتحدثوا به على المنابر، ويكفوا عن ذكره، بل عليهم أن يتعلموا ذلك الأمر، ويدرسوه على أيدي علماء وفضلاء ذلك البلد. وأن يتطرقوا إلى ذلك الأمر بعد اكتسابهم الحذاقة وقوة الفهم به، بتأييد من علماء وفضلاء البلد. وفي غير هذه الحالة - أي عدم تحقق هذا الشرط - فلا يذكروا هذا الأمر، بل يحرم ذكره دون توفر الشرط المذكور.

٤. وتوقعي الآخر من المشاهدين والقارئين لمضمون الكتاب وكذلك الذين ينقلون موضوعات في المجالس والمحافل وعلى المنابر ان لا يتشبثوا بسجية الرذيلة، أي يجتنبوا السرقة والانتحال، بمعنى أن لا ينسبوا إلى أنفسهم بعض مطالب الكتاب، وأن لا يذكروا أمراً قط دون نسبته إلى هذا الأحقر خادم سيد الشهداء -روحي له الفداء- ويجعلوا جهودي وأتعابي الجمة في مهب الريح. أفٍ وأفٍ، وتف وتف، لهذه الصفة الدنيّة الرذيلة، والملكة الشيطانية القبيحة. على أية حال، كل من لا يعمل بالنصائح الوافية والمواعظ الشافية مني، أنا أحقر عباد الله تعالى، سيكون مستحقًا لسخط الله تبارك وتعالى ولعنته، ولعنة أصحاب الولاية المطلقة والخلافة العامة - صلوات الله عليهم أجمعين- . (مقدمة سعادات ناصرى).

وجاء بهذه المضامين ونظائرها في (أسرار الشهادة) (إكسير العبادات:١/ ٦٢٩، ٣/ ٩١٩) وفي (جواهر الإيقان) أيضًا. منها قوله حول شروطه: «إن كل عالم وخطيب ينقل عن هذا الكتاب، أو سائر كتبي، يتعين عليه أن ينقل النص كما قلتُه». كما يشترط أنّ كل مضمون وحديث ينقله من هذا الكتاب: «يجب أن ينقل الحديث أو القول بتمامه، لا أن ينقل صدر الحديث أو القول عني، والذيل عن آخرين». (جواهر الإيقان:ص٤٠). إنه يرى كتاب (الإكسير) من الأهمية بمكان، حتى يصدر إجازة للرواية عنه، وذلك له سابقة تاريخية قديمة، وإن كان الناس في هذا الزمان، بحسب رأيه، قد تخلوا عنها تمامًا. (إكسير العبادات:١/ ٦٣٣).

رؤية الملا آقا ورأيه بعاشوراء

إن ثمة خيوط في المؤلفات العتيدة لأكثر ما يمكن القول إنها عقائد ورؤى الملا آقا بعاشوراء، لكنه حاول في هذا المجال أن يبرزها أكثر بأن زاد عليها زيادات، والأهم من كل ذلك أنه قدمها خطة وخارطة شاملة، ففي روايته وفلسفته لعاشوراء، يستحضر التاريخ والفلسفة والعرفان والفقه (المناسك) والأدب، ليكون معينًا ليرسم هذه الخارطة الشاملة، ليخلق منها بناءً متكاملًا من شأنه فلاح الأوفياء لها. إن الملا آقا يخطط لذلك بوعي ثم ينظر إلى عاشوراء بوصفها ميراثًا مدونًا تتمتع بمكانة لدى الشيعة، وأنماط المراسم التي طغت على حياة الناس، والروايات التي لا حصر لها - من ضعيفها وقويها- في تحليلها، كل ذلك دفعه لأن يخطط كيما يخلق من عاشوراء دينًا بحد ذاته. فبالنسبة له لا قيمة للتفسيرات القديمة لعاشوراء، والحديث عن أسباب وقوعها، فحتى تفسيرات العلامة المجلسي، لم تكن لترضيه، بل إنه يسعى من خلال إضفاء مفاهيم ولائية إلى جانب المفردات العرفانية، أن يعطي هالة للإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء، شبيهة لما أعطي لعيسى المسيح في المسيحية.

إن السؤال الرئيس والأول للملا آقا في المطالب الأولية من كتاب (إكسير العبادات) هو: لماذا استشهد الإمام الحسين عليه السلام؟ وهو يثير هذا التساؤل ليس بشأن الإمام الحسين عليه السلام حسب، بل حول الأئمة عليهم السلام بأسرهم، من أن الله تعالى لماذا لم يكف أيدي الكافرين عن قتل الأئمة عليهم السلام ؟

إن هذا السؤال يطرح نفسه باديء ذي بدء بصيغة أخرى وهي: لماذا عرَّض الإمام الحسين عليه السلام نفسه للشهادة وذهب إليها؟ لقد كان هذا السؤال متداولًا منذ القديم في أوساط متكلمي الشيعة، والسيد المرتضى هو أول مَنْ أثاره وأجاب عنه، ولقد نقل الملا آقا تساؤل السيد المرتضى في تنزيه الأنبياء وجاء بجوابه. ان جواب السيد المرتضى على السؤال تاريخيٌ وكان شرحًا بأن الإمام عليه السلام كان مكلفًا، وثمة احتمال كبير بالظفر، فأقدم

على التوجه إلى مكة ومنها إلى كربلاء وبقي حتى النهاية، فلقد كان احتمال الظفر عاليًا. من الواضح ان الملا آقا لا يرتضي هذا التحليل والتعليل.

ثم جاء بجواب العلامة المجلسي إذ ركز على أن تضحية الإمام الحسين عليه السلام من أجل غفران الذنوب، وفي الوقت نفسه للحفاظ على الإسلام بشهادته. الأمر الجوهري في هذا التحليل، التقدير سلفًا بأن التكليف لم يُعيَّن للامام الحسين عليه السلام وحده، بل لسائر الأئمة عليهم السلام أيضًا فيما يخص الشهادة. تستمر هذا النقاشات عدة من صفحات (إكسير:١/ ٥٦).

هنا يعرض ملا آقا إجابته ورأيه التفكيك بين الظاهر والباطن، ففي الوقت الذي كان الميل للدافع الباطني بالجهاد والمقاتلة، لم يبد الأئمة ظاهريًا الرغبة بالجهاد بسبب انعدام الأعوان والأنصار. الملاحظة المهمة التي تكشف عن مآل هذا البحث، هي أن الإمام كان يعلم بوقوع هذه الحادثة ومكانها، ومن الواضح أنه سار في هذا الطريق عن وعي ولم يكن له شأن بالبعد الظاهري والتاريخي. وفي ضوء هذا العلم بالشهادة والمصير المحتوم والمقدَّر ثمة إشكال هو إن كان عليه السلام واثقًا من أنه لن يُنصر، فلماذا بعث مسلمًا؟ الجواب هو لإتمام الحجة، ورحمة وشفقة بالمسلمين. وعلى هذا المنوال تستمر الأسئلة والأجوبة في هذا المجال (١/ ٥٧-٥٨).

يقول ملا آقا: إن السيد المرتضى بحث وفقًا لمراد العامة أي أهل السنّة فلا يقبل موقفه (١/ ٥٨). ففي رأيه أن أساس الشهادة يعود إلى إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هناك ينبغي الانطلاق بالبحث. إلى جانب تأييده لبعض آراء المجلسي، فإن رأيه يكمن في أنه لولا شهادة الإمام الحسين عليه السلام لفُنِيَ الدين، ولا يراه قد اكتمل، وهو يركز على نظرية الميثاق، وعهد الأنبياء والمرسلين والملائكة، فيما يخص شهادة الإمام الحسين عليه السلام، بوصفها سرّاً إلهيًّا وجوهريًّا، وبوصفه القضية التي بإمكانها تفسير عاشوراء. (إكسير:١/ ٥٩).

في الواقع، لدينا مسار في تحليل سبب استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، يبدأ من السيد المرتضى إلى المجلسي، ومن هناك إلى الملا آقا الدربندي، مما يجعل تفسير عاشوراء تدريجيًا وأكثر ميلًا إلى التقدير. لا بأس أن نعرف أنه يوجه الإتهام للمجلسي أيضًا في بعض الموارد ويرى قوله في العقول المجردة أقرب إلى الزندقة والإلحاد. (إكسير:١/ ٣٦٩).

الملاحظة اللافتة للنظر أن الملا آقا يصرح: إن ما أقوله في هذه الأمور لا تصريح فيه من الأئمة عليهم السلام وإنما هي أمور نستقيها من «أرواحهم القدسية» ولا سيما «حجة العصر» ونتحصل عليها من خلال التوسل بالأئمة عليهم السلام (١/ ٧٢-٧٣).

إن لبحث «الزيارة» أهميته بوصفه مكملًا لمسألة تحليل عاشوراء. فعندما يتوجه الآلاف للزيارة سنويًا وينالون الفلاح، فلماذا لا يجري حديث عنها عند تحليل النهضة والشهادة؟ بعبارة أخرى: إن الملا آقا يرى أن جانبًا آخر من دواعي شهادة الإمام الحسين عليه السلام هو «نجاة العاصين من محبي أهل البيت المعصومين» (١/ ٧٣). ويعدّ اللهفة الموجودة عند الناس للزيارة شاهد صدقٍ على هذا الأمر، فثمة أناسٍ من نساء ورجال وشيوخ وشباب، يتحملون صنوف المشقات، ويذهبون لزيارة الإمام عليه السلام، وكثيرٌ منهم يلقون حتفهم في الطريق. (١/ ٧٤). والرحالة شهود في هذا المجال، وذكروا هذه الموارد.

الشاهد الآخر هو أن كثيرًا من الكفار ومنكري النبوة ينفقون أموالهم في عزاء الإمام الحسين عليه السلام ورثائه. وكمثال على ذلك في زمن الملا آقا كان افتخار الدولة وهو من أمراء لكنهو، مشركاً من الهنود، لكنه شوهد ينفق أموالًا طائلة من أجل الإمام الحسين عليه السلام في شهر محرم الحرام من كل عام. وكانت عاقبة هذا الرجل أن قام بالبحث فيما يخص الإسلام، واعتنق الدين الإسلامي، وجاء إلى كربلاء لغرض الزيارة، وأقام فيها، وقدم الهدايا لحرم الإمام الحسين عليه السلام وقد تم تعليقها في القبة المنورة. وقبل ذلك بسنة توجه هذا الرجل إلى المشهد الرضوي، وهنالك أمور ينقلها ثقاة عنه. (١/ ٧٥-٧٦).

عندما تصبح عاشوراء سببًا للهداية في الدنيا والفلاح في الآخرة وغفران الذنوب -وبأوسع المديات- فلماذا لا تعتبر تخطيطًا شاملًا؟ وفي هذا الصدد ينقل قصة طويلة عن علّامة علماء أهل السنة وهو مفتي روسيا (إكسير:١/ ٧٧-٧٨). إن الملا آقا يعتقد بأن مراسم العزاء تؤدي إلى ان تتعرف شعوب أوربا كشعب فرنسا وبريطانيا على الأحداث التي وقعت بعد رحيل النبيﷺ (إكسير:١/ ٢٠٧). في موضع آخر قدم توضيحات فيما يخص إنفاق المشركين والمجوس الأموال في عزاء الإمام الحسينعليه السلام (إكسير:١/ ٢٢٩-٢٣٠). فمنذ أن حلّت مراسيم عزاء الإمام الحسينعليه السلام في الهند على يد الشيعة ظهرت آثارها في أوساط الهندوس بالمجتمعات التي كان يختلط فيها الهندوس بالمسلمين، كما انهم أثّروا في بعض مراسيم الشيعة في محرم. وقتذاك كان التواصل قريبًا جدًا بين العراق والهند والشعبين من الشيعة في البلدين. وهنالك مبادلات كثيرة بينهما سواء في الكتب والأموال، وقد تأثر الملا آقا بما في تلك البلاد من آثار وحكايا على صلة بعاشوراء. وعندما يجري الحديث هنا عن تأثير ثقافة عاشوراء خارج نطاق المجتمع الشيعي، وفي اطار محاولة إثبات إيمان هؤلاء بهذه القضية، ينوه إلى أهل جوكيا في الهند، أو المرتاضين، الذين يمارسون العجيب من الأفعال. فهو يشير إلى رياضاتهم، وإن هذه الرياضة تؤدي لأن تكون لديهم القدرة للقيام بأفعال مدهشة، ومشاهدة الآثار المعنوية في ما وراء المادة. وفي رأيه إنهم يدركون حقيقة عاشوراء في تلك العوالم، ويكتشفون حقائق عاشوراء كما في رؤيتهم الحيوانات وهي تكف عن الأكل خلال أيام عاشوراء. لذلك فهم ينفقون أموالهم في عزاء الإمام الحسينعليه السلام. وثمة احتمال آخر وهو أن هنالك تعاليم لهم من أوليائهم وأنبيائهم، وهم يألفون عاشوراء متأثرين بهذه التعاليم (إكسير:١/ ٢٣٠).

إن جانبًا من هذه الخطة الشاملة، يشمل حتى الزي في العزاء مما ينبغي إثبات وجوده بنحو من الأنحاء. فلقد استند الملا آقا إلى رؤيا في ما يخص ارتداء الملابس باللون الأسود

في مراسيم العزاء ويقول: هل يصح إثبات حكمٍ شرعي عن طريق المنام؟ جواب الملا آقا هو: نعم يصح «نعم قول المعصوم وفعله وتقريره حجة سواءً كان في اليقظة أم في المنام». (إكسير: ١/ ٢٣١).

على أية حال، ينبغي عدم عدّ كتاب إكسير العبادات مؤَلَفًا على غرار اللهوف، أو مثير الأحزان، وما شابه من كتب. الكتب التي مضمونها الحديث عن واقعة كربلاء بأسلوب روائي وقصصي مقرون باهتمامات دينية وبالاستعانة بمفاهيم سماوية. فنحن الآن نعيش العهد القاجاري، عصر قد برزت فيه نظريات حديثة عند الشيعة. فللشيخ أحمد الأحسائي، وتلميذه السيد كاظم الرشتي، وكثير من تلاميذه الآخرين، إسهامات في بلورة مؤلفات جديدة، وهم يقدمون مباني كلامية حديثة للشيعة. ونحن نشهد في هذه المرحلة النشاطات العلمية للميرزا محمد الأخباري، الذي ينهض بدور لافت للنظر في بلورة هذه المباني. وحتى في أوساط الفقهاء الأصوليين، هنالك أعمال كبرى تحقق وتغير القواعد الفقهية والأصولية. وفي الحقيقة هنالك نوع من الإبداع العلمي الشامل. إن للملا آقا دورًا في إعادة تفسير عاشوراء، وهو يعمل على إكمال الحركة التي سبقته في قزوين وكاشان.

وعلى هذا فان كتاب (إكسير العبادات) كتاب كلامي- تاريخي يقدم تحليلًا عن عاشوراء مختلفًا بتمام الاختلاف، ورغم انه على نحو عام ذو مسار تاريخي لكن موضوعاته تمثل نوعًا ما تتمة لدراسات حول الشيعة بأسلوب الملا آقا وبمواقف قريبة من أفكار الغلو في القرنين الثاني والثالث الهجريين مستندة إلى الولاية. ففي سياق بحوثه التمهيدية في الإكسير ورد بحث «المشتركات بين الأنبياء والأئمة» والتركيز على شأن الأئمة، ولاسيّما مواجهة المشككين بهذه الأمور، واصفًا إياهم بـ «جهلاء الشيعة».

من بين البحوث التمهيدية، هنالك بحث روائي مطول في البكاء، وهو من البحوث المحورية، جعله الملا آقا من البحوث المدخلية لكتاب الأسرار. وفي هذا الصدد فقد أورد

كل ما جال في باله أو جاء في المصادر من تحليل وأسباب. (١/ ٩٠-١٤٥). وفي السياق نفسه جاء بأمور مطولة عن طبيعة البكاء ومجالس العزاء، وإنشاد الشعر فيها، وإهالة التراب والرماد على الرأس، وشق الثياب في العزاء، وغيرها (١/ ١٤٧-١٧٧).

إن قراءة الرثاء في رأيه، من أهم الأعمال، ولغرض إدراك فضل قراءة الشعر، فإن نظم الشعر لا ينحصر باللغة العربية، وإن قول الشعر بغير العربية له ذات الفضيلة والأحكام.

إن التشابيه وعملها، من الموضوعات الأخرى، التي وردت في بحوثه التمهيدية. وجاء ببحث في ما يجري من تعازي في «بلاد العجم» من الفرس والترك وأحكامها. منها ما ذكر بأن الرجال يرتدون ثياب النساء، واصفًا ذلك بغير الصحيح، وغير الشرعي. (١/ ١٨٩). ولا يرى جواز استخدام الطنبور وغيره ولاسيما في عزاء عرس القاسم، وإن كان باعثًا في مزيد من رقة البسطاء وبكائهم. (١/ ١٩٣). رغم أنه إذا فعل ذلك أحد، فيُرجى فلاحُه بحسب رأيه.

وهنا أورد بعض الذكريات عن الشيخ عبد الحسين نجل الوحيد البهبهاني، والوحيد نفسه، عند حضورهم مجالس العزاء والتسامح والتغاضي الذي كان يبديه عن استخدام الطنبور وغير ذلك. إنه يرى أن إخلاص النية عند الوحيد البهبهاني وزهده، هو السبب في بلوغه هذه المرتبة العلمية الرفيعة، بنحو أصبح جميع طلابه مجتهدين (١/ ١٩٥). وينقل قصة عن الوحيد البهبهاني شاهدًا على آرائه، قصة رجل من أهل اللهو والطنبور، يرى في المنام شخصًا قد حسُن مثواه، فسأله عن السبب، فأجابه بأنه كان أحيانًا يعزف عند خلوته ويقرأ) وامصيبتاه وا سوأتاه وا ويلاه/ قتل حسين وا ويلاه) فكان هذا الأمر سببًا في خلاصي يوم القيامة. (١/ ١٩٤-١٩٥). وذات مرة كان شخص في درس الوحيد، فأخذ يقرأ مرثية للحسين عليه السلام ويقرأ الشعر بطريقة الغناء، فنهاه السيد مهدي الحائري عن فعله، لكن الوحيد قال له: يا مهدي اسكت، ولا تكن مانعًا لقراء المصائب! ثم قال لذلك الرجل: اقرأ ولا تخف. ثم أورد تفصيلًا لأدب زيارة الوحيد إذ كان يقبّل بقعة على

مقربة من الحرم، كانت موضعًا لخلع الأحذية. (١/ ١٩٦). وهكذا أخذ الملا آقا بالتمهيد للقول بأن الممارسات المذكورة ممكنة، بل لعلها خالية من الإشكال بعد أن كان يركز على عدم صحتها بفتواه.

وبالنتيجة، أصبح مشوشًا، ومن أجل وضوح الأمر، سأل نفسه: ما التكليف بالنسبة للمجالس التي تتضمن هذه الأمور الخاطئة مثل الطنبور والتشابيه؟ فيقول في الإجابة: في الحالات التي تكون هذه الأمور باعثًا في زيادة الحاضرين وبكائهم ونياحتهم، لن تكون لي الجرأة على القول: «أنا لا أحضر هذه المجالس «أو أن أقول: إن الحاضرين يرتكبون معصية» بل أقول: «كلنا غارقون بالمعاصي/ وعندنا حسين واحد» (إكسير:١/ ١٩٦-١٩٧).

من الظريف أن نعرف أن الملا آقا، يقوم بتوضيح بعض مسائله، وتفهيمها، وبيان شرعيتها، والتمهيد لتثبيتها في ذهن المخاطَب من خلال القصص، وفي سياق هذا البحث، ينقل قصة عجيبة عن التعازي في بلاد الهند بأن الناس في مجلس للعزاء احتدَّوا إلى الحد الذي جرّدَ كل منهم سيفه واحتز رأسه، وهذا الأمر دفع آصف الدولة إلى حظر مجالس العزاء (١/ ٢٠١). إن فتوى الملا آقا هي من انتحر، فإن مصيره إلى جهنم، لكن هؤلاء إنما فعلوا ذلك غيرةً لآل رسول الله، ولفرط محبتهم لهم! إن هذا التحليل ينبغي أن لا يكون بعيد الشبه بما زعمه التوابون.

وثمة حكاية أخرى من الهند عن شخص ثريٍّ ينصب العزاء في محرم من كل عام، وفي إحدى السنين غضب حاكم المنطقة بسبب الضجيج الذي يتسبب فيه، فصادر أمواله، فأشارت عليه زوجته- إذ لم يعد ذا مال للعام المقبل- أن يأخذ ابنه إلى مكانٍ بعيد، ليبيعه وينفق ثمنه للعزاء في محرم، فذهب إلى منطقة نائية وإذا هو بشابٍ اشترى طفله! فتسلم الثمن، وعاد إلى بلدته وأخذ يحدِّث أمرأته بما جرى، وإذا بهما ينظرون ابنهما قد دخل عليهما، فقال: لما ذهبت أخذت بالبكاء فسألني الرجل عن السبب، فقصصتُ له الأمر،

فقال: أنا ذاك الذي يريد أبوك ان يقيم العزاء من أجله [الإمام الحسين]، أنا الغريب المشرَّد، أنا الذي قتلوني عطشانا...[إكسير العبادات:٢/ ٥٦٢-٦٥٥].

نشر الإسلام هو الغاية من مراسيم العزاء للإمام الحسين (عليه السلام)

إن للملا آقا رؤية أخرى لعاشوراء ومراسيمها، وهي أنه يرى إقامة المراسيم في عاشوراء مؤثرة في نشر الإسلام، والتفاتته هذه لطيفة، وعلى قدر من الحداثة. فنحن نتذكر أن الأجانب في هذه الأيام كانوا يحضرون في مراسم العزاء والتشابيه التي تقام في طهران. ومما يكتبه في أسرار منزلة شهادة الإمام الحسين عليه السلام: «وبسبب هذه المنزلة يذيع صيت الإسلام، وتصل أخباره إلى جميع الآفاق والأمصار والبلدان والأقاليم، فبإقامة مجالس العزاء، ومحافل الرثاء لسيد الشهداء عليه السلام شهرياً، بل إسبوعيًا، ستنقلها الجرائد التي يكتبها سفراء ومبعوثو الدول الأجنبية، وتحمل الأخبار، وطبيعة الأوضاع إلى كل مكان، وكل بلد وإقليم. (سعادات، ص٣٨، ويُنظر أيضًا: إكسير:١/ ٢٠٧).

من الأعاجيب التي يصر عليها الملا آقا كثيرًا، مقتل ثلاثمئة ألفٍ على يد الإمام الحسين (عليه السلام). ولتوجيه هذه المسألة، يجري مقارنة بين أرواح أناس عاديين من أمثالنا بروح شخص مثل الإمام الحسين عليه السلام، ويقول: «بما أن أرواحنا وأنفسنا ليست كاملة وقاهرة وباهرة، فإن كل روح لا تتعلق بأكثر من جسد وبدن مثالي واحد» في حين أن «نفوس وأرواح محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) بما أنها نفوس قدسية كليًا، وأرواح نورانية قاهرة وباهرة، فإن كلًا منها يتعلق بألفي ألف من الأبدان المثالية، والأجساد البرزخية». وتظهر نتيجة هذا الأمر عدد القتلى على يد الإمام الحسين عليه السلام، «الإمام الحسين عليه السلام بروحه النيرة الطاهرة، ونفسه القاهرة الباهرة، قد تعلق بأبدان كثيرة وأجساد برزخية وفيرة، بمعنى أن قتاله وجهاده لا يتحدد بهذا البدن الأولي والدنيوي، بل قاتل وجاهد بهذا البدن وبالأبدان الكثير المثالية، والأجساد الوفيرة البرزخية». ورغم

هذا التوجيه الذي ربما يستطيع توجيه هذا العدد، فإنه يرجح القول «إن قتال وجهاد سيد الشهداء عليه السلام لم يكن إلا ببدنه الأصلي والدنيوي، الذي ولد من بطن الطاهرة المطهرة الصديقة العظمى والحجة الكبرى، فاطمة الزهراء عليها السلام»، وفي هذه الحالة ينبغي أن نقول: إن يوم عاشوراء دام ٧٢ ساعة للقبول بهذه القضية: «لا مناص ولا حل إلا أن نقول ونعتقد بما جرى، أي: إن يوم عاشوراء طال كثيرًا، وكان بما يقرب من اثنتين وسبعين ساعة». إن إنكار هذه الساعات الاثنتين والسبعين، يعني إنكارًا للثلاثمائة ألف قتيل، وهذا يفضي إلى إنكار الشجاعة الهاشمية. (سعادات: ص٤٤-٤٥).

وفي موضع آخر يعيد بحث المقارنة بين أرواحنا وأرواح الأئمة، ويخرج بنتيجة أن أرواحهم عليهم السلام بما أنها «أرواح قاهرة جبروتية شعشاعية» فإنها قادرة على أن تحل في أربعين قالبٍ في آن واحد، ويصل هذا الرقم إلى عشرات ومئات الآلاف، من هنا لو مات عدد كبير فإن أمير المؤمنين يحضر جنائزهم. (سعادات ناصرى:١٥٧). أي: هذا التحليل يعالج له بعض الإشكالات التي تواجهه في القصص التي ينقلها عن عاشوراء، ولا سيما تلك التي حصلت لجسد الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته. في جانب آخر يستند إلى هذا الأمر في ما يتعلق بتحمل العطش والمشاق، التي لا حصر لها في آن واحد «إن أبدان أصحاب الولاية، تتحمل الجراحات ونزف الدماء أكثر من الآخرين، وكذلك تحمّل العطش». (إكسير العبادات:٢/ ٧٤٦-٧٤٧). فضلاً عن ما ورد في الروايات بأن الإمام الحسين عليه السلام قد اشتمَّ رائحة تفاحة من الجنة في تلك الأثناء، فكان لها أثر في تخفيف العطش عنه (إكسير:٢/ ٧٤٧). إنه يعدّ كل هذه التفسيرات بمنزلة استنتاجات دقيقة استفادها وقام ببيانها من خلال الكتاب والسنة. (إكسير:٢/ ٧٥٣).

الفاضل الدربندي تحت ظلال الحكايات

إن مصادر ترجمة الملا آقا، تتفق تقريبًا على أنه كانت له طرائقه الخاصة به في التعزية، وكان في هذا المجال على قدرٍ كبير من الجدية مقارنة بالآخرين. وقد صدرت عنه تأكيدات كثيرة بهذا الصدد في (سعادات ناصرى) ومواضع أخرى. منها قوله: «أوصي الشيعة على الدوام بالالتزام باحترام مجالس ومحافل التعزية وتبجيلها وتعظيمها، وأن يعتبروا ذكر مصاب سيد الشهداء من الأمور المهمة، وأن لا يغفلوا الآداب والأفعال الحسنة ظاهرية كانت أو باطنية مثل الطهارة والخشوع والخضوع وتجنب المساجلات الدنيوية ونحو ذلك». فبعد إيراده لهذا الأمر في المجلس والمقام الخامس من (سعادات ناصرى)، أنحى باللائمة على الذين يحضرون هذه المجالس وينشغلون بشرب الماء وتدخين الغليون، ولما كانت حشود من الملائكة والأرواح المقدسة للأنبياء والأوصياء، وكذلك الأرواح المقدسة للسيدات خديجة الكبرى وزينب وأم كلثوم وسكينة ورقية، تحضر في هذه المجالس، فقد طلب من الحاضرين احترام هذه المجالس، ولا سيما إذا كانت في المساجد، وليعلموا أن في كل مسجدٍ قطرةً من دم الإمام الحسين عليه السلام. (سعادات، ٢١٨). لطالما ذكَّر الملا آقا بهذا الأمر في مواضع شتى بل يقول: «ليس ثمة مسجد على وجه الأرض إلا وبني على قبر عدد من الأنبياء أو الأوصياء، أو نبي أو وصي، أو قطرة من دم نبي أو دم وصي». (إكسير العبادات: ١/ ٤٦٧).

ينقل في كتاب (سعادات) نفسه قصة عن رؤيا الحاج ميرزا أحمد ساعت ساز التي يقول بأنها تعود إلى سنة ونصف سبقت تدوين نص كتاب (سعادات). والرؤيا طويلة، فقد شاهد قبرًا في حرم السيد عبد العظيم لأحد الأشخاص قد نبشوه، وهنالك طريق من القبر مفتوح باتجاه الجنة، يسلكه صاحب القبر إليها، فطلب هو أن يكون له قبر فيدخل هناك، فدخل هناك وذهب إلى الجنة من ذاك الطريق الذي لا رجعة فيه، وهناك شاهد حديقة قد جلس فيها سيدٌ عظيمٌ شأنه وإلى جانبه الملا آقا، فطلب من الملا آقا أن

يتوسط له ليرجع إلى الدنيا، فرضي ذلك السيد بشرط أن «يقيم عزاء سيد الشهداء على نحو حسن». وكأن خطابه كان موجهًا للملا آقا بأن يفعل هو ذلك أيضًا. يقول ميرزا أحمد: ثم دخلنا أنا وأنت-الملا آقا- صحن عبد العظيم، فأمرتَ بتجهيز المنبر ثم أوعزت إلى خطيب أن يرتقي المنبر لـ «يقرأ المصاب»، ثم أتيت الصحن فنصبوا المنبر وأوعزت إلى أحد الأشخاص أن يرتقي المنبر، ويذكر مصاب سيد الشهداء ففعل، ثم قدمنا إلى طهران، فكنتَ تأمر عند كل مائة خطوة أن يُنصب المنبر، ويُذكر المصاب، إلى أن وصلنا «آب متكا»، وجرى الأمر على ذات المنوال غير أن الفرق هو أنك ارتقيت المنبر بنفسك وذكرت المصاب. واصلنا الطريق فشاهدنا تابوتًا قادمًا قد تناول أطرافه أربعة رجالٍ، وربطت يد الجنازة بسلسلة، فأصابك الغم لأنهم يسوقونه للعذاب بتلك الحالة، فقلتَ لهم أن يضعوه على الأرض، وكنتَ تبحث عن السبب في تكبيل يد هذا الميت بالسلاسل، وهو بين هذا الحشد من المعزين. فلما وضعوه على الأرض، وجدناه لم يمت بل كان حيًا، فقلتَ له: انهض واذهب بين المعزين «ولا تخف ولا تحزن»، لكنه بقي خائفًا. ثم واصلنا الطريق وأنتَ تنصب المنبر وتذكر المصاب، والرجل برفقتنا إلى أن بلغنا «بوابة طهران» وهناك أمرتَ بأن «يُنصبَ منبرٌ» وكان عدد الحاضرين كبير جدًا، ومع ذكرك للمصاب كانت «أصوات وعويل الباكين والنادبين تصل عنان السماء» هنا يقول ميرزا أحمد: «استيقظت من النوم لفرط الرعب والدهشة» وجاء للملا آقا يقص عليه ما جرى، فتوجه الملا آقا بالسؤال لميرزا أحمد: هل ذاك الرجل الذي كان في التابوت حيٌ الآن أو هو ميتٌ؟ قال: بل هو حيٌ، قال: ما اسمه؟ قال هو «من العظماء والأمراء ومن خواص ملك الملوك الأعظم ناصر الدين شاه» لكنني أخشى ذكر اسمه، بيد أنه أفصح عن اسمه بإلحاح من الملا آقا، وقال: هذا الرجل هو «مقرب الحضرة الخاقانية الأمير الأعظم اعتضاد السلطنة علي قلي ميرزا». يقول الملا آقا: «في يوم الجمعة صرحتُ من على المنبر: إن الرؤى التي يراها بعض المؤمنين الصادقين، وبعض المؤمنات، وينقلونها لكم في هذا المسجد، إنما هي ظهور شأن من شؤون المنامات، وبطن من بطونها. ثم أخذتُ بسرد

المنام الذي رآه ميرزا أحمد، ولكن دون التطرق لاسم الأمير المذكور».

يقول الملا آقا: إن خلاصة تلك المنامات كانت: «إن السيدة ... فاطمة الزهراء... أبلغت الرجال والنساء في عالم الرؤيا أن عذابًا عظيمًا، وبلاءً عميمًا، كاد أن ينزل بأهالي طهران بسبب تفشي المعاصي، وارتكاب الجرائم، وكبائر الذنوب في طهران، لكن الحق تعالى، بفضل رحمته الواسعة، لم يرسل هذا العذاب والعقاب لأهل طهران، ببركة التعازي التي يقيمها فلان (الدربندي) في المسجد الجامع خلال شهر محرم وأيام الجمعات. فقولوا للدربندي عني أن لا يَدَعَ ذكر مصاب قرة عيني الحسين المظلوم العطشان في أيام الجمعات مادام هو في طهران. وقد تكرر نقل هذه المنامات عدة من مرات في ذلك المسجد الجامع، أي: عندما كنتُ ارتقي المنبر، كان هنالك رجل معروف بالصلاح والتقوى والإيقان والإيمان، يقف عند المنبر قبل أن أبدأ بالخطابة، ويصيح بأعلى صوته: يا أهل المجلس إسمعوا.. ثم يأخذ بنقل منام» فلان العادل الثقة». (سعادات: ص٢١٢).

يقول الملا آقا: « بعد شهرين أو ثلاثة التقيتُ الأمير اعتضاد السلطنة في مجلس فاتحة، وقصصتُ عليه رؤيا الحاج ميرزا أحمد من أولها حتى آخرها، فتغيرت ملامحه وغطَّ في تأملٍ، فقلتُ له: «على رسلكَ، واعلم أن سبب الخلاص منحصرٌ في زيارة سيد الشهداء عليه السلام، وإقامة العزاء لهذا الإمام المظلوم، فإن لم تكن قد أقمت العزاء لخليفة الله من قبل، فعليك أن تقيم عزاءً عقبَ هذا المجلس، وإن كنتَ تقيمه فعليك أن تقيمه على الوجه الأحسن والأكمل والأتم». (سعادات: ص٢١٣).

وله حكايات أخرى عن كرامات شاهدها في حياته، وهي على صلة بعاشوراء وأهل البيت عليهم السلام على نحو من الأنحاء، ومثال على ذلك، ينقل قصة من العهد الصفوي في لقاء سفير الروم مع الشاه بحضور الفيض الذي قبض على تربة الإمام الحسين عليه السلام وطلب من سفير الروم -الذي كان يدّعي مهارته في النجوم والرياضات- أن يخبره عما في يده، فأجابه: «ما في يدك تربة من تراب الجنة» فردَّ عليه الفيض: قد أخطأت إنها تربة الإمام

الحسين عليه السلام. (إكسير العبادات: ١/ ٥٢٤).

ومن قبيل هذا الحكايات مثال في (سعادات ناصرى): «قضية وقعت في النجف الأشرف بيوم الغدير قبل ما يقرب من خمس سنوات من الآن، وكنتُ أنا في ذلك المكان الشريف». يقول الملا آقا: إن الحرم يزدحم كثيرًا في صبيحة أيام الغدير، لكنه يخلو عند العصر، فيذهب هو إلى الحرم عصرًا، ويزور ويصلي ثم يعود. «وقعت حادثة عجيبة وغريبة قبل ثلاث ساعات من الغروب»، «إن رجلًا من جماعة الحايطة، أي: جماعة خيالة الروم حاول الدخول إلى الرواق بحذائه، فصاح به القائمون على مخلع الأحذية لكنه رفض، وعندما همَّ بدخول الرواق ارتفعت صيحة من ذلك الرواق فطار في الهواء بقوة بقدر ذراع أو ذراع ونصف، وسقط على المرمر، فحمله أصحابه إلى الدار على ما كان عليه فاقدًا للشعور والحركة، ثم جاؤوا به إلى الحرم لعل الإمام يرأف بحاله، فساءت حاله أكثر هناك، فصدر الأمر من قلعة الحاكم -وكان من أهل السنة- «بأن يربط حبلٌ برقبته ويؤتى به إلى القلعة». «وعندما أخذوه إلى القلعة، اجتمع حشدٌ من الناس عربًا وعجمًا في الأزقة والأسواق للفرجة، فأخذوا يصيحون ويولولون ... فمات في تلك الليلة بالقلعة». (سعادات ناصرى: ٢٢٥).

أما القصة الأخرى التي حدثت - بحسب قوله- في ذات السنة بل في تلك الأيام، فتتعلق برجل من بلاد العجم، وهو من خدام السفير الحاج ميرزا محمد خان، والذي حاول اتهام امرأة وابتزازها بالمال، فالتجأت إلى حرم أبي الفضل العباس عليه السلام واستجارت به «فدخل ذلك الرجل الغدار عديم الحياء إلى الحرم وحاول إخراج تلك المرأة المسكينة» فنادت: «أنا دخيلة عندك يا أبا الفضل، وتعلقت بشباك الضريح المقدس»، فجرَّها الرجل بقوة وأخرجها من الحرم، «وأخذ منها ما كان يريد». بعد يومين أو ثلاثة «توجه الحاج ميرزا محمد خان إلى النجف الأشرف لأداء الزيارة الغديرية، وعند وصولهم البحر استقل هو وخواصه طرادًا، فيما استقل الخدام والعبيد طرادًا آخر، وكان ذلك الرجل

في زمرة الخدام، وفي زاوية من الطراد أخذته سِنَةُ النوم وتصور أن يخلد للراحة، وأخذ يحرك يديه بهذا الاتجاه وذاك، وتعلقت إحدى يديه بطرف الطراد وإذا بريح عاتية تهب في تلك الأثناء، واتفق أن جاء طراد من الجهة المقابلة بسرعة خاطفة كالشهاب، وبسبب شدة الرياح ارتطم بقوة بهذا الطراد من الجهة، التي كانت يد ذلك الرجل معلقة بها، فتهشمت يده من أعلى المرفق وقريبًا من منكبه، وكانت هي تلك اليد التي جرَّ بها المرأة المسكينة». يقول الملا آقا: « كنت في تلك الأيام بالنجف الأشرف فجاؤوا به واجتمع عليه الجراحون وعاينوه، فقالوا: إن ما جرى بسبب الغضب والسخط الإلهي لا يمكن علاجه».[سعادات ناصرى،ص٢٢٥-٢٢٦].

القصة التالية حكاية عن كرامة وقعت في الكاظمية، في حرم الجوادين عليهما السلام، وفي حينها كان الملا آقا يروم القدوم إلى» العجم [أو إيران]» وهي قصة امرأة كانت مدينة لرجل فقال لها: إنْ أنكرتِ فضعي يدك على الشباك وأقسمي، فوضعتها وأقسمت زورًا «فالتصقت يداها بالشباك» حتى عجز خمسة من خدام الحرم عن فصلها. (سعادات ناصرى، ص١٢٧).

هذه قصص يمكن أن تحكي الأوضاع في النجف يومذاك من خلال رؤية الملا آقا. وهنالك قصص قديمة ينقلها في هذا المجال أيضًا.

وفضلاً عن هذه الحكايات، هنالك حكايات عن حضور الجن أو الملائكة وظهورها في المقابر أو غيرها من الأمكنة، وحديثها مع أشخاص في هذا الصدد، أي: عن أهمية العزاء، وفلاح الناس. إن الملا آقا لا يتوانى عن الاستعانة بهذه الحكايات ونقل مصادرها. ومن جملتها القصة التي نقلها الشيخ جواد نجل الشيخ حسين المعروف بابن النجف التبريزي من أصحاب السيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم، وقد رأى جماعة من الفرسان فتصور باديء الأمر أنهم فلان وفلان، فسلَّم عليهم، لكن أحدهم قال: نحن من «حزب الملائكة» جئنا لتشييع فلان الأهوازي «أو الهويزي». إن حكاية حديث

الملائكة وما جرى طويلة، وغاية الأمر أن هذا «الهويزي» لم يكن عالمًا ولا سيدًا من السادة، وإنما من المحبين لأهل البيت عليهم السلام، وكان يقيم مجلس العزاء في العشرة الأولى من المحرم، ويطعم الطعام، ويدفع أموالًا مجزية للخطباء. (إكسير:١/ ٢١٥).

ونقل جواد بن الشيخ حسين أيضًا حكاية أخرى في هذا المجال عن رجل بصري، وهي حكاية نصراني بعد أن طوى مسارًا طويلاً من مشاهدة العجائب في هذا المضمار، فطلب أن يعلموه كلمة الإسلام، ليصير مسلمًا. (إكسير:١/ ٢١٦-٢٢٠).

وينقل قصة قتل شاب شيعي على يد رجل يدعى «الكلب الخنزير الساحر»، في حينها، كان شاب لا معرفة له بتعاليم الدين، ولم يك يؤدي أيًا من الفرائض، قد قرر قتل القاتل، وهكذا فعل، فأقدم أصحاب ذاك القاتل على قتل الشاب الشيعي، فحلّت روحه في قصر بالجنة، إذ ألقى الكفار جسمه في وسط حطب كثير قد جمعوه، لكن النار، بعد ثلاثة أيام، لم تؤثر فيه أبدًا. (إكسير:٢/ ٤٠٩).

زعفر الجني يحضر عند تلميذ في الحجرة للدفاع عن نفسه

يقول الملا آقا: إن مجموعة من العلماء الصالحين نقلوا هذه القصة عن أحد العلماء الذي قال: إن طالبًا كان ثقة في قوله قال: عندما كنت في إحدى مدارس أصفهان، منشغلًا بقراءة كتب المقاتل، كان يخطر في ذهني أحيانًا أن زعفر الجني قد رجع من كربلاء، ولم ينصر الإمام الحسين عليه السلام. ويقول: كنت أردُّ أنه معذور في عودته من كربلاء، إذ لم يؤذن له بالجهاد. في تلك الأثناء فتح شخص باب الغرفة ودخل، ولقد كانت الباب مقفلة، فقال لي ذلك الشخص: لا تخف أنا اخوك زعفر الجني، جئتُ أزورك وأعاتبك، لأنك تلومني بسبب عدم نصرتي للحسين عليه السلام. ثم قال لي: أيها الأخ! إنك لم تبلغ الحقيقة حتى الآن، فلقد أتيت كربلاء مع عسكري، وكانت كربلاء مشحونة بعسكر الجن، وكان أولئك الجن يصحبهم ملوكهم وسلاطينهم، وكنت أنا أصغرهم، وكان ما بين السماء

والأرض مشحونًا بالجن أيضًا، وكلُّهم حضروا عند الإمام عليه السلام، وسلّموا عليه، وطلبوا الإذن بالقتال، ولقد كنتُ على مسافة أربعة فراسخ عن الإمام، ولم يكن هنالك مكانًا خاليًا سواء في الأرض أو في السماء، تكلم الإمام معهم جميعًا، ولم يأذن لأحد من الملائكة والجن بالقتال، فعادوا بأجمعهم إلى أماكنهم. بقيت أنا في كربلاء، ونزلت مع عسكري في إحدى الزوايا نبكي ونلطم، وبعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ورحيل الكافرين تابعناهم لتقديم ما نتمكن عليه من خدمة للأطفال والحرم. وقبيل الغروب وصل الكفار إلى الكوفة، ولم يستطيعوا دخول المدينة، فمكثوا وأخذوا بحراسة الرؤوس، فجاءهم ذووهم بالطعام في حين بقي أطفال رسول الله جياعًا، فجاءت فضة إلى زينب وقالت لها أن تدعو، فصلّت ركعتين ودعت، فنزل وعاء من السماء مملوء باللحم وعليه الخبز... قال زعفر: هذه حكايتي وأقسم بالله إننا لم نفترق أبدًا عن أهل البيت [عليهم السلام] من يوم عاشوراء حتى وصولهم إلى المدينة (إكسير العبادات: ٢/ ٧٩١-٧٩٣). كان خطباء المنابر في تلك المدّة ينقلون هذه الحكايات، ومئات مثلها لغرض الاستعانة بها في تقوية التعازي.

حكايات أخرى

يستمر في نقل الحكايات، ومن ثم يقول الملا آقا: إياكم أن تكسروا قلب أحدٍ من المعزين لآل الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم].

الحكاية الأخرى أتى بها خطيب يدعى السيد جعفر الحائري الذي كان يقرأ التعازي كل أسبوع في بيت من بيوت كربلاء، وفي إحدى المرات لم يكن في البيت أحد سوى صاحب الدار، وإذا بصوت قد ارتفع، فذهبنا، وإذا بنا نجد قطة قد جلست إلى جنب المنبر تستمع للحديث وتبكي.

تلت ذلك قصة أيضًا أوردها عن نسوة من البحرين، شاهدن العجائب والغرائب

في مجالس العزاء. فذات مرة دخلت مجلسهن عدة من النساء: الأولى السيدة أم كلثوم، والأخرى السيدة زينب، والثالثة السيدة خديجة...الخ. وحصلت بينهن أحاديث. إن تأكيد الملا آقا هو وجوب الاقتناع بهذه الحكايات عن أناس موثوقين: «فعليكم ثم عليكم بالقبول لحكاية المخبرين الثقات... إياك إياك وأن تفعل شيئًا من الاستبعاد والاستنكار، فتكون من المبعدين المطرودين عن حوض الكوثر».

وفي السياق ثمة حكاية عن السيد مهدي الغروي القزويني، الساكن في الحلة، حول إحدى الشخصيات في بغداد، والمنام الذي رآه، والابتلاءات التي أصابته. (إكسير:١/ ٢٤٣-٢٤٧).

ذات مرة رأى شخصٌ فتح علي شاه في المنام، وهو على أحسن حال، وقد جلس وهو متجلبب بزي السلطنة، معتمرًا التاج، فسأله عن السبب في بلوغ هذه المنزلة، فأجاب: إنني ما بلغت هذه المنزلة إلا لأنني استيقضت ذات ليلة من شدة العطش، ومهما ناديت على الخدم والحاشية، لم يأتني أحد وهممتُ أن أعاقبهم، فتذكرتُ عطش الإمام الحسين (عليه السلام)، فأخذت بالبكاء، ولشدة العطش أُغميَ عليَّ. «فهذه الموهبة العظمى والمرتبة العليا التي أنا عليها إنما هي بسبب عملي ذاك». (إكسير:١/ ٢٥٥-٢٥٦).

وينقل قصة عن مريخ شاه، ابن أخ فتح علي شاه في هذا المجال، ويقول: إنه متوفى قبل عشر سنوات [من زمن تأليف الكتاب] [إكسير:،] إنه وإن كان شاربًا للخمر، ولا يفارقه بأي حالٍ، لكنه كان يذكر الإمام الحسين عليه السلام، وقد شوهد في المنام وقد حسُنَ مستقره، فعزا السبب إلى ذلك. يقول الملا آقا: إنه سمع هذه الحكاية عن رجل ثقة ما زال على قيد الحياة.

وفي موضع ذكر إصابته بالطاعون، وما كان عليه من شدة، حتى يئس منه ذووه، فلقد كان يشعر بالعطش وتعتريه الحمى فيغمى عليه، فيقول: كنت أتصور لو جاؤوني

بكل ما في الدنيا من ثلج فلن يبرد بدني، وأنا على تلك الحال تذكرت عطش الإمام الحسين عليه السلام، وأخذت أسلم على الحسين، فتحسنت حالي. يقول صديق لي: حينذاك جئتُ عندك، فوجدتك تردد: يا أبا عبد الله روحي لك الفداء، وكنت أسمع الجدران تقول: سيشفى فلان. قال لي الباقون: كيف تتحدث بهذا فهو- أي الملا آقا- في حال الاحتضار. لكنني كنت أشعر بذلك. ثم إنه كان يتحدث منذ أن كان الطبيب، أي: أسد الله طبيب الشيرازي، يعالجه في حال الاحتضار. (إكسير:٢/ ٤٨٤-٤٨٧).

منهج الملا آقا في الاستناد

لعل منهج الملا آقا هو ما كان متعارفًا عليه، حتى أن الملا حسين قد اعتمده في روضة الشهداء، ويقوم على ذكر مصدر ما يرويه. فموارد الرواية المباشرة من المصادر هي الكثير من الأمور التفسيرية، وتحليلاته الشخصية، تتخللها حكايات إما يكون هو شاهدًا عليها وإما ينقلها عن آخرين.

لقد تحدث الملا آقا في موضع من بحوثه التمهيدية في (إكسير العبادات) عن وثاقة مصادره فقال: ما أوردته من أخبار وروايات ومنامات، هو إما من كتب قديمة مهمة، أو من كتب المتأخرين مثل مؤلفات المجلسي، والشيخ الحر، وصاحب عوالم العلوم، وهؤلاء أخذوا عن المصادر القديمة. فلا مجال للشك فيها مطلقًا! تلا ذلك بالحديث عن «الكذب» وأنه في غاية السوء، وعمل غير صالح. وقد تطرق إلى الروايات الموضوعة والكتب التي تختص بالأخبار الموضوعة والمفتعلة قاصدًا من ذلك إثبات انه ليس مؤيدًا لنقل الأكاذيب باسم الدين أبدًا. (إكسير:١/ ٦١٤-٦١٥).

ويواصل فيقول، ان الغاية من هذا الحديث هو القول ليس صحيحًا نقل أمور لا أصل ولا أساس لها في مؤلفات العلماء والمؤرخين وأخبارهم وكتبهم، وهنا تناول بالبحث

موضوعًا خاصًا ربما أشكلوا عليه فيه وهو النقل عن الشيخ حسين بن عصفور البحراني، المتهم بأنه كان يرى صحة وضع الأخبار الخاصة بمضاعفة عدد الأعداء في كربلاء بغية زيادة حدة البكاء والحزن. وهو يرى ذلك اتهامًا خاطئًا: «فليس هذا الانتساب إلا من الفرية المحض ومحض الفرية». (إكسير:١/ ٦١٦). وهنا يطرح سؤالًا وهو هل يمكن القبول بروايات ضعيفة وردت في كتب معتبرة؟ وكيف الحال مع الشعر بالعربية والفارسية؟ وما جاء تحت مسمى لسان الحال؟ يقول الملا آقا: كذبٌ كذبٌ وحكمها كلي، لكن نقل الروايات الضعيفة أو ما كان منسوبًا لغير المعصوم لا إشكال فيه لأننا لم نقطع بكذبه. وبطبيعة الحال إن كانت هذه الأخبار لا تتعارض مع القطعيات العقلية والنقلية لا ينبغي نقلها للعوام وانما هي خاصة بالعلماء الحاذقين. (إكسير:١/ ٧١٧).

هكذا الحال بالنسبة للكتابات المجهولة الكاتب، أو تلك التي وردت في دفاتر قديمة (١/ ٦١٨). فيقول: إن ما ينقل تحت عنوان لسان الحال حيلة للإفلات من «الكذب» (١/ ٦١٩). بالنسبة للمطالب التي تأتي في الشعر، والأخبار والمطالب التي لا رواية فيها، يقول الملا آقا: إن كان قائل ذلك الشعر من العلماء والمحدّثين الكاملين فيصح اعتبارها في حدود الروايات المرسلة والضعيفة ونقلها طبعًا. «فيجوز ان يروى ذلك كله»، وبالطبع تكون العبارة المستخدمة في النقل هي: «قد روى بكذا وكذا». ثم يقول: ربما يمكن أن يقال هذا بالنسبة لجميع الشعر، لأنه يصح على أية حال وينبغي حمل عمل المؤمن على الصحة. (١/ ٦٢٠). وبهذا فإنه يثبت أن مباديء النقد موجودة، وعلى أية حال إنه يمهد لورود أي رواية ضعيفة، ما لم يكن الشخص نفسه متشددًا.

في موضع آخر يأتي بنقل عن مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله «ليلة الفراش» والأمور التي أعقبته، ويقول بعد ذلك: إن هذه الرواية فاقدة للصحة والاعتبار، بل هي ضعيفة استنادًا لمنهج جميع العلماء من أصوليين وأخباريين. وفيها موارد شاذة يعلمها المتتبع الحاذق. ومع ذلك فإن القبول بها ليس يتعارض مع أيٍّ من الأصول عند

الإمامية. وبناءً على ذلك لا إشكال في نقل أمثالها (إكسير:٢/ ٦٢١). يقول الملا آقا: إن وجود الموارد الشاذة في ما بين النقل، يترتب عليه الظن بكذبها فقط، أما لازمتها فهو لا يمكن الحكم بكذب الرواية من أساسها. (إكسير:٢/ ٦٢٢). واستنادًا لذلك فإنه وجّه الموضوعات التي وردت في تفسير الإمام العسكري عليه السلام على الرغم مما قيل عن ابن الغضائري في عدم صحة نسبته للإمام العسكري عليه السلام، ويقول: في مقابل ابن الغضائري، يرى الشيخ الصدوق ثبوت نسبته (إكسير:٢/ ٦٢٣).

تؤكد هذه الموارد أن الملا آقا على معرفة بمناهج نقد الحديث، لكنه يرى هيمنة المنهج الذي يمتلكه في تقبل الروايات المؤيدة لقناعته، على نمط النقد. فهو في الحقيقة لا يدع مجالًا لدراسة السند، فالمهم أن يكون منسجمًا مع غاياته العامة، ورؤيته الجوهرية. إن الملا آقا - في الحقيقة- عارفٌ بمصطلحات السند والمتن ونقدها، لكن ما نحا به في هذا الاتجاه ميله الخاص للأخبار التي تنسجم من حيث الظاهر مع سليقته الفكرية. لقد خصص قسمًا مهمًا من المجلد الأول من (إكسير العبادات) للأخبار المتعلقة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام وأحكامها، إذ جاء بها إلى حد الوجوب وحرمة تركها. وأشار مرارًا إلى أن هذه الأخبار وإن كان كلٌ منها في بابه وموضوعه من أخبار الآحاد، وإن كثيرًا منها فيه إشكال «وإن كان كل واحد واحد من الآحاد، وطائفة كثيرة غير نقية الأسانيد على اصطلاح المتأخرين» لكنها من حيث المضمون في حد «التظافر والتواتر المعنوي» بل «التواتر اللفظي الإجمالي». (إكسير:١/ ٤٨٣).

وربما يكون تهربًا منه من نقد السند، أو لعدم ايلائه اهتمامًا بالاستناد، فهو غالبًا ما يتحاشى ذكر المصدر في المواضع الحساسة، أو يأتي بمطالب كثيرة تحت تعابير من قبيل: «في بعض تأليفات أصحابنا». (إكسير:٢/ ٤٩٦). وفي موارد أخرى أيضًا يمتنع عن ايراد اسم الكتاب بعبارة «في رواية معتبرة» أو «في بعض الكتب المعتبرة» وأكثرها عجبًا عبارة «حدّثني بعض الأثبات أنه رأى في بعض الكتب!». (إكسير العبادات:٣/ ١٨).

والأكثر عجبًا من ذلك كله أنه يقول: لقد حصلت على رواية في خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة نقلها لي بعض الأدباء الشعراء الثقات من تلاميذي وهم «من العرب»، وقال: انه عثر عليها في مجموعة من الكتب المنسوبة لأديب فاضل، ومن ثم قام بنقلها. (إكسير:٢/ ٦٢٧-٦٣٠).

إن طريقته في الاستناد تؤكد أنه وإن تظاهر بالحديث عن بعض الأمور، فهو في قرارة نفسه لا شأن له بقوة الروايات وضعفها، وإن النقل عن المصادر، وعرض المطالب، في حقيقته بما يتواءم مع نظامه القصصي في تصوير أحداث عاشوراء ومقدماتها وخواتيمها. فهو يعمل من خلال اقتباساته من المصادر وعرض النقول كيما يتمكن من عرض عاشوراء في القالب والصبغة التي تروق له. فمن اللزوم أن تكون لهذه المصادر هذه القابلية، وإلا فربما تعرضت للنقد، وأُلقيت جانبًا.

الاستنباط من بحر الأنساب

ينظر إلى ذلك من زاوية أنها إقتباسات متكررة من بحر الأنساب، الذي هو بالأساس روائي، ولا وجود في بعض نصوصه لأي مفردة تأريخية صحيحة. ولقد سبق أن طبعتُ كتيبًا عن هذا الكتاب (كاربرد داستان- تاريخ در تبليغات مذهبى، قم، مورخ،١٣٩٧). أعيد إصدار هذا الكتاب في العهد القاجاري، ويُعتقد ان أساسه قصصٌ تاريخية شعبية ومحلية من العصر الصفوي، وكان لولع المجتمع القاجاري بالقصص التاريخية، تأثير مهمٌ في تكثير هذا الكتاب ونشره.

إن الملا آقا الدربندي إذ يرى ملاصقة قناعاته للروايات التاريخية في هذا الكتاب، لطالما استند إليها، وكان يرى أصالة مضامينها وصحتها. (يُنظر على سبيل المثال: جواهر الإيقان: ص٥٦). فقد نقل مقاطع منها في مواضع مختلفة من بينها القصص ذات الصلة بزواج شهربانو، والقاسم بن الحسن، والقاسم الثاني، وزبيدة، والبقاع المنسوبة إليهم

تداولها في المجالس، وعلى المنابر، بل يجوز لذاكري المصائب في المجالس وعلى المنابر، ذكر جميع ما نقله ورواه صاحب هذا الكتاب» (جواهر، ص٣٦٣). وكان للملا آقا بحث في المقارنة بين رأس القاسم بن الحسن عليه السلام الذي تلاعبوا به في عرصة مدينة الري كما يلعبون الصولجان، مع رأس ابن تلك المرأة الصالحة. والبحث يجري من ناحية أن رأس ذلك الصبي قد تناثر إربًا إربًا بعد نصف ساعة من ضربه بالعصي، أما رأس القاسم بن الحسن عليه السلام «لم تتناثر أوصاله» رغم تعرضه للضرب المبرح لمدة أسبوع «بالهراوات والعصي الشديدة وقضبان الحديد المغلّظة». وهنا يتناول بالبحث الدواعي لذلك (ص٣٦٥). وتحدث في (أسرار الشهادة) عن أهمية رثاء زبيدة (إكسير:٢/ ٤٦٧).

الإستناد إلى كتاب ابن عصفور البحراني والاستعانة به

من مصادر هذا النمط من الكتب التي هي بهذا الأسلوب، كتب أهل البحرين الذين كان الكثير منهم في شيراز، ومناطق جنوب إيران، وكانوا على طريقة الأخباريين بنحو تام. إن الملا آقا ينقل مرارًا وتكرارًا في كتبه عن ابن عصفور البحراني، ويورد اسمه «الشيخ حسين» أحيانًا، وهو مؤلف معروف.

في مواضع متعددة من كتابه ينقل الملا آقا عن كتاب للشيخ حسين آل عصفور وهو يعلم أن هذا المقطع من كتابه عرضة للانتقاد بسبب استناده لروايات ضعيفة. وكثيرًا ما جرى النقل عن كتابه. (على سبيل المثال: جواهر الإيقان، ص٦٧٣).

وبحدود علمنا إن هناك كتابًا يحمل عنوان (الفوادح الحسينية والقوادح البينية) ويعرف بـ (مقتل آل عصفور)، وينسب إلى الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن أحمد الدرازي آل عصفور البحراني (ابن أخ صاحب الحدائق)، المتوفى ليلة ٢١ شوال ١٢١٦ هـ، وقد كتب على طريقة (المنتخب) للطريحي، ليُقرأ في ليالي العشرة الأولى من محرم وأيامها. وقد تم تدوين هذا الكتاب في واحد وعشرين مصابًا، وكل مصابٍ يحمل عنوان

«فوادح».

يقول آقا بزرگ الطهراني: كانت نسخة منه في مكتبة الميرزا الشيرازي جرى الفراغ من تهذيبه وتدوينه في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٥٩هـ. يقول آقا بزرگ: إن (الفوادح) المطبوع هو في الأصل (مهذَّب الفوادح) وقد جرى تهذيبه في ذلك التاريخ، وطبع في بومباي بمطبعة مظفري سنة ١٣٢٥هـ. (الذريعة:١٦/ ٣٦٤-٣٦٥). وصدرت الطبعة الأولى من الكتاب في الهند سنة ١٣١٢ هـ بتصحيح حفيده حسين بن خلف بن الشيخ حسين.

وفي السنوات الأخيرة أصدرت مؤسسة الأعلمي ببيروت هذا الكتاب. مصادر الكتاب هي الكتب الروائية الشيعية، ومنها المناقب، وأمالي الصدوق، والشيخ، وإرشاد المفيد، والخرائج والجرائح، وكتب من هذا القبيل. وفيما بينها روايات لم يذكر مصدرها، مثل «روى الثقات» (٢/ ٥٤ طبعة حجرية) أو «روى من طريق أهل البيت» (٢/ ٥٨) إذ ينبغي البحث عن مصدرها.

إن الكتاب ليس على نمط المقتل، وهو في أغلبه سلسلة من المضامين في الفضائل والوقائع لطرحها في المجالس وعلى المنابر. اختيرت في كل مصاب أبيات من الشعر، وربما تمت كتابة عبارات نثر حزينة أيضًا. [روى الشيخ أبو منصور في مصباحه:٢/ ٧٠] [روى في كتاب المناقب القديمة: ٢/ ٨٣].

إن هذا الكتاب على الطريقة الروائية، ويقوم على أساس النظريات الحديثية - الخبرية، كتاب على شاكلة (اللهوف) ومتأثرٌ بنمطه، ولكن لا علاقة له بمضامين كتب الملا آقا. من الانتقادات الواضحة من الميرزا حسين النوري للملا آقا الدربندي، استعانته بكتاب لشهاب الدين، وهو بحسب قوله، سيد قاريء للمراثي من العرب ومن أهالي الحلة، وقد جاء بكتابه إلى كربلاء، ووصل إلى الملا آقا وذكره في كتابه (انظر إلى بعض الانتقادات في أسرار الشهادة).

إن الملا آقا يتمتع بالقابلية على تسويغ الاستعانة بأي موضوع في أي موضع، ومن أي مصدر كان. إنَّ جانبًا من غريب مضامينه جاء به عن شهاب الدين العاملي. (جواهر الإيقان، ص٦٧-٤٨٨). ويحتمل أن المقصود هو الشيخ حسين، وإن كنا غير متأكدين. في أحد المواضع من كتاب (جواهر الإيقان) يأتي بقصة استشهاد الحر عن شهاب الدين العاملي، لكنه لا يأتي باسم لكتاب (جواهر، ٢٠٩-٢٢٣)، «وكما قال صاحب هذا الكتاب ومؤلفه شهاب الدين العاملي بعد شهادة ...فقد ذكر كيفية استشهاد العباسعليه السلام بذات الطريقة التي نقلناها وذكرناها بها». (جواهر:٢٢٤-٢٣٦). الأمر الذي يكتنفه الغموض هنا هو ما علاقة شهاب الدين العاملي بالشيخ حسين آل عصفور، فليس واضحًا بالنسبة لي على وجه الدقة، وسرعان ما يتبادر الافتراض أنه شخص آخر.

وفي ذيل ترجمة المؤلف وبعد أن يقول: إن جميع موضوعات هذين الفصلين، تتعلق بشهادة الحر والعباس، وهي عن كتاب شهاب الدين العاملي، قدم توضيحًا بهذا الصدد:» قد عاينتم ما أوردته في هذا الكتاب أعني (إكسير العبادات في أسرار الشهادات) في كيفية انتساب هذا الكتاب لشهاب الدين العاملي، وكذلك طبيعة شذوذ ما في الكتاب وضعفه وغرابته ، وفي خاتمة الأمر فتواي أنا الأحقر خادم سيد الشهداءعليه السلام برواية ما نقلتُه، أي: جواز ذكر ما في هذا الكتاب من أمور في المحافل ومجالس ذكر مصائب آل الله وعترة رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وقمت أنا بنقلها، بشرط أن يبينوا طبيعة الحال، أي يقولوا: «إننا نروي عن كتب خادم سيد الشهداءعليه السلام ملا آقا الدربندي ومصنفاته، وأنه [هو] نقل عن الكتاب المنسوب لشهاب الدين العاملي، وإن كل ما في هذا الكتاب من شذوذ وغرابة وضعف بوجوهه المتعددة، قد ذكره في كتاب (إكسير العبادات)....، ورغم كل ذلك فهو يرى جواز نقلها في محافل مآتم ذكر مصائب آل الرسولصلى الله عليه وآله وسلم، ولكن مع مراعاة الشرط المذكور»، [جواهر الإيقان:ص٢٣٧]، أي يكفي أن يقال: من كتاب ملا آقا.

وفي سياق موضوعات أخرى من هذا الكتاب، يتحدث الملا آقا عن أعداد القتلى من

الأعداء، وحتى إبقاء الشمس ليصبح اليوم اثنتين وسبعين ساعة، وإن كان يرى ذلك من «الممتنعات والمحالات الطبيعية بل هي في وجه من الوجوه من الممتنعات والمستحيلات العقلية»، وإن مثل هذه الأعداد من القتلى، لا يمكن حصولها «في يوم واحد من أيام فصل الخريف، حتى لو شاركت مدافع كثير من الدول»، فلها ذات الحكم، ورغم ذلك فإنه يرى جواز نقلها. وإن عبارة «فقاتل قتالًا شديدًا، ثم قُتِل» قد تقوي احتمال صحة تلك الأرقام. (ص٢٣٨). عبارته في الصفحة غامضة نوعًا ما لكن المقصود منها هو ذاك على الظاهر. وفي مواضع أخرى أورد شواهد أخرى على أن «يوم عاشوراء لم يكن كسائر الأيام» بل «توقفت الشمس فوق الأرض اثنتين وسبعين ساعة» (جواهر، ص٦٥٨).

إن في حوزة أهالي البحرين كتبًا من هذا القبيل نافعة لمجالس العزاء، ونموذج لها «كتاب الرزايا» الذي يقول آقا بزرگ بأنه مقتل في حجم (منتخب الطريحي) للشيخ سلمان بن عبد الله بن الشيخ حسين العصفوري البحراني المتوفى في شيراز بعد [١٢٦٧]. يقول آقا بزرگ: إنه وجد هذا الكتاب عند الشيخ خلف بن الشيخ أحمد آل عصفور البوشهري (ت ١٣٥٣هـ). (الذريعة:١٠/ ٢٣٩). وتم تصحيح هذا الكتاب حديثًا وهو يوزع حاليًا تحت عنوان «مجدّد رزايا النبي والآل». والكتاب المذكور، سلسلة من الموضوعات جرى ترتيبها في خمس وثلاثين رزية، وخُصص قسمٌ منه لمقتل الحسين، والقسم الآخر لأحداث كربلاء، وجرى ترتيب النصوص على نحو عملي للمجالس. ونمط هذا الكتاب على شاكلة الفوادح، ويتضمن مقاطع نثرية حزينة، واختيرت فيه أحاديث وروايات تتعلق بأهل البيت ورزاياهم.

أولوية الملا آقا في الاستعانة بمنتخب الطريحي والكتب المشابهة له

لو افترضنا أن المصادر القديمة عن عاشوراء، تشكل طائفة من المصادر، وما تلاها من مصادر من قبيل (اللهوف) و(روضة الشهداء) وما تقدم عليها، وفي المرتبة الثانية تأتي كتب مثل (منتخب الطريحي) من العهد الصفوي الأخير، وبعض الكتب التي ظهرت في العهد القاجاري، فإن الملا آقا يرجح الخبر الموجود في المصادر من الطائفة الثانية. ففي رأيه إن هذه الروايات بطبيعتها ونمطيتها، أولى بالقبول من المصادر من الطائفة الأولى التي هي تاريخية، ويراها متأثرة بأهل السنة. وسبب ذلك انسجام هذا النمط من الأخبار مع مزاجه العقلي والعاطفي. إن الملا آقا طالما ينقل عن المنتخب في (إكسير العبادات) (على سبيل المثال: إكسير/ ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٦، ٣٣٩-٣٤٣) فلكثرة النقول عن المنتخب يبدو للعيان أن مضامين هذا الكتاب إن لم تكن كلها، فإن جلّها قد جاء في كتاب (إكسير العبادات)، وكذلك حال كتاب (اللهوف) ورواية المقتل لأبي مخنف. ومن بين هذه الموضوعات قصة الأسد في كربلاء التي نقلها عن المنتخب (إكسير:١٥٥:٣-١٥٦). كانت هنالك نسخ متعددة متباينة للمقتل المنسوب لأبي مخنف، وكان ينقل من كل ما وقع بين يديه، فعندما ينقل عن مقتل أبي مخنف ولم يكن في متناوله كتاب الطبري، أي: أصل مقتل أبي مخنف فإنه يكتب: وفي نسخة من نسخ كتاب أبي مخنف هكذا. (إكسير:٣/ ٧٢٠). وهذا يدل على أنه استخدم نسخًا مختلفة أغلبها تعاني من الزيادة والنقيصة.

يبرز جنوحه في ترجيح الأخبار من مصادر هذه الفئة، بوضوح عند نقله الأخبار المتعلقة بعرس القاسم. يقول: «لا يخفى أن أغلب أصحاب كتب المقتل، لم يذكروا قضية العرس، بل إن أعاظم المحدّثين من المتأخرين، قد صرّحوا بعدم الاطلاع على خبر من شأنه اطمئنان القلب له، لكن جماعة من أصحاب المقاتل صرّحوا بوقوعها، وظني القريب للعلم هو وقوع هذه القضية من وجوه كثيرة، وأمور وفيرة».

أما أمثلة هذه المصادر ووجوهها فهي: «مثل ما ذكره شعراء العرب والعجم من تات وترك ولر وكرد في شعرهم ومراثيهم، وفي المجالس والمحافل من قبيل إتيانهم بقضية عرس القاسم في تشابيه العشر من المحرم منذ قديم الأيام، وحتى زماننا هذا، وذكرهم لها. إن الملا آقا يفضل الشعر على المصادر من الطراز الأول، فيقول: إن هذا الشعر قد قريء في محضر العلماء في هذه المحافل «ولم ينبرِ أحد لإنكاره» فالسيرة العملية يمكنها إثبات عرس القاسم. فضلا عن «الرؤى الصادقة للعلماء الأبرار» بإمكانها تأكيد ذلك أيضًا. (جواهر الإيقان: ص٣٤٥).

إن الملا آقا يحاول التوسل بكل الطرق في انتقاء الأخبار التي تؤدي دورًا في منهجه على نحو العموم. فنقتنع بأن كثيرًا مما يميل إليه في روايات الصدوق وابن قولويه، بل حتى الشيخ الطوسي وابن شهرأشوب، هي روايات قابلة للتأويل إلى المعاني التي هي موضع طموح الملا آقا. ولكن خياره منها -على أية حال-فيما يسوق نحو تفسير تقديري-عرفاني أكثر دقة.

الملا آقا وترجيح المصادر القصصية على التاريخية

كثيرة جدًا هي حالات الإتيان بنقول وأحاديث من دون مصدر. إن لأغلب الحالات مصادر من قبيل (البحار) أو (اللهوف) وما شابههما وهو يصفها بأنها «كتب معتبرة». وفي الحالات التي يركن إلى ذاكرته ينقل المطلب مستخدمًا عبارة «أتذكر» (جواهر:١٠٥). إن (اللهوف) و(منتخب الطريحي) من المصادر التي أكثرَ الاستناد إليها. (جواهر، ص١١٣-١٤٤). وذكر (الإرشاد) و(مناقب) ابن شهرأشوب مرارًا، وفي بعض الحالات أشار إلى «شذوذ» المنقول. بل إنه يؤكد في مورد خبر ما «مهما تفحصت» لم أجده وإن كان اجماعياُ ومقبولًا. (ص١٤٦). من بين المصادر التي يذكرها يرد اسم أبي مخنف، وإن كثيرًا ما ينقل وينسب إلى مقتله، ويراه مسلَّمًا به. لقد ذكر الشكوك الواردة في روايات

أبي مخنف وضعفها، ويرى أن هذه الانتقادات الواردة عليه «ترهات محضة ومزخرفات صرفة» فهو يستند إلى كلمات الطوسي وآخرين في تأييد أبي مخنف (جواهر الإيقان، ص٣١٤). في الحقيقة إنه لم يذكر هنا ما لا يقل عن نصين مختلفين لأبي مخنف وإن ما يأتي به في هذه الحالات منسوب إلى هذا النص. [على سبيل المثال، يُنظر الأخبار التي أوردها أبو مخنف عن شهادة العباس (جواهر الإيقان، ص٤٣١-٤٣٦). ثم يكتب: ما نقلناه عن أبي مخنف كان في كتابه «الصغير» وهو الكتاب المعروف والمتعارف بين الناس، لكني أظن أن ما في كتابه «الكبير» ونسخته نادرة جدًا بين الناس، موافقٌ لمشهور الروايات في كلتا الحالتين (جواهر، ٤٣٨).

وكعادته فإن الملا آقا يرى صحة الأخبار المنقولة عن الآخرين أو عدم صحتها استنادًا لرؤيته الخاصة، وهي أن الأشخاص على قسمين: الأول: أشخاص يقتربون ذهنيًا من أفكار النواصب، والثاني: الأشخاص الذين في زمرة المحبين حقًا لأهل البيت عليهم السلام. وبمجرد شعوره ان أشخاصًا لا يتقبلون الأخبار المنقولة من قبله، يعدّهم من الصنف الأول. ففي موضعٍ ينقل روايات في المناقب ويقول: «إن الذين يقتربون في تطلعاتهم العقلية، وآفاقهم الفكرية من تطلعات عقول العامة، والآفاق الفكرية للمخالفين والناصبين والمتعصبين، يتعجبون كثيرًا كثيرًا، بل ينكرون وقوع مثل هذه» (جواهر، ص٨٦). وهو يعدّ هؤلاء «حمقاء وجهلاء هذا العصر» ولا يرى فرقًا بينهم وبين «الهر والبر» و «يبالغون في استبعاد هذا النحو من المناقب والفضائل للعترة». (جواهر، ص٨٤).

من المصادر التي كانت موضع استفادة قراء القصص في القرنين الخامس والسادس الهجريين، الكتب المنسوبة لأبي الحسن البكري، الذي أَلَّفَ قصصًا كثيرة مستندة للتاريخ، أو قصصًا تاريخية عن صدر الإسلام، وهذا المصدر مذكور حتى في (بحار الأنوار)، وردت مقاطع منه في قسم تاريخ النبي أو الأئمة. وقد أحاط الملا آقا بأهمية هذه المصادر

في عمله، فيقول في أحد المواضع: نقل أبو الحسن البكري هذه القضية - طريقة زواج فاطمة الزهراء سلام الله عليها- في كتاب «مشاهد الأنوار ومفاتح السرور والإبكار»، وكان الملا آقا يتصور أن أبا الحسن البكري من مشايخ الشهيد الثاني، رغم وضوح أن آخرين ممن سبقوه، وممن جاؤوا بعده، قد أخطأوا بالخلط بينه وبين البكري المعروف من مشايخ الشهيد، فمؤلفات البكري متقدمة جدًا وتعود إلى القرن الرابع أو الخامس الهجري . ثم يقول: إنه جاء بقصة زواج فاطمة والإمام علي عليهما السلام في (أسرار الشهادات) من هذا المصدر. (جواهر الإيقان، ص٣٦٩). وجاء في كتاب (جواهر الإيقان) (٥٣٨-٥٥٠) بقصة مصارعة النبي وأبي جهل، وهي من أخبار البكري نفسه في كتب السيرة الروائية.

إن رضاه بنقل مثل هذه القصة إلى كتاب قصصي يكشف عن منهجه في الاستناد. فقد نقل عن أحد الخطباء في حرم الإمام الحسي عليه السلام قصة مطولة عن حضور إبليس في كربلاء، ويقول: «قبل سنوات كنت في حرم سيد الشهداء، وأورد رجلٌ معروف وثقة روايةً مفادها...» (يُنظر: جواهر، ص٥٦٠؛ سعادات، ص٢٥). وهنا جاء بقصة طويلة ونقولٍ عن إبليس وهزائمه أمام أهل البيت، وفي الختام يقول الملا آقا: «فلما زاد رب العالمين حرارة الشمس سبعين درجة، وشعر الشيطان بتلك الحرارة، ووصل تأثيرها إلى جسمه المشؤوم الخبيث، ولى هاربًا وخرج من عرصة كربلاء»، وكأنه انتبه إلى حدوث خلطٍ فانبرى لتوجيه ذلك بالقول: إن تلك الحرارة أثرت على إبليس وحده - بطبيعة الحال - وليس على بدن الإمام الحسين عليه السلام. ولعله نسي أن ابليس أصله من النار ويفترض أنْ لا تؤثر حرارة بدرجة سبعين فيه. اللطيف أنه يقول في صحة هذه القصة: لا يخفى أنه وبتوفيق من الملك باريء العالمين، وبتسديدات إمام الزمان عجل الله فرجه قد أشرق على قلبي نور الشارقات الملكوتية، والإلهامات الإلهية، فصريح حكم بصيرتي العقلية والقلبية بوقوع هذه القصة» (سعادات ناصرى، ص٢٧). بناءً على هذا فإن مصدره

اشراقاته القلبية، وما كان عليه من بصيرة عقلية وقلبية.

ونقل نظائر هذه القصص عن كتاب آخر يسمى «مجمع البحرين في مناقب السبطين» المنسوب للسيد ولي نجل السيد نعمة الله الجزائري وقد نقل عنه الشيخ الحر في (إثبات الهداة). ومنه نقل الملا آقا قصة» مقتل ابن الوزير وابنة سلطان الصين وكرامة الإمام الحسن عليه السلام» (جواهر، ص٣٧٤-٣٧٥).

إن من أهداف الملا آقا بانتقاء هذه القصص نفسها، هو أنه يشكك ببعض الأخبار التي يعرف أنها بعيدة شأنًا ومرتبةً بالنسبة لأهل البيت، أو شهداء كربلاء، أو العباس، أو علي الأكبر، فينقل هذه الأخبار بدلًا منها. في أحد المواضع يوجه خطابًا للخطباء، وقراء المراثي، ويحذرهم بإزاء القصة التي يرددونها بشأن شهادة العباس، ويقول: إنه عليه السلام ليس يرضى للقصة التي يرددونها قائلين: «إنه عليه السلام ذهب ليأتي بالماء لأهل البيت، وعند الشريعة قطع الكفار يديه، وضربه كافرٌ بعمود من حديد على رأسه فسقط من فرسه على الأرض، ونادى يا أخاه، يا أبا عبد الله أدركني». يقول الملا آقا: «والله العظيم إن العباس وسيد الشهداء لا يرضيان هذا النمط من القراءة» (ص٤٠٥). وعندما يأتي هو بأخبار شهادة العباس يشير إلى الاختلاف بينها ويكتب: «ليس ثمة تضاد ونوع منافاة وخلاف بينها...غاية ما في الأمر أن جملة منها اقتصرت على الجهاد والقتال» (جواهر، ص٤٣٧).

ولكن هنالك ملاحظة أخرى، وهي لو قال قائل: «لو كانت صدرت عن علي الأكبر آثار ومعالم الشجاعة والسخاء قبل يوم الطف، فإن أية صورة تنقل الينا وتدون في الكتب» فإنه كلام غير صحيح في نظر الملا آقا، لقول العلماء: عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، ومن المؤكد أن هذه الأمور موجودة في الكتب «لكننا لم نجد هذه الكتب». والاحتمال قائم بأن «هذه التفاصيل مسجلة -في الواقع- في بعض الكتب، لكن نسخ هذه الكتب قد تعرضت للتلف، ولم يبق منها شيء» (جواهر،ص٤٦٢). إن هذا النحو من استدلاله مهم.

لقد انتبه إلى اختلاف الروايات في هل دخل الإمام الحسين عليه السلام الفرات في أثناء المعركة أو لا، وذلك بعد قيامه بتحليل أصل الخبر وخفاياه بالتفصيل. لقد أورد النقول التي في ظاهرها عدم دخول الإمام إلى الفرات، وحاول توجيهها بأنها لا تصرح بذلك (جواهر، ص٦٣٤-٦٣٥).

إننا نشاهد في المصادر القديمة بدءًا من مؤلفات ابن طاووس حتى البحار للمجلسي، عبارات يقولون فيها: قد وجدنا كذا وكذا في النسخ القديمة، وبطبيعة الحال إن أولئك خبيرون بالنسخ والكتب، ولقد تواصلت هذه الروية في المؤلفات اللاحقة ومنها مؤلفات الملا آقا، وهو ليس خبيرًا بالنسخ على أقل تقدير. ففي موضع يكتب قائلًا: «حكي في نسخة قديمة - أشك في صحتها وكنت أرى صحة النقل منها- أن رجلًا...»، ومن ثم يروي قصة عن الساعات التي تلت شهادة الإمام الحسين عليه السلام وملك الجن، وأحداث طويلة أخرى.(سعادات ناصرى، ص١٥٤). حريٌّ أن نعرف أنه جاء بأخبار الجن وكربلاء في مواضع متعددة، وبحث في أحد الموارد بمزيد من التفصيل وتأكيد أن وجود الجن والشياطين من ضرورات الدين، ومن ثم جاء بالأخبار المتعلقة بذلك. إكسير:٣/ ٧٤٣ وما بعدها). من هذه الأخبار إنه نقل مطالب عن الجن في بعض القصص المنسوبة لأشخاص وتتعلق بمجالس العزاء وأخبار عاشوراء، ومن بين ذلك أنه نقل قصة عن الملا عبد الجليل القاضي، والأديب والشاعر الساكن في كربلاء (إكسير:٣/ ٧٤٦-٧٤٧). ولقد كان الرجل من أسرة القضاة في كربلاء، منصوبًا من الحكومة العثمانية ومن أهل السنة. وفي السياق تحدث عن صحة الزواج بين الجن والإنس(٣/ ٧٤٨).

الاستناد إلى الأحلام

إن الملا آقا يستند في بعض الحالات إلى رؤيا تتضمن قصة لبعض الأحداث التي أعقبت شهادة الإمام الحسين عليه السلام. فقد كتب في أحد المواضع: «إن رجلًا ثقةً وعادلًا نقل لي، أنا خادم سيد الشهداء، أنه في إحدى الليالي...». فهنالك شخص رأى في المنام أنه سأل الإمام الحسين عليه السلام عن بعض الحوادث، فتحول ذلك إلى قصة نقل الملا آقا جانبًا منها. (سعادات ناصرى، ص ١٦٧). ولغرض إثبات صحة هذا الخبر انبرى للقول: «انني أرى حجية منام المعصوم، حتى أنني بنيت على إمكانية إثبات أي حكم من الأحكام الشرعية والفرعية من قول المعصوم في المنام». (المصدر نفسه، ص١٦٨). ولما ذكر في موضع آخر كثرة الدماء التي سالت من الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، استشهد برؤيا حصلت له في ليلة الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان المبارك إذ ينقل «رأيت في عالم الرؤيا أنني في مكان تجمع فيه حشدٌ كثير من حملة الرماح، واصطفوا على شكل فوج من الجنود على هيئة رمح ثم استداروا نحو نهاية الرمح وهجموا واقتحموا أحد البيوت، أي: إنهم دخلوا حجرة وكانت تلك الحجرة على هيئة قبو تحت الأرض، فسألتُ بعض من حضر: ما هدف هؤلاء؟ ولماذا دخلوا الحجرة بهذا الشكل؟ وهل هنالك أحد في الحجرة؟ فأجاب: نعم فيها رجل غريب ومظلوم يريدون رميه برماحهم وقتله. قلتُ: هل يمتلك هذا الرجل الغريب سلاحًا وعدّة حرب كي يجاهد هؤلاء القوم؟ قال: لا يمتلك سلاحًا وعدة حربٍ الآن. قلت: سبحان الله... قال: إن هذا الغريب المظلوم هو قرة عين محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء عليها السلام، إنه الحسين المظلوم سيد الشهداء. فاضطربت كثيرًا، وأخذتني الرعدة، فاستيقظت من النوم. وبما أنني كنت أكتب في أيام وليالٍ تختص بالدماء الطاهرة لذلك الإمام المظلوم، فقد عرفت أن هذه الرؤيا من قبيل الرؤيا الصالحة، والإشراقات الغيبية». (سعادات ناصرى، ص ١٨٦. نموذج لرؤيا أخرى عن الأحداث التي أعقبت شهادة الإمام الحسين نقلًا عن رجل من

أهالي الأحساء في البحرين: سعادات ناصرى، ص٢٠٣-٢٠٤).

وفي السياق جاء بقصة «الطير الأبيض» وأسماها «قصة الطيور والحمام»، لكنه يقول: إن طائفة من العلماء رووا عن أهل البيت عليهم السلام «لما سقط سيد الشهداء على أرض كربلاء مخضبًا بدمه، وبقي جسده المنوّر بلا دفن ولا كفن، وكان دمه مسفوحًا على التراب، حينها جاء طائر أو حمامة بيضاء فتلطخت بدمائه الطاهرة ثم طارت وتقاطر الدم وتماطر من ريشها وجناحها إلى أن وصلت جموعًا كثيرة من الطيور والحمام ووجدتها جالسة تحت الظلال على غصون وفروع الأشجار، وكل منها مشغول بذكر شيء ما من قبيل حبٍّ أو علف وغير ذلك، فصاحت تلك الحمامة بجموع الحمام والطيور وقالت: الويل لكم يا جماعة الطيور، لقد شغلتكم الدنيا ولهوها ولعبها! أما علمتم أن جسد سيد الشهداء ملقىً على أرض كربلاء ورمالها الحارقة تصهره حرارة الشمس عطشانًا مذبوحًا منحورًا قد سفك دمه، وهو يسيل كنهرٍ جارٍ، فطارت جموع الحمام والطيور وقصدت كربلاء، ولما وصلت كربلاء وجدت جسد خليفة الله مطروحًا على الأرض، وجسده الشريف بلا رأس، لم يغسلوه ولم يكفنوه، تسفي عليه الريح... ولما رأت جموع الطيور والحمام تلك الحالة صاحت بأجمعها، وعلت أصواتها بالبكاء والنحيب والعويل، وألقت بأنفسها في بحر دمائه وتمرغت فيه وتلطخت بدم المذبح ثم طارت جميعًا، وتوجه كل واحد منها نحو بلاد، أو ناحية، أو صقعٍ وواحدة من بقاع الأرض ليخبروا أهل تلك البلدان...».

إن المقام يطول لمواصلة الحكاية، أو ما أسماها قصة الطيور. إن طائرًا ذهب إلى غابة، وكانت هناك فتاة يهودية مشلولة، فألقت عليها قطرات من دمه فشفيت... (سعادات ناصرى، ص١٨٧-١٩٠).

بعد أن ينقل الملا آقا صفحات من هذه القصة، ينتهي إلى أن يكتب: «لا يخفى على ذوي القلوب المستنيرة، والضمائر النقية، من أهل الإيمان والإيقان من الشيعة والمحبين... أن يتأملوا ويتدبروا في الأخبار والآثار والروايات، التي تتضمن قصص الطيور والحمام مما

ذكرناها، فيتوصلوا حينها إلى علو المقام، وسمو الشرف، لدم خليفة الله الأنور الأطهر الأقدس الإمام المبين المظلوم سيد الشهداء ودرجاته الملكوتية وخواصه ولوازمه... الروحانية النورانية...» (ص١٩١). أورد تفصيل مجيء «الطائر الملطخ بالدم» في إكسير العبادات (٣/ ١٧٩ وما بعدها) نقلًا عن المنتخب.

الاستعانة بالإلهامات

فضلًا عن المنامات، فإن الملا آقا يرى نفسه ملهمًا في كثير من الأحيان بما يخص ما ينقله من أخبار، وما عنده من تحليلات، ويرى أن انفتاح أبواب المعرفة، منشؤه الإعانات الخاصة. وفي الحقيقة إنه يعرضها بنوع من صبغة القداسة، فهو يطرح الأفكار على أنها من إبداعه معبرًا عنها بـ «إنني أُلهمتُ بإلهامات غيبية، وواردات وشارقات ملكوتية» (جواهر، ص٣٧٦).

هذا فضلاً عما يقوله بأنه تأمل ساعات بهذه المطالب. ففي موضع يقول: «لقد تأملتُ أنا هذا الأحقر خادم سيد الشهداء عليه السلام طويلًا في واحد من هذه المطالب وتتبعتُ كثيرًا في الكتب، ولم يراودني النوم ليالي كثيرة للتفكير فيه، وتلمس الطريق إلى فهمه، وإزالة ما يختلج في قلبي من إشكال، وبعد مدة مديدة، وفي خاتمة المطاف، أشرقت على قلبي الإشراقات الغيبية، والإلهامات الملكوتية، بتوفيق وتأييد من خالق العالمين، وبتسديد وشفاعة وليه وخليفته الإمام القائم المنتظر عجل الله فرجه، فهمتُ الأمر، وأزلتُ الإشكال الذي يختلج في قلبي». (جواهر، ص١٩٩).

ومن هذا القبيل تأتي تحليلاته التاريخية-الشيعية، التي ترد في الكتب التاريخية الشيعية لعلاج بعض المعضلات، منها، على سبيل المثال، بحثه عن منزلة نساء أهل البيت والسبب في إخفاء قبورهن عن الأنظار رغم ما يتمتعن به من عظمة. لقد طرحت عدة من احتمالات لطيفٌ تنوعها (جواهر، ص٢٠٤-٢٠٥) فمنها من بقي مخفيًا لتقيةٍ، ومنها

من كان ظاهرًا ثم أُخفي، ومنها ما ورد وصفه في الكتب، لكنها تعرضت للتلف فيما بعد، إلى غير ذلك من الاحتمالات. لكنه يصر على نحو خاص بالقطع بأن قبر السيدة زينب ليس في الشام البتة «كلا ثم كلا، إنَّ زينب بنت أمير المؤمنين قبرها في الشام، أو إنها رجعت إلى الشام ثانية، وليس قبر تلك المظلومة المحدَّثة العالمة بالعلوم اللدنية، وعلم السر والإلقاء إلا في المدينة الطيبة». (جواهر، ص٢٠٦).

وبحثه في تجليات حضور السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام عندما عقد زواجها من القاسم، لهو عجيبٌ حقًا، فلقد عرض سبعة تجليات من هذا القبيل «التجلي السابع ظهر وقد انطلقت من الكبد آهات ملؤها الحزن، وتعالى من القلب صراخ أليم، وتوالت نيران الأنين» (جواهر، ص٣٧٦-٣٧٧). وفي موارد عديدة يقرن هذه التجليات بما صدر عن فاطمة الزهراء، وزينب الكبرى عند المصائب. وبعد ذلك يوضح خمسة من أسرار هذه التجليات، بعضها بمنزلة نوع من التحليل الاجتماعي والتربوي. منها على سبيل المثال، اظهاره: «لئلا يرغب المخالفون، ويريد المنافقون أن يجردوا جسد القاسم من ثيابه، ويلقوا بجسده تحت الشمس». (المصدر نفسه، ص٣٧٩). وأورد تحليلًا لـ «سر الإغماء الذي أصاب القاسم حين الوداع». وأورد ما يشابه هذه التحليلات عن أسرار دفن علي الأصغر خلف الخيمة، فربما تقولون للوهلة الأولى: إنه طفل قد استشهد وتم دفنه على أي حال، لكن هذه القضية في نظر الملا آقا، تنطوي على خمسة أسرار قام ببيانها (جواهر، ص٥٧٣).

تمتاز بعض هذه التحليلات بأنه طبيعي لا عرفاني ولا غيبي، ناظر على الأغلب إلى الأسئلة والظروف التي تتبلور في أذهان عامة الناس، ولكن هنالك عدد من التصورات تتبلور في ذهنه وغالبًا ما تنشأ عن ميوله ويصوغها بنفسه لظنه أنها من الإشراق، أو الإلهام الذي يأتيه.

الملا آقا والأبحاث الكلامية في عاشوراء

إن للدربندي ولعًا خاصًا باستنباط الأبحاث الكلامية في ما يتعلق بعاشوراء. وفي الحقيقة إنه جعل عاشوراء محورًا للكثير من البحوث الكلامية، ويسعى لأن تتبلور استنتاجات كلامية مثالية في طبيعتها لبيان منزلة الأئمة وبعض الشخصيات من أهل البيت مثل العباس وعلي الأكبر، والشهداء أيضًا في النظام الكوني، ويمكن عدّ هذا الجانب من إضافاته في الكلام عند الشيعة، فهي أبحاث إما لم تكن موجودة من الأساس، أو إنها كانت موجودة، لكنها لم تطرح بهذا المستوى. وبعض هذه المسائل بسيطٌ، وبعضها أبحاث كلامية معقدة، وفي الوقت نفسه هنالك عدد منها تحليلي يمتاز بجذابية خاصة. فالعنوانات التي يتم انتقاؤها لهذه الأمور تستند إلى مفردات ممتازة يمكن الإشارة من بينها إلى «أصول ملكوتية» و «قواعد غيبية». (جواهر، ص٤٩). إنها أبحاث لم تُشاهَد لها سابقة تاريخية في البحوث الكلامية المتداولة، وهي في أغلبها من ابتكارات علماء هذه الحقبة. فالوثائق التي تُبحث وتُعرض ها هنا تعتمد نصوصًا غالبًا ما تكون موجودة في النصوص التاريخية والروائية وتُقرأ في المراثي.

على سبيل المثال يستفاد من عبارة «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي» بوصفها نصًّا حديثيًّا، بل في الواقع «نص ديني» لطرح الآراء في المقارنة بالفضل بين العباس وعلي الأكبر، فلقد قالها الإمام الحسين عليه السلام بحق العباس، لكنه لم يقلها لعلي الأكبر. فبهذه الأبحاث يقيم الملا آقا مسألته باديء الأمر ثم يعالجها من خلال القواعد الغيبية، أو مفردات من قبيل الإلهام والكشف، وما شابهها. فعن السبب وراء عدم قتل مسلم لابن مرجانة في دار هاني – مثلًا– وناهيك عن رواية «الإسلام قيد الفتك» نقل حالات مشابهة للإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، وفي النهاية يقول: إن مسلم بن عقيل

تجنب أسلوب و«قواعد السلاطين والملوك والأمراء وولاة أهل الدنيا» وإن هذا الإجراء من «مقامات العترة المصطفوية المرتضوية» حيث مصدر فعلهم الفتوة والمروة والغيرة والشجاعة وسائر الملكات الفاضلة (جواهر، ص٩٦)، بعبارة أخرى: إن مثل هذا الفعل، فعلٌ سياسيٌ وليس أخلاقيًا، وما فعله مسلمٌ إنما هو عملٌ أخلاقيٌ. فضلاً عن أن ثمة إجابة لهذه الحالات في تحليله العام وهي: لو كان ابن مرجانة قد قُتل يومذاك، فكيف يتحقق البحث في «تقدير شهادة مسلم « (المصدر نفسه، ص٩٧).

ومن ذلك البحث في المعاد الروحاني، أي: الأرواح في البرزخ بعد الموت، فهو يحاول من خلال استدلالات من قبيل «إن الأرواح من سنخ الجواهر المجردة، أو من سنخ الجواهر غير المجردة، أي: الأجسام اللطيفة لا من قبيل الأعراض» أن يقول: «إن الانعدام ممتنعٌ ومحالٌ عليها» وهو يقول: إن العلامة الحلي ينكر ذلك، لكنه أورد في كتاب «الخزائن» سبعين دليلًا على صحة رأيه. ثم يقول: إن العلامة عدل عن هذا القول لوجود موارد كثيرة قال فيها العلماء شيئًا آخر في بداية الأمر، ثم حصل الإجماع على خلافه، مثل قول ابن طاووس في عدم استشهاد الإمام الرضاعليه السلام على يد المأمون. ويضرب أمثلة أخرى، مثل البحث الذي يميل إليه، في خصائص «دم المعصومين» أو أفضلية الصدّيقة الطاهرة على الأنبياء أولي العزم، أو أفضلية العباس وعلي الأكبر بل جميع العترة الهاشمية الذين استشهدوا في كربلاء على سلمان وحواريي النبي وعليعليه السلام وفيه بحث في «طهارة دم المعصوم». ثم يستند إلى رواية ويطرح معتقده بأن كل مكان فيه مسجد سواء كان للشيعة أو للسنة، فإن هناك قطرة من دم معصوم. ويكتب: «لا يمكن لأحد أن يقيم مسجدًا في أي بقعة إلا أن تكون هنالك رشحة من قطرة دم وصيٍ مظلوم في تلك البقعة. فأي مسجد على وجه الأرض كبيرًا كان أم في غاية الصغر، وأي مسجد سيبنى من الآن فلاحقًا على وجه البسيطة سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، وسواء كان بانيه وواقفه من الطائفة الشيعية، أو من الطائفة السنية، لا يبنى إلا أن يكون لحق بتلك البقعة شيءٌ من

الملا آقا والأبحاث الكلامية في عاشوراء

إن للدربندي ولعًا خاصًا باستنباط الأبحاث الكلامية في ما يتعلق بعاشوراء. وفي الحقيقة إنه جعل عاشوراء محورًا للكثير من البحوث الكلامية، ويسعى لأن تتبلور استنتاجات كلامية مثالية في طبيعتها لبيان منزلة الأئمة وبعض الشخصيات من أهل البيت مثل العباس وعلي الأكبر، والشهداء أيضًا في النظام الكوني، ويمكن عدّ هذا الجانب من إضافاته في الكلام عند الشيعة، فهي أبحاث إما لم تكن موجودة من الأساس، أو إنها كانت موجودة، لكنها لم تطرح بهذا المستوى. وبعض هذه المسائل بسيطٌ، وبعضها أبحاث كلامية معقدة، وفي الوقت نفسه هنالك عدد منها تحليلي يمتاز بجذابية خاصة. فالعنوانات التي يتم انتقاؤها لهذه الأمور تستند إلى مفردات ممتازة يمكن الإشارة من بينها إلى «أصول ملكوتية» و «قواعد غيبية». (جواهر، ص٤٩). إنها أبحاث لم تُشاهَد لها سابقة تاريخية في البحوث الكلامية المتداولة، وهي في أغلبها من ابتكارات علماء هذه الحقبة. فالوثائق التي تُبحث وتُعرض ها هنا تعتمد نصوصًا غالبًا ما تكون موجودة في النصوص التاريخية والروائية وتُقرأ في المراثي.

على سبيل المثال يستفاد من عبارة «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي» بوصفها نصًّا حديثيًّا، بل في الواقع «نص ديني» لطرح الآراء في المقارنة بالفضل بين العباس وعلي الأكبر، فلقد قالها الإمام الحسين عليه السلام بحق العباس، لكنه لم يقلها لعلي الأكبر. فبهذه الأبحاث يقيم الملا آقا مسألته باديء الأمر ثم يعالجها من خلال القواعد الغيبية، أو مفردات من قبيل الإلهام والكشف، وما شابهها. فعن السبب وراء عدم قتل مسلم لابن مرجانة في دار هاني - مثلًا- وناهيك عن رواية «الإسلام قيد الفتك» نقل حالات مشابهة للإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، وفي النهاية يقول: إن مسلم بن عقيل

تجنب أسلوب و»قواعد السلاطين والملوك والأمراء وولاة أهل الدنيا» وإن هذا الإجراء من «مقامات العترة المصطفوية المرتضوية» حيث مصدر فعلهم الفتوة والمروة والغيرة والشجاعة وسائر الملكات الفاضلة (جواهر، ص٩٦)، بعبارة أخرى: إن مثل هذا الفعل، فعلٌ سياسيٌ وليس أخلاقيًا، وما فعله مسلمٌ إنما هو عملٌ أخلاقيٌ. فضلاً عن أن ثمة إجابة لهذه الحالات في تحليله العام وهي: لو كان ابن مرجانة قد قُتل يومذاك، فكيف يتحقق البحث في «تقدير شهادة مسلم « (المصدر نفسه، ص٩٧).

ومن ذلك البحث في المعاد الروحاني، أي: الأرواح في البرزخ بعد الموت، فهو يحاول من خلال استدلالات من قبيل «إن الأرواح من سنخ الجواهر المجردة، أو من سنخ الجواهر غير المجردة، أي: الأجسام اللطيفة لا من قبيل الأعراض» أن يقول: «إن الانعدام ممتنعٌ ومحالٌ عليها» وهو يقول: إن العلامة الحلي ينكر ذلك، لكنه أورد في كتاب «الخزائن» سبعين دليلًا على صحة رأيه. ثم يقول: إن العلامة عدل عن هذا القول لوجود موارد كثيرة قال فيها العلماء شيئًا آخر في بداية الأمر، ثم حصل الإجماع على خلافه، مثل قول ابن طاووس في عدم استشهاد الإمام الرضاعليه السلام على يد المأمون. ويضرب أمثلة أخرى، مثل البحث الذي يميل إليه، في خصائص «دم المعصومين» أو أفضلية الصدّيقة الطاهرة على الأنبياء أولي العزم، أو أفضلية العباس وعلي الأكبر بل جميع العترة الهاشمية الذين استشهدوا في كربلاء على سلمان وحواريي النبي وعليعليه السلام وفيه بحث في «طهارة دم المعصوم». ثم يستند إلى رواية ويطرح معتقده بأن كل مكان فيه مسجد سواء كان للشيعة أو للسنة، فإن هناك قطرة من دم معصوم. ويكتب: «لا يمكن لأحد أن يقيم مسجدًا في أي بقعة إلا أن تكون هنالك رشحة من قطرة دم وصيٍ مظلوم في تلك البقعة. فأي مسجد على وجه الأرض كبيرًا كان أم في غاية الصغر، وأي مسجد سيبنى من الآن فلاحقًا على وجه البسيطة سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، وسواء كان بانيه وواقفه من الطائفة الشيعية، أو من الطائفة السنية، لا يبنى إلا أن يكون لحق بتلك البقعة شيءٌ من

دم معصومٍ، ولو بمقدار ذرة». (جواهر الإيقان، ص٣١٩-٣٢٠، سعادات ناصرى، ص١٧١-١٧٣).

وبحسب قوله: لو شاهدتُ في إسلامبول ثلاثة آلاف مسجد «فلابد أن يكون قد لحقت بجميع هذه المساجد من تلك الدماء النورانية، وقس على ذلك ما موجود من بلاد سواءً بلاد الشيعة، أو بلاد السنة، بل من جملتها المساجد الموجودة في كثير من بلاد الكفار أيضًا» (سعادات ناصرى،١٧٤).

وفي السياق أورد الملا آقا بحثًا في إثبات طهارة دماء جميع الشهداء، وأقام عدة من أدلة على ذلك. فبحسب رأيه إن هذه الأدلة في غاية الوضوح، ولا مجال فيها للشبهة والشك، كأن يقال: في هذا قولان وأمثال ذلك. فعندما يقول الإمام علي عليه السلام عنهم «لم يسبقهم سابق، ولا يلحقهم لاحق» فإنهم يفوقون الجميع في مراتب الدرجات والمقامات والفضائل، سواء كانوا من الشهداء أو لم يكونوا. إذن دماء هؤلاء، أي: العترة الهاشمية طاهرةٌ. (جواهر، ص٣٢٣).

ويرد على حديث «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء» بأن هذا عام، وكل عامٍ خاضع للتخصيص. إنه نوع من الاستدلال بديعٌ، وبالطبع فيه حالة من التصنع على غرار مفردات في نصوص مشابهة متداولة في أوساط الشيخية وغيرهم. ويُشاهد هنا أيضًا، على سبيل المثال، العبارة التاريخية «استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام ثمانية عشر من أهل البيت، لم يكن لهم من نظير»، فيقول: متعلقها محذوف، وإنها تعني أنهم كانوا أفضل العالمين في الفضائل والمراتب كلها ومنها الشجاعة. ثم يقول: كل ما نثبته لهؤلاء يمكن أن نثبته لأنصار الإمام الحسين عليه السلام وصحبه كلهم أيضًا. وعليه فإن هؤلاء كانوا يمتازون بشجاعة جمّة، وهنا يسعنا أن نصحح الأرقام وأعداد قتلى العدو في يوم عاشوراء، ومن الطبيعي أن تصحح تلك الأرقام. (جواهر الإيقان، ص٣٢٧-٣٢٨).

منازل خاصة للسيدة زينب والعباس وعليّ الأكبر

خصص الملا آقا صفحات عديدة لإثبات أن العباس وعليّ الأكبر تالي تلو الإمام الحسين عليه السلام، وأن مسلم بن عقيل، يأتي بعدهم في المرتبة، وأن البكاء عليهم كالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام. (جواهر، ص٣٢٨-٣٢٩). وقد انتفض بشدة للإساءة التي وجهتها الفرقة الضالة المضلّة - ويقصد البابية- في أحد المجالس لمسلم بن عقيل. (ص٣٢٩).

لقد أورد مزيدًا من الأدلة على المنزلة الرفيعة لعلي الأكبر وعصمته. «رابع هذه الأصول هو أن العصمة ثابتة لعلي الأكبر، كالعصمة التي كانت للأنبياء والمرسلين، وليست كالعصمة التي هي للمعصومين الأربعة عشر، أي العصمة الاستكفائية». الأصل الخامس هو «لو أن، عليّ الأكبر كان في الأزمنة التي سبقت زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، لكان صار من أعاظم الأنبياء والسادات والمرسلين، أي: من مشعر الأنبياء أولي العزم. (جواهر، ص٤٥٨). وبالأساس أنه وضع عنوانا لهذا البحث «كان للعباس وعليّ الأكبر والصديقة الصغرى زينب الكبرى وأم كلثوم، مقام العصمة وعلومهم لدُنّية»، وهذه العصمة بطبيعة الحال ليست عصمة استكفائية، بمعنى العصمة الخاصة بالمعصومين الأربعة عشر، أي: عدم صدور أي نوع من الخطأ والنسيان وترك الأولى، والمكروهات. أما في العصمة غير الاستكفائية، فلا يصدر الذنب سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، أما النسيان وترك الأولى، والمكروهات، فذلك ممكنٌ. (ص٥١٤).

كتب الملا آقا في أحد المواضع: أنه تأمل لما لا يقل عن أربع سنين في سبب عدم توافر روايات بقدر الاستحقاق في فضل النسوة الهاشميات اللواتي حضرن في كربلاء ومنهن زينب وأم كلثوم، بينما هنالك روايات كثيرة بشأن فاطمة المعصومة المدفونة في قم، وقد دفعته هذه الفكرة إلى التفكير بحتمية وجود روايات في ضوء المنزلة التي يتمتعن بها لكنها لم تصلنا، في حين أن هنالك موضوعات كثيرة قد توافرت بحق العباس وعلي الأكبر.

من هنا فقد بادر إلى البحث في أهمية منزلتهن وهو يقول بعظمتهن بل حتى بعصمتهن. (إكسير: ٢/ ٥٥١-٥٥٤).

إن الدائرة التي يضعها الملا آقا لمعرفة «علم المنايا والبلايا» لا تختص بالمعصومين الأربعة عشر، بل تشمل العباس وعلي الأكبر والصديقة الصغرى زينب وام كلثوم أيضًا. وقد صرح مرارًا بهذا المدّعى بأنهم «يتمتعون بمقام العصمة، وعلومهم لدُنّية وعلوم سرٍّ ولقاء». (جواهر الإيقان، ص٦٩. ويُنظر: إكسير العبادات:٢/ ٦٤٦. وهناك زاد سلمان أيضًا). ففي رأيه أن الأصحاب والأنصار»وإن كانت أرواحهم متعلقة ومتصرفة في الأبدان والأجساد الدنيوية، لكن علومهم كانت من قبيل علوم أهل ثقة الملكوت، وكانت أفهامهم كأفهام أهل الشهود والمكاشفة، بل إنهم كانوا في يوم عاشوراء من أقطاب جهابذة أهل المكاشفة، وقروم أهل المشاهدة، أعني بعد الحجج الطاهرين المعصومين من آل طه ويس، وبعد حب الأنبياء» (جواهر، ص٣٠٣). إن أفضلهم «أصحاب وأنصار سيد الشهداء (روحي له الفداء) الذين اتصفوا في يوم عاشوراء بقوة العصمة، ودخلوا في زمرة المعصومين، بل إن هذه الحالة، وهذه القوة، قد حصلت وتحققت لهم منذ مطلع ليلة عاشوراء. لا تُتصور الخيانة ممن اتصف بقوة العصمة، ولا تتطرق الريبة إلى قلبه». (ص٣٠٧).

إن هذا التوجيه من أجل إيجاد حلٍّ لمشكلة دعوة الإمام الحسين عليه السلام لنسوة الحرم بالخروج من الخيمة ويتعرضنَ للأنظار، وإن يكنَّ قد تعرضنَ لنظرة سوء لا سمح الله. لقد كانوا معصومين، وبهذا فإنهم لا يتطلعون بنظرتهم، ويستحيل أن تصدر الخيانة عن أولئك، قد نالوا مرتبة العصمة في ليلة عاشوراء «لقد كان الأصحاب والأنصار وقتذاك وفي تلك الحالة بمنزلة أهل عالم الملكوت والكروبيين، بل كانوا من أكامل [كذا] وأفاضل الجميع» جواهر، ص٣٠٧).

وفي مقام الموازنة بين منزلة الملائكة ومنزلة الأئمة، بل حتى زينب وعلي الأكبر وأبي

الفضل العباس، حاول الملا آقا الإيحاء بأن منزلتهم أرفع من الملائكة، فلأن الملائكة يعانون مشكلة، فهم لا يتمتعون بالعصمة، ومن هذا الجانب فإن مقام العصمة ومرتبة منه تثبت سمو المنزلة بالنسبة لهؤلاء الثلاثة. يستمر هذا البحث إلى أن الملائكة الأربعة المفضلين، إنما جاءت أفضليتهم -في الحقيقة- ببركة سيد الشهداء.(إكسير:١/ ٣٧٠-٣٧٢).

إن شأن العباس في غاية الأهمية بالنسبة له، وهو يحاول متوسلًا بكل شيء من أجل ترسيخ منزلته في أذهان الشيعة، على أساس ما لديه من أفكار، وهو يستعين في هذا الصدد بالمنامات أو التوجيهات الكلامية وشبه الكلامية. يقول الملا آقا في كتابه المعنون بـ (القواميس): إنه أثبت أن كلام المعصوم مثلما هو حجة في اليقظة، فهو حجة في المنام أيضًا. (إكسير:٢/ ٥٦١). ويقول: إن أحد الأشخاص في زماننا كان يذهب إلى زيارة الإمام الحسين صباح كل يوم، بل حتى في اليوم ثلاث مرات، لكنه كان يزور العباس مرة واحدة كل عشرين يومًا، فرأى في المنام الصدّيقة الطاهرة وهي معرضة عنه، فلما سألها عن السبب، أجابته بذاك؟ (إكسير:٢/ ٥١٤؛ ويعيد هذه القصة في الصفحة ٥٢٤). وينقل عن السيد نصر الله المدرس قصة عجيبة في إساءة أحد الأشخاص لحرم العباس وقطع أصابعه. (إكسير:٢/ ٥١٥). إنه يذكّر بمنزلة اسم «العباس» في أوساط الشيعة، ويتحدث عن كثرة الهدايا والنذور تأتي إلى حرمه، وهي معلومات لطيفة (إكسير:٢/ ٥٢٣-٥٢٤). يقول الملا آقا: لا يمر أسبوع إلا ويرتفع نداء من المئذنة العباسية معلنًا «رفع الله راية العباس، وبيّض الله وجهه، فإنه قد قضت حوائجنا بجعلنا أنفسنا دخيل بابه والتمسك به». (إكسير:٢/ ٥٢٤، وانظر:٥٤٣).

يقول الملا آقا: إن بعض أهل هذا الزمان، ممن شابهت عقولُهم عقولَ الصبيان والنسوان، لا يتقبلون آراءه بخصوص تمتع العباس وعلي الأكبر وزينب وأم كلثوم بالعلم اللدُنّي، أما هو فيرى أن ذلك ناجمٌ عن «خبث طينتهم، أو انعدام نصيبهم من الحظوظ والمدركات الإنسانية» ويعبّر عنهم بـ «طينة البهائم» و«ذوي الفطرة الدنيئة». (المصدر

نفسه، ص٥١٥). فبحسب رأيه: ورد في الأخبار أن بعض صحابة الإمام علي عليه السلام كانوا يتمتعون بعلم المنايا والبلايا، فلماذا لم يكن هؤلاء على علم به؟

وفي موضع آخر تثبت إشاراته أن هذه الموضوعات كانت محط إثارة عدة من عقود من الزمن في: هل العباس أفضل أو سلمان؟ وبحسب قوله: إنه سمع هذا البحث وهذا الجدال قبل ثلاثين بل أربعين عامًا، ونظائر هذه الترديدات والتشكيكات والشبهات، التي وقعت بين الناس بسبب بعض المقالات، التي صدرت عن غير الكُمَّل في العلوم والفنون، وأولئك الذين ادَّعوا أنهم علماء وعرفاء كاملين في أنهم لا حظَّ لهم من العلوم، ولا نصيب لهم من العرفان» (جواهر، ص٤٠٧). وبأسلوبه الخاص يورد أدلة لا حصر لها على أفضلية علي الأكبر على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالطبع فأنه يذكر أشخاصًا مثل سلمان، ويعبر عن المخالفين بأنهم لا يعرفون «الهر من البر» و«يطلقون زخرف القول دائمًا» (المصدر نفسه، ص٤٠٩).

إن بحث أفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام على أبنائها المعصومين الأحد عشر من المسائل التي شغلت ذهنه كثيرًا (جواهر، ص٤٨٠). و(إكسير العبادات:٢/ ٢٦١).

الكشف والشهود قرين الاستدلالات الكلامية

بعيدًا عن البحوث الكلامية، فإنه على غرار الملا صدرا، يتحدث عن المكاشفات في ثنايا البحوث العقلية، وكانت ظرافة آراء الملا آقا في الكشف والشهود فيما يتعلق بأحداث عاشوراء بعدما توافرت لدينا من تجربة عن آثار الملا صدرا، فإنه يستخدم عبارات خاصة عندما كان يريد الحديث بموضوع عرفاني وذوقي. فكان له [الملا آقا] نظير هذا الأسلوب في التفسيرات العاشورائية «في بيان المقاصد الجليلة والمطالب النفيسة الرشيقة الرقيقة» (ص٣٠٦) أو «من الأسرار الدقيقة الرقيقة الملكوتية» (ص٣٠١). وكذلك من «الأصول الملكوتية» و«القواعد اللاهوتية» (جواهر، ص٤٦٩). على أية حال، لقد

كان يسعى في بيان الأسرار لاستخدام تعابير عرفانية مستحدثة في القرنين الأخيرين ومفردات من كتب من هذا القبيل كانت رائجة.

في التحليلات شبه العرفانية، هنالك نماذج لما ورد في بعض الروايات بشأن المشاهدة البرزخية لبعض أصحاب الأئمة، منها، على سبيل المثال، مشاهدة «الحوض» على أنه موضع بين بصرى وصنعاء، فقام بمقارنتها بالكشف والشهود في أوساط العرفاء، وعدّها هذه أسمى من تلك. ولبيان المسألة طرح في هذا التفسير عيّنةً من البيانات العرفانية والصوفية الشائعة في المدرسة الأحسائية ونظائرها. من المصطلحات التي استخدمها: الجسد البرزخي، والأجساد البرزخية، والأجسام الصيقلية وما شابهها. (جواهر، ص١٨٨).

اختيارية حركة الأفلاك وشوقيتها وتفكيك المعضلات الكلامية

إن الإمامة - من وجهة نظر ملا آقا الدربندي- هي محور جميع الكائنات، وبناء على ذلك، فإن أي خبر وتحليل، يتفق مع هذا الأصل ويؤيده، فهو موضع تأييد. من ذلك، خبر توقف الشمس يوم عاشوراء، وامتداد اليوم إلى اثنتين وسبعين ساعة، زاد قليلًا أو نقص، وقد قام بتوجيه ذلك توجيهًا كلاميًا في فصل خاصٍ من كتاب جواهر الإيقان. ففي رأيه: لو أنكم شاهدتم ما حدث في يوم عاشوراء - ويذكر هنا موارد- ستدركون «سيحصل القطع واليقين بأن وقوف الشمس فوق الأرض لم يكن كوقوفها في سائر الأيام». (جواهر، ص٢٩١-٢٩٢). بمعنى أن توقفها كان أطول. وبحسب قوله: إن عبد الحسين الأعثم قال: «كان مجموع عسكر ابن زياد ٥٠٠ ألفًا، وأن خليفة الله قتل بقوته البشرية الحسينية ٣٠٠ ألفًا، أو كما ذكر الشيخ حسين آل عصفور: كان مجموع عسكر ابن زياد ٤٦٠ الفًا، والإمام وحده قتل ٣٣٠ ألفًا، وقتل الأصحاب وبنو هاشم ٥٠ ألفًا». مما يؤكد أن هذا اليوم أطول من الأيام العادية. ويقول: إن الحديث عن استطالة

يوم عاشوراء، ليس أمرًا جديدًا بل «هو من الأمور المسَلَّمَة بين الشيعة منذ القديم، ومن الأمور المسطورة في كتبهم» (ص٢٩٣). لتفصيل ذلك، يستند إلى مسألة في كتاب «الإثنا عشرية» المؤلَّف ضد الشيعة في الهند، وبحسب قوله: إن نسخًا كثيرة منه موجودة في العراق، وإن المؤلف علِمَ به عن طريق محمود الآلوسي، وهو [لم يرَ ما كان مكتوبًا، لكنه سمع به عن طريق ثقة من أفغانستان] «إن علماء الشيعة يقولون: إن وقوف الشمس فوق الأرض في يوم الطف، لم يكن كسائر الأيام، بل أكثر بكثير من سائر الأيام» (ص٢٩٤).

وبعد حديثه عن صداقته مع الآلوسي، وتعرفه، يتطرق في النهاية إلى الاستدلال على توقف الشمس فوق الأرض أكثر من الحدود في يوم الطف، وفضلاً عن الشواهد التي أوردها، يتناول استدلالًا طبيعيًا - عرفانيًا: «انظروا، ثمة قاعدة حكمية عرفانية وهي أن حركات الأفلاك لا هي حركة طبيعية، ولا هي حركة قسرية، بل هي حركة اختيارية شوقية، وبعبارة أكثر وضوحًا: إن الأفلاك، حيوانات ناطقات مدركاتٌ كلياتٌ وذوات نفوس، وحس وشعور، والغاية من حركاتها، تقربها من مبادئها السامية، أي: إنها باصطلاح المشّائين، عقولٌ مجردة، وباصطلاح الإشراقيين والرواقيين، أنوارٌ قاهرة، وباصطلاح المتشرعة، ملائكة مقربون، مثل إسرافيل وميكائيل وجبرئيل. فإذا ما وقع خليفة الله وحجته على جميع خلقه من أهالي جميع العالم والنشآت، ومما يُرى ومما لا يُرى، بيوم عاشوراء، في بحار من الأحزان والغموم، والبكاء والأنين، ففي هذه الحالة ستغط كل مفردة من الأفلاك في اضطراب وحيرة وذهول، وتتخلى عن حركاتها الشوقية، وأفعالها التكاملية [ستتوقف]، من هنا فإنها تتوقف مبادؤها السامية، أي: إن العقول والأنوار القاهرة، والملائكة المقربين، كانت في حينها غارقة في بحار الحيرة والاضطراب والذهول، وكانت كالمسلوب المنزوعة عنه قوته وقدرته الفعلية، ففي هذه الحالة لا معنى للحركات الشوقية والتكاملية والتقربية للأفلاك...[بعبارة أخرى]: إن جميع الأشياء والموجودات قاطبة، كانت قد توقفت عن حركاتها الشوقية الاختيارية التقربية. بل إن

الجميع كانوا يطلبون التقرب، ويتوقون لرضا مبدأ المباديء، أعني: الحق تعالى خالق العالمين. ولم يكن التقرب إلى الحق تعالى، وتكامل الذوات بعلة هذا التقرب، بالتلبس بالأمور المذكورة أي: الإضطراب والحيرة والذهول... فكما أن الحركات الشوقية الاختيارية التقربية التكاملية، اتصالية، فإن السكنات والدهشات والاضطرابات والتحيرات تقربية تكاملية اتصالية أيضًا». (جواهر، ص٢٩٧-٢٩٨). وبذلك فإن الشمس يمكن أن تكون توقفت في يوم الطف بسبب الحيرة والذهول.

وعقب ذلك ينقل حكاية عن «قوربي أفندي إسلامبولي» حاكم كربلاء قبل أربعة عشر أو خمسة عشر عامًا حدثّه بها أستاذ منجمٌ في إسطنبول، إن الحسابات الفلكية كانت صادقة إلى ما قبل رد الشمس للإمام علي عليه السلام، أما بعد ذلك «لا يمكن القول بأن أحكام النجوم حقٌ وصدقٌ» من هنا فقد طلب منه الكف عن قراءة النجوم. يقول الملا آقا: «إن كثيرًا من أهل السنة -للإنصاف- ينطقون بكلمات الحق، وإن حمقى الإيرانيين، لا يملكون سوى الإنكار، والإبعادات المحضة». (جواهر،٢٩٩).

الاستدلال الأعجب هو قوله: فضلاً عن كل ذلك، فمن الممكن اتخاذ أشعار الشعراء عن «توقف عجلة الحركة» شاهدًا على صدق توقف الشمس. وبهذا فقد ثبت بالأدلة التأريخية والطبيعية والنجومية والأدبية، صدق توقف الشمس، «لقد أحطتُ المسألة بجميع أطراف وأنحاء الأدلة والوجوه والأسرار من سمعيات وعقليات وعاديات وعرفيات وحكميات وعرفانيات، ولم أدَع شيئًا». (المصدر نفسه،ص٢٩٩).

ويبينُ أسراراً فيما يتعلق بحكاية أنه عليه السلام بعد خوضه القتال، استولى عليه العطش فأتى مشرعة الفرات وفرَّق الآلاف، ثم قال لذي الجناح! أنت عطشان، وأنا عطشان، والله لا أشرب حتى تشرب، فكانت النتيجة أنَّ أيًا منهما لم يشرب. (جواهر، ٦٢٩؛ يُنظر: سعادات ناصرى، ص٧٨-٧٩)، إنها أسرار في السبب بعد شرب الإمام للماء، وجانب من هذا الأمر، أي: السر الرابع فيه على صلة بالعلم المدوَّن في الصحيفة الملكوتية. «إن

شرب الماء في الصحيفة الملكوتية، كان من قبيل العزيمة، إذا ما دخل الفرات، فبسبب شرب الماء ستزداد قوته البشرية، وطاقته الإنسانية على جهاد الأعداء الكفرة»، وهذا مسلَّم به في حد ذاته، ولكن من جانب آخر، كان عطش أهل البيت من نساء وأطفال، ولا سيما شهادة علي الأصغر أمام انظارهعليه السلام، من هنا فإنه طلب من الله، واستنادًا للبداء والمحو والإثبات، أن يمحو ذلك من الصحيفة الملكوتية. (ص٦٣١).

إن مثل هذا الاستنباط من المسائل الكلامية، خاص بالملا آقا، الذي يسعى لاستخدام كل ما يتسنى من أجل الرؤى والأسرار في الأمور التي يشخصها.

النموذج الآخر قوله في خبر استشهاد الإمام، أنهعليه السلام أغميَ عليه ثلاث إلى ست ساعات، ولم يكن لأحد من الكفار القدرة على قتله. فحسب رأيه أنهعليه السلام كان على مدى ست ساعات يرجح «أن حواس الكفار وجوانحهم وجوارحهم القذرة والنجسة، لم تكن تطيع ما تبقى من نفوسهم وأرواحهم الخبيثة، بل كانوا في غاية الاضطراب والاهتزاز وفقدان الحس والحركة». وبالطبع هنالك أسرار أخرى بهذا الصدد قام بطرحها. (جواهر الإيقان، ص٦٧٩).

في قصة أخرى حول جسد الإمام الحسينعليه السلام حين سقوطه من ظهر الفرس، يثير بحث أن الإمام استنادًا للعهد الذي له مع الله في عالم الذر، بأنه في بدايته [يسقط حين الخلقة ساجدًا على الأرض] أن يكون كذلك في الخاتمة. فسأل الله أن يسقط في هذا الوقت ساجدًا على الأرض. «فأضاءت جوارح خليفة الله، التي كل ذرة وجزء منها بمثابة علوم وعقول ومدركات حشد كبير من الروحانيين والملكوتيين، هي طوع إرادته»، «خليفة الله شاء وتحقق ما أراد»(جواهر، ص٤٨٤).

ثمة اشكال كلامي آخر، وهو: لماذا لم يحُل دون تحقق إرادة الكافرين بقتل الإمام؟.

إن هذا الإشكال -كما يرى الملا آقا- كثيرًا ما يراود القلب، ولقد قال بعض «إن هذا

الإشكال يحرق قلوبنا». لقد أحال تفصيل المسألة إلى كتاب (إكسير العبادات) لكنه يقول هنا باختصار: «إن خالق العالمين جعل بكاء الناس وأنينهم على سيد الشهداء قرينًا ونظيرًا لكلمة التوحيد». وإن هذا البكاء كعقيدة التوحيد شرطٌ لدخول الجنة. فيجب أن تكون الظروف بحيث يتسنى للناس البكاء. من الواضح إن البكاء يحتاج إلى «الحزن والتأثر القلبي» وهو ليس أمرًا اختياريًا، بل هو «من الأمور الإضطرارية». والناس مختلفون في هذا المجال «فطائفة تعتصر قلوبهم وتتأثر أفئدتهم لمجرد حصول قليل المصاب وأدناه، فتعتريهم الرقة والمرحمة ويأخذون بالبكاء، وطائفة قليلو الرقة، ونادرًا ما تأتيهم المرحمة، ويمكن تشبيه قلوبهم بالصخر الأصم»، فيجب أن تكون الظروف بنحو يرق ويبكي له كلتا الطائفتين. وبالطبع اقتضت الحكمة الإلهية البالغة أن يجعل الظروف بنحو يتسنى حتى لأولئك الذين قلوبهم كالصخر الأصم أن يبكوا. (جواهر، صص٦٨٦-٦٨٩). بطبيعة الحال لو أن الله حال دون أن يتمكن الكفار من قتل الإمام الحسين عليه السلام، لم يكن ليتسنى لهذه الطائفة، البكاء وبهذا لم يكونوا ليدخلوا الجنة.

الإشكال الآخر هو: أن الإمام الحسين عليه السلام، بما كان يتمتع من منزلة، كيف بقي وحيدًا في كربلاء ولم يهبّ أحدٌ من أهل السماء لنصرته؟

لئن طالعنا المصادر التاريخية الأولية، فإنها تخلو من إشارة بهذا الصدد، ولكن ثمة إشارات طرحت بهذا الشأن في روايات خاصة في واحدة من المراحل جرى تناولها من قبل الغلاة بأن الذي استشهد لم يكن الإمام الحسين عليه السلام، بل رجلٌ آخر اسمه حنظلة بن أسعد الشبامي، وكان الحديث يجري عن قصة نظير ما يقال حول عيسى عليه السلام. (كتاب مجموع الأعياد، صص١٨٦، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٤ «تصحيح اشتروطمان، هامبورغ، ١٩٤٣).

بالنسبة لشخص مثل الملا آقا، حريٌّ أن تكون هذه المسألة مهمة، وهي أن الإمام الحسين عليه السلام لما نادى «هل من ناصر ينصرني» لمَ لَمْ تنصرُه السماء؟ الصورة التي عرضها الملا آغا في هذا الصدد هي أن الله كان أول من لبى دعوته! وأتى بالجملة العربية «لبيك

لبيك عبدي»، لكن أهل السموات كلهم أعلنوا استعدادهم لإبادة الكفار، غير أن القضية كانت بالنحو الذي اختاره الإمام الحسين عليه السلام منذ البداية. ففي هذا الشأن ثمة نوع عهدٍ معهود وميثاق بخصوص الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكن ثمة إمضاء لتدخل الملائكة أو الجن في هذا الأمر البتة. (سعادات، ص٢٤).

وثمة ادعاء فلسفي تاريخي عجيب يقدمه وهو أن زمان الغيبة كلما تطاول أكثر، اطّردت عقول البشر وفهمهم ومعرفتهم. فيقول: هذا الأمر أوضحه جماعة من المحققين عن العرفاء، وجاؤوا عليه بأدلة، وربما يمكن التشبث بقاعدة اللطف لإثبات هذا الأمر. (إكسير العبادات:٢/ ٧٣٦). أنه يصرح بهذا الأمر كي يُثبت أن فهم الإمام الحسين والبكاء والرثاء عليه، يتزايد يومًا بعد يوم.

المسائل الفقهية وعاشوراء

وناهيك عن الأبحاث الكلامية، فإن لدى الملا آقا ولعًا خاصًا باستنباط الأحكام الشرعية من الحواشي المتعلقة، بل حتى النصوص المتعلقة بعاشوراء. فعلى سبيل المثال، كان المستفاد في مجال الزيارة -إلى ما قبل الملا آقا- الاستحباب المؤكد بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، لكنه يستنبط من ثناياها أصنافًا وأحكامًا شرعية، ومثال ذلك حرمة ترك الزيارة ووجوبها، فضلاً عن ذلك ما إذا كان تكليف الرجل يختلف عن تكليف المرأة في هذه الرحلة أو لا؟ والآخر ما إذا كان حكم الزيارة مع صعوبة الطريق، يختلف عنه أثناء سهولة الطريق أو لا، أو طبيعة الحكم في تناول الأطعمة الفاخرة أثناء الرحلة، والآخر كم عدد المرات في السنة التي يتعين الذهاب بها للزيارة، وهل يختلف تكليف مَنْ كانت داره تبعد عن كربلاء عمَّن كانت داره قريبة منها؟ ما هو محل التقية في البين؟ ما حكم الصلاة عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، وحكم الإنابة في الزيارة والإنفاق فيها، حدود حرم الإمام الحسين عليه السلام، ومسائل أخرى مما يصير بحجم رسالة عملية. وهنالك

بحث خاص في أحكام التربة. إنه يطرح إشكالات في كل مورد ويرد عليها، واللطيف تشابه هذه الأحكام مع ما هو وارد في مناسك الحج، وهو أمر طبيعي.

وهنالك مجموعة من الأحكام الشرعية- الكلامية أيضًا مثل أن ابن الزنا لا يحضر عند قبر الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة على الإطلاق. جاء ذلك وامثاله بالتفصيل في المقدمة التاسعة من كتاب (إكسير العبادات) (١/ ٣٨٩وما بعدها).

ومن الأمور التي وردت ضمن هذه الأبحاث إن القاطنين في كربلاء عليهم الحذر من ارتكاب الذنوب والمعاصي، وإن كان أغلب من في البقاع المقدسة في هذا الزمان منهمكين بالذنوب -بحسب رأيه- بنحو يمتازون بولع أكثر مقارنة بسائر المدن. (إكسير:١/ ٤٦٢). ثم يأتي بقصة عن أحد الهنود كان قد جاء لزيارة كربلاء، لكنه لم يأتِ الحرم، وكان يؤدي السلام عن بُعدٍ، فأصرَّ عليه نقيب الأشراف أن يأتي الحرم لكنه كان يرفض، ولما أصبح مضطرًا جهز نفسه وبمجرد أن دخل الحرم سقط وتوفي (١/ ٤٦٣).

غرائب مدونات الملا آقا

أعداد القتلى في كربلاء وصيرورة يوم عاشوراء اثنتين وسبعين ساعة:

من موارد الانتقاد التي كثيرًا ما تعرض لها الملا آقا منذ قديم الأيام، إيراد أرقام وأعدادٍ عجيبة في أغلب المشاهد والأحداث التي يطرحها. ولقد تقدمت الإشارة منا في الأبحاث الكلامية إلى هذه الأرقام التي كانت لإثبات شجاعة الإمام الحسين عليه السلام أو أبي الفضل العباس. لقد أورد الملا آقا بحثًا خاصًا بهذا الشأن في (أسرار الشهادة) (إكسير:٣/ ٣٩). إن أرقامه العجيبة والغريبة لا تنسجم برأي الكثيرين مع أي قاعدة وقانون. على سبيل المثال إنه يقول: «سمعتُ عن ثقات وأثبات أن (٤٣) ألفًا كانوا في عسكر خليفة الله ليلة عاشوراء، وكلهم انفضوا وتفرقوا في ليلة عاشوراء». (جواهر الإيقان، ص١٥٦).

وفيما يتعلق بشهادة أبي الفضل العباس، فإنه لا يعتقد بالرواية المتعارفة عند المؤرخين ومفادها الذهاب إلى الفرات، وحمل الماء، وقطع يديه، وضربه بالعمود على رأسه واستشهاده، وهي ليست موجودة في المصادر القديمة، وهو يقدم تفصيلًا مسهبًا لقتاله عليه السلام فيكتب: «إنني اعتقد أن العباس لم يقتل أقل من خمسة وعشرين ألفًا يوم الطف بل قتل أكثر». المصدر هو كتاب «المحدّث الحاذق ابن عصفور البحراني» الذي كتب ذلك في «كتب مقاتله» (جواهر، ص٤٢٤؛ إكسير العبادات :٣/ ٣٩). الإشكال في أن الرواية المتداولة تقول إنه عليه السلام لم يقتل أحدًا، أو إن عدد القتلى كان قليلًا جدًا، لأنه لم يقاتل قط. إن السبب في رفع هذه الأرقام هو كيما يتسنى له إثبات الشجاعة الهاشمية وهو أصلٌ مسلَّمٌ بالنسبة له.

إن الملا آقا خبيرٌ بالمصادر، وفي موضعٍ يقول: «أقوال أصحاب السير والتواريخ،

وعلماء الرواية والآثار والأخبار، وكلمات مصنفي كتب المقاتل» في هذا الشأن «لم يذكروا بنسق واحد»، وبحسب قوله إن المتفق عليه عند أهل السنة والشيعة، أنهم يرون الرقم ألفًا وتسعمائة وخمسين شخصًا. وورد القول بـ «الألوف، أي عدة آلاف» في كلمات بعضهم شعرًا أو نثرًا. «في بعض المقاتل أن سيد الشهداء قتل عشرة آلاف»، «وذكر بعضٌ انه عليه السلام أرسل خمسين ألفًا إلى الدرك الأسفل، بل قال بعضهم إن هؤلاء الخمسين ألفًا كانوا في حملةٍ واحدةٍ». «المنقول لي عن جماعة من الثقاة والعدول عن كتاب المحدِّث الكامل والحاذق في عصره ابن عصفور البحراني إن عدد الجيش كان خمسمائة ألفٍ تقريبًا». وعبر بعض الناقلين بالقول إن عدد عسكر الكفار بأجمعهم كان أربعمائة وستين ألفًا، وإن عدد من قتلهم الإمام عليه السلام كان ثلاثمائة وثلاثين نفرًا، وقتل العباس خمسة وعشرين ألفًا من عسكر الكفار، وقتل سائر الأصحاب والعترة الهاشمية خمسة وعشرين ألفًا (سعادات ناصرى، ص٥٨).

في موضع آخر يقول الملا آقا: إن «خليفة الله وسيد الشهداء قتل ثلاثمائة وثلاثين ألفاً، وأن عدد أهل العسكر بأجمعهم كان أربعمائة وستين ألفاً، ولم يبق منهم حيًا سوى ثمانين ألفًا. (جواهر الإيقان، ص٤٢٤). ويقول: جاء في الخبر أن عليَّ الأكبر، قتل مائتي شخص، ولعل المراد «أعيان المقتولين من الأبطال وفحول الرجال» من العدو. وإلا فإن ما ورد في رواية شهاب الدين العاملي أكثر من هؤلاء بكثير (جواهر، ص٤٥٥).

ونقل في فصل مطالب عن ابن عصفور البحراني حول أعداد جيش الأعداء وقتلاهم، وكان المجلسي قد خصص مطالب من البحث لهذه القضية. وفيما عداه نقل في هذا الشأن عن «عبد الحسين الأعثم النجفي وهو من طلبة الشيخ الأفقه المرحوم جعفر النجفي، والسيد الأجَّل المرحوم جواد العاملي». (جواهر، ص٦٠١).

وردت أعداد مَنْ قتلهم الإمام الحسين عليه السلام في كل حملة في رواية ونسخة منسوبة لشهاب الدين العاملي[البحراني؟] (جواهر، ٦٠٢). وبحسب رأيه إن أي تشكيك بهذه

الأرقام ضربٌ من التشكيك في أصل شجاعة الإمام الحسين عليه السلام. ولكن ثمة نتيجة عجيبة لهذه الأرقام المرتفعة، فحسب قوله: إن أعداد القتلى على حقيقتها «ووفق جميع التقديرات والتنزل في أعداد القتلى» تلزمنا بأن نقول «إن يوم عاشوراء ليس كباقي الأيام ولا يشبهها، بل هو يوم امتد اثنتين وسبعين ساعة» (جواهر، ص٦٠٧؛ إكسير العبادات: ٣/ ٤٠).

وله بحث مستقل في امتداد يوم عاشوراء اثنتين وسبعين ساعة، وهو ينزعج لاستبعاد بعض هذه المسألة، ويعدّ المخالفين جماعة «جهلاء حمقاء» إذ يثيرون استفسارات في هذا المجال.

يقول هؤلاء، أي المعترضون عليه: لماذا لم يسجل «أهل الغرب وأهل الصين وأهل الهند وأهل إيران» مثل هذه الحادثة بأن يكون يومٌ اثنتين وسبعين ساعة؟. فيردّ مخاطبًا إياهم «أيها الحمقى! أيها الجهلاء!» ويكتب: «إنكم في الحقيقة تنكرون القدرة التامة فوق التهامات للحق تعالى» فحسب رأيه، ما الإشكال في أن يكون اليوم اثنتين وسبعين ساعة؟ فإن «مثل هذا مقدورٌ عقلًا لا ممتنعٌ»، ولا تأثير لعدم تسجيل أهل الغرب وأهل الصين هذه المسألة، أوَ لَمْ تكن مسألة شق القمر من هذا القبيل وتحمل ذات الإشكال؟ وإن هؤلاء، أي أهل الغرب والصين قد أخفوا الآلاف من معجزات النبي صلى الله عليه وآله ولم يتناقلوها (جواهر، ص٦١٠-٦١١؛ ويُنظر: سعادات ناصرى، ص٦٤-٦٥). وكما يقول «ما أكثر ما حصل في العالم من أمورٍ عظيمةٍ وحوادث عجيبة غريبة... مما لا يوجد حتى واحد بالألف من كتبها عند أكثر علماء هذه الأزمنة بل لم يبق أي أثر لأكثرها». لقد أشرنا أن الملا آقا جاء بالإثنتين وسبعين ساعة لإثبات معقولية الأعداد العجيبة لقتلى كربلاء على يد الإمام الحسين عليه السلام، ومع ذلك يقول في استنتاج نهائي بهذا الشأن: «إنني اعتقد بما يقارب اليقين أن المقتولين على يدي سيد الشهداء، لم يكونوا أقل من مائة الفٍ، وأن يوم عاشوراء -بالقطع واليقين- كان اثنتين وسبعين ساعة (جواهر،٦١٥).

وفي موضع آخر يقول: بحسب رأيه أن القتلى في يوم كربلاء - بالقدر المتيقن- على يدي «سليمان كربلاء وسلطان عرصات الشدائد»، أي: الإمام الحسين عليه السلام كان مئة ألف شخص. (جواهر،ص٦٣٧).

وتناول هذا البحث في (سعادات) وتصدى لمن استبعدوا وأنكروا بقولهم «ليس ممكنًا أن يكون الإمام قتل يوم عاشوراء أربعمائة ألفٍ أو ثلاثمائة ألف أو مائة ألف أو خمسين ألفًا بل ثلاثين ألفًا وحتى عشرة آلاف» ولا سيما أن قتال الإمام بدأ بعد الظهر من يوم عاشوراء، فكيف يقتل هذا الجمع الكثير في غضون ساعات معدودات»، ولو أخذنا بالحسبان مرات مجيء الإمام ورواحه إلى المخيم والتوديع، فمن الصعب القبول بذلك. يقول الملا آقا في الرد: «لو كان يوم عاشوراء مثل سائر الأيام، ويشبه باقي الأيام، فإن الإشكال يبقى على حاله، ولن يندفع الاستبعاد والإنكار مطلقًا... فلا سبيل ولا علاج إلا أن نقول: إن يوم عاشوراء لم يكن مثل سائر الأيام، بل إن ذلك اليوم مدته اثنتان وسبعون ساعة».(سعادات ناصرى، ص٦٢-٦٣).

ونقل أمرًا عن كتاب (المجلى) لابن أبي جمهور أنه عليه السلام لم يكن يقتل بعضهم أثناء الحرب، ولما سئل عن السبب، قال: إني أنظر «في أصلابهم نُطفًا سيكون منها مؤمنون». (سعادات، ص٦٠). ينُقل عن كتاب عنوانه (منهاج السالكين) عن «بعض الفضلاء المعاصرين من علماء البحرين» أن الإمام كان له في وقتها عمود من نور به» كان ينظر في أصلاب الأعداء الكافرين، ولا يقتل من يرى في صلبه نطفة مؤمنة». (المصدر نفسه). من هنا كان ممكنًا أن يكون عدد قتلى العدو أكثر.

لعل من غريب ما دَوَّنه الملا آقا من عجائب الأخبار، التي لم ترد في أي مصدر ما عدا المصادر المتأخرة، أخبار تتضمن أسماءً عجيبة في كربلاء يتعذر العثور على ذكر لها في المصادر الأساسية، وتُذكّر المرء بأمورٍ وردت في المئة وخمسين صحابي مختلقٍ.

على سبيل المثال يرد ذكر «إسحاق بن جثوة» في قصة مقتل العباس، بل نقلت عنه أمور أيضًا (جواهر، ص٤٢٩، ويُنظر: ص٤٢٦،٦٢٩). والاسم الآخر هو بكر بن غانم، الذي قاتل عليّ الأكبر، والذي ورد في نظائر هذه المؤلفات ومن قبل الملا آقا أيضًا (جواهر، ص ٤٨٤). العجيب أنه ربما جهل بعض العاديين من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وتصورهم أنهم من الأشقياء، مثل العبارات السيئة التي استخدمها بحق نافع بن هلال بأنه كان «من المنافقين». (سعادات ناصرى، ص١٠٦). اسم هذا الرجل «نافع بن هلال» وهو من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وقد وقع هذا الخطأ في مصادر مثل (الفتوح).

وكثيرًا ما تبرز أبعاد استثنائية في أحداث عاشوراء ولا سيما فيما يتعلق بأشخاص من أهل البيت عليهم السلام، أخبارٌ تنقلُ هذه الأحداث الاستثنائية تثير دهشة المخاطَب، فضلًا عن محاولتها إضفاء منزلة استثنائية لهذه الشخصيات، وكثيرة جدًا الأمثلة على ذلك. فيقول عن علي الأصغر أن أمه أحكمت قماطه مرات ومرات لكن الطفل كان يمزقه، فأعادت إحكامه بلفات أكثر لكنه مزقه مرة أخرى، وأخيرًا قال مخاطبًا أمه: أماه! لا توثقي يديَّ فإني أريد أن أتملق لرب العالمين واتخضع وأتخشع وأشير بيدي لأعرض ما أريد. ثم يشير إلى تصرفات صدرت عن علي الأصغر فهمها الإمام الحسين عليه السلام بأن «عليّ الأصغر ينشد الشهادة، ويتمنى القتل في سبيل الله تعالى». (سعادات، ص ٣٠).

انتقادات لأسرار الشهادات

من أوائل المنتقدين للملا آقا، التنكابني (مؤلف كتاب قصص العلماء) الذي اتهم أسرار الشهادة بتضمنه أخباراً ضعيفة، ويقول بهذا الصدد: إنه يقول: إن كتاب (إكسير العبادات) في أسرار الشهادات في نهاية الجودة... وحسن التحرير والبلاغة والسلاسة والجزالة، قد خرج من جوهر حبر التحرير، وجمعتُ فيه أخبار المصاب، ووضعت في

ضعيف هذه الأخبار أبكار الأفكار، وما لا حصر له من التحقيق، والكثير من التدقيق، والجمع بين متنافيات الأخبار، مما لم يكتب أحد كتاب مصيبة بهذا الأسلوب. ما لم تكن الأخبار غير الموثوقة في هذا الكتاب كثيرة ومن الضعاف بل أخبار يُشتبه في كذبها، بل يبدو أن بعضها كاذب بالتأكيد. وهذا مصدر خلل في الكتاب، ولقد دونت كثيرًا من الحواشي والتدقيقات على الكتاب. (قصص العلماء، ص١٠٨).

الميرزا حسين النوري(ت١٣٢٠هـ)، عالمٌ ومحدّث معروف ومن تلاميذ الميرزا الشيرازي. من حيث الزمان هو من الجيل الذي يلي جيل الملا آقا الدربندي. وقد بلغ الشهرة في العلم في زمن قد أصبح في متناول الناس كتبٌ كثيرة عن عاشوراء، من نمط ما كتُب في كاشان أو قزوين، وحتى في كربلاء وإيران من قبل الملا آقا وآخرين. لقد كان الميرزا حسين ميالًا للأخبارية، لكنه كان ذا علم جديّ في مجال الرجال، ومن ثمّ كان يتمتع بروح النقد التاريخي، فرفع راية المعارضة لهذه الكتب، وانبرى إلى نقد نصوصها، إذ طالما كانت تتردد مضامينها على المنابر. الأمر اللافت هو أن الميرزا حسين النوري، كان أخباري المسلك، وكتبه مشحونة بالأخبار الضعيفة، وكان الكثير من القدماء يرى أنها تفتقر للاعتبار. مع ذلك كان يشعر بأن عليه في هذه الحالة الخاصة، أن يكرس جهوده لتعزيز الدين والمذهب، ويقف بوجه هذه الكتب التي تروج للكذب.

ولدى حديثه عن كتاب (محرق القلوب) وما فيه من أخطاء تاريخية، يقول المرحوم النوري: هنالك مفاسد كثيرة تترتب على هذا الأسلوب المتمثل بأن يأتي أناسٌ في كتبهم بكل ما يعثرون عليه في أي كتاب، ويرى أن أقل مفسدة أو «أهون المفاسد» بحسب تعبيره «سخرية الأجانب من الدين والإيمان» ويستندون للخلل في بعض الأخبار المدونة في تلك الكتب، فيجعلونه شاهدًا على «هزالة ووهن سائر أخبار الإمامية» (اللؤلؤ والمرجان، ص٢٤٨).

ولكن الميرزا حسين كان له اهتمام خاص بمؤلفات الملا آقا، إذ وفقًا لمعاييره في نقد

الكتب التي تتضمن روايات موضوعة، تمثل كتب الملا إحدى النماذج الواضحة بحسب قوله. لعل كتاب (أسرار الشهادة) الذي صدر سنة ١٣١٩ أي قبل سنة من وفاة الميرزا حسين، كان أثار قلقه. ففي نقده لمثل هذه الكتب يرى أن من بين الأسباب في ظهورها تصور مؤلفي هذه الكتب المليئة بالروايات الضعيفة، أنهم بعملهم هذا إنما يعظمون شأن كربلاء أكثر، ويهدفون إلى توفير حالة من «حرقة القلوب» على نحو أكثر سهولة. (اللؤلؤ والمرجان، ص٢٥٠).

ثم يروي المرحوم النوري حكايةً من أيام شبابه، وفي محضر الشيخ عبد الحسين الطهراني، فيقول: جاء سيدٌ عربيٌ من أهل الحلة ممن يقرؤون المراثي بكتابٍ إلى المرحوم الطهراني لتقييمه، وكان الكتاب مخطوطًا لكنه بلا بداية ولا نهاية، وقد كتب في هوامشه اسم أحد المؤلفين، وهو أحد العلماء من جبل عامل، ومن طلبة المحقق صاحب المعالم [وذكروا اسمه]، ولما رجع إلى كتب التراجم، التي كانت تتضمن سيرته، لم يكن الكتاب في قائمة مؤلفاته، فقرأ الكتاب «فتبين أنه لا يُحتمل أن يكون من تأليف عالمٍ ما، لكثرة ما تضمن من أكاذيب فاضحة، وأخبار واهية». فنهى الشيخ عبد الحسين ذلك الطالب عن نقل مضامينه (اللؤلؤ والمرجان، ص٢٥٠).

ونقل القزويني المضمون نفسه في أسرار المصائب، وكأنه جاء به نصًا عن النوري (أسرار المصائب، فريم١٩٥).

ربما يكون المقصود هو «شهاب الدين العاملي» بحسب احتمال المصحح، فنحن نعلم أنه ذاته ابن عصفور البحراني، الذي يسميه الملا آقا أحيانًا شهاب الدين العاملي.

بعد التفصيل المتقدم، الذي جاء به، يقول الميرزا حسين النوري: «بعد عدة أيام اتفق وإن اطلع الملا آقا الدربندي، فأخذ الكتاب من ذلك السيد، وإذ إنه كان يعمل على تأليف كتاب (أسرار الشهادة)، فقام بتفكيك روايات ذلك الكتاب وإدراجها متفرقة في كتابه،

وزاد في عدد الروايات الواهية الموضوعة التي فاقت الحصر، وفتح أمام المخالفين أبواب الطعن والسخرية والاستهزاء». إنه يعدّ الأخبار عن عدد القتلى من الأعداء في كربلاء نموذجًا من ذلك، فيقول: «لقد ساقته همّته إلى حيث وصل بعدد عسكر أهل الكوفة إلى ستمائة ألف فارس، وضعفيه من الرجّالة» ويتابع «لقد أتاح أمام قراء المراثي مجالًا واسعًا أن يتمادوا بما لا نهاية له، ويتجرؤون على المنابر، ويذكرون السند فيقولون: هكذا قال الفاضل الدربندي».

وفي الختام قام الميرزا حسين بتقييم (كتاب أسرار الشهادة) فقال: «الفاضل المذكور من العلماء المبرزين، والأفاضل المعروفين، وكان لا نظير له في الإخلاص لخامس أصحاب الكساء، لكن هذا الكتاب لا وقع له ولا اعتبار عند علماء الفن، ونقاد الأحاديث، والاعتماد عليه، كاشفٌ عن الخلل في عمل الناقل، وقلة بصيرته في الأمور». ويتابع «رغم تصريحه في الكتاب بضعف روايات تلك المجلدات، وظهور علامات الكذب والوضع فيها، لكنه التمس العذر لنقلها في الكتاب، فاشترك في التخريب بتجزئة الروايات». (اللؤلؤ والمرجان، ص٢٥١).

لقد كان الميرزا حسين يتردد على الملا آقا، ويقول: إن «المرحوم المذكور» نقل لي «مشافهةً» بعض «المطالب العجيبة» من كتابه، ثم نقل عنه ما يتعلق بصيرورة يوم عاشوراء اثنتين وسبعين ساعة، وقال: إن الملا آقا بنفسه، كان قد سمع ذلك عن شخص آخر، وكان يستغربه في البداية، لكنه «تذكر» فيما بعد أنه صحيح. ويقول: لقد أتى بهذا الموضوع في كتابه، وهذا يدل على مزاجيته.

لقد وصف الميرزا حسين النوري «انعدام المهارة والخبرة بأحوال العلماء وأرباب السير والمؤرخين، وفقدان قوة تمييز الثقاة عن غير الثقاة» بأنها المشكلة الأساس عند هؤلاء الكتّاب، وقال: إن انعدام الخبرة تصبح عاملًا في «أن يعتمدوا كتابًا من السير والتواريخ» دونما معرفة فيقحموا في كتبهم المطالب الخاطئة و«المنكرات». إنه يطالب

الخطباء الصادقين في عملهم، بأن لا ينقلوا عن «كتاب غير موثوق» وإن كان مؤلفه «عالمًا متقيًا»، فالخطيب الصالح يجب أن «يتعلم من أساتيد الفن، ولا يتخطى أقوالهم». إنه يحذرهم لئلا ينقلوا شيئًا عن «جنك المزخرفات». (اللؤلؤ والمرجان، ص٢٥٢-٢٥٣)، وهو يأتي بهذا الكلام في خاتمة الحديث عن الملا آقا، وربما يكون إشارة إلى ذلك الكتاب.

وفي موضع آخر من كتابه، وفي سياق البحث في الأخبار الضعيفة في مصطلح المتقدمين والمتأخرين، يعبر عن تلك الطائفة من الأخبار بـ «الموهونة» والكتب «غير المعتمدة» ولم ينقل عنها حتى أمثال المجلسي والمحدّثين في عصره ممن سبقوه ولحقوا به. ويشير إلى خبر زعفر الجني وقصة عرس القاسم و«كلاهما موجود في (روضة) الكاشفي، والثاني موجود في (منتخب) الشيخ الطريحي، المتضمن للموهون مثل «دفن الأعداء للسيد عبد العظيم الحسني حيًا في الري». إنه يقول: إن عرس القاسم لم يكن موجودًا في مصدر إلى ما قبل كتاب الروضة، حتى أن ابن شهرأشوب لم يذكره، وهو الذي يقال بأنه كان يمتلك ألف كتاب مناقب. ثم يتابع: «أما قصة زبيدة وشهربانو والقاسم الثاني في أرض الري ونواحيها ممن تتداولهم ألسنة العوام» «من الخيالات الواهية، التي ينبغي أن تكتب في ظهر كتاب (رموز حمزة) وسائر الكتب الموضوعة». ثم يكتب قائلًا: «إذا ما اجتمع هذا النمط من الأخبار الضعيفة، التي لا أصل لها ولا مصدر، وبهذه المقومات من الوهن في كتاب لبعض الغايات الفاسدة، مثل إظهار كثرة التتبع والاطلاع، والإتيان بموضوعات جديدة، تفوق المقاتل السابقة، تبرز لهذا المذهب مسائل تكون نتيجتها الواضحة، وثمرتها الظاهرة، وهنًا عظيمًا للمذهب، والطائفة الجعفرية، وتوفيردواعي السخرية والاستهزاء والضحك في أيدي المخالفين، ليقيسوا سائر أحاديث ومرويات الإمامية على مقياس هذه الأخبار الواهنة، والقصص الكاذبة، حتى بلغ الأمر أن يكتبوا في كتبهم: إن الشيعة بيت الكذب، ومن أنكر فيكفيه النزول بكتاب «أسرار الشهادة» إلى الميدان لإثبات هذا المُدّعى، ناهيك عن نظائره». (اللؤلؤ والمرجان، ص٢٨٨-٢٨٩).

يروي النوري في عدد قتلى الأعداء في كربلاء أن المسعودي ذكر في (إثبات الوصية) أنهم ١٨٠٠، و«رفع ابن شهرأشوب العدد إلى ١٩٥٠ مع كثرة تتبعه واطلاعه»، أما في هذا الكتاب، أي (أسرار الشهادة) الذي جاء تأليفه بعد ألف عام من المسعودي، فقد وصل بعدد القتلى على يديه [الإمام الحسين عليه السلام] إلى ثلاثمائة ألف ، وعلى يدي أبي الفضل إلى خمسة وعشرين ألفًا، وخمسة وعشرين ألفًا على أيدي الباقين أيضًا». (المصدر نفسه، ص٢٩٠).

ثم يتساءل مع نفسه: «ما الغرض في هذه المبالغات، ونقل الأكاذيب؟» لعل الغاية إثبات الشجاعة الإنسانية له عليه السلام، لما يراه من أنه شجرة مباركة وموضع للمدد الغيبي. أي: موضع للحديث عن «إمداد بنفط أسود فاسد؟» (المصدر نفسه، ص٢٩١).

ومن المعاصرين للميرزا حسين النوري، وشنَّ حملة قاسية على هذا النمط من الموضوعات، علي بن محمد تقي القزويني مؤلف كتاب «أسرار المصائب». توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة مجلس الشورى برقم ٧٨٣٢. وفي مقطع من كتابه يتحدث عن الكذب على النبي والأئمة، فينقل أمورًا بهذا الصدد عن الميرزا حسين النوري واصفًا إياه «الفاضل المعاصر النوري»، ويروي نماذج من نسبة الكذب إلى الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، من بين ذلك حديث الإمام الحسين عليه السلام مع ليلى أم علي الأكبر. وكذلك الأمور التي ينسبونها للإمام الحسين عليه السلام حين شهادته إذ يقول للسيدة زينب «فقال لها يا أُخَيّه! ارجعي للخيام فقد كسرتِ قلبي، وزِدْتِ كربًا على كربي» معبرًا بـ» فإنه كذبٌ على الإمام عليه السلام في الأمور العادية»، وفضلاً عن أنه يرى نسبة العبارات اللفظية الكاذبة للإمام مصداقًا لنسبة الكذب إلى المعصوم، فإنه يعتبر نسبة الأفعال الكاذبة مصداقًا لذلك، ومن بين ذلك هذه الموضوعات بأن الإمام قام بحملات عديدة يوم عاشوراء قتل خلالها آلاف البشر أو أكثر «وهذا كذبٌ عليه»، بل حتى النماذج التقريرية تشمل نسبة الكذب أيضًا، وبقوله: إن زيادة الأعداد وما شابهه، يُعدُّ كذبًا عرفيًا، لأن ذلك ينظر

إليه كذبًا من وجهة نظر «العرف» أيضًا. (أسرار المصائب، إطار١٨٣).

وفيما بعد أكد علماء مثل آقا بزرگ الطهراني، والميرزا محمد علي مدرس التبريزي (ريحانة الأدب: ٢/ ٢١٧) على عدم اعتماد ذلك الكتاب، مستندين إلى كلام الميرزا حسين النوري. كتب التبريزي بهذا الصدد: من باب الإنصاف، أن كتابه هذا، بل سائر مؤلفاته، التي ألّفها في المقتل، كانت على إثر فرط محبته، حاوية للغث والسمين، وقد كتب العلامة المحدث النوري، شرحًا حول ضعف كتاب أسرار الشهادة، وعدم الوثوق به.

وهنا ينقل المدرس التبريزي عن المرحوم محسن الأمين، ما كتبه عن الكتب العاشورائية للدربندي: «الدربندي، قد أكثر في مؤلفاته النقلية من الأخبار الواهية، بل أورد ما لا تقبله العقول، ولم تصدقه النقول، ففي كتابه (سعادات ناصرى) الكثير من الغرائب التي لا يكتبها مؤرخ، ولا يصدقها العقل» (ريحانة الأدب: ٢/ ٢١٧).

في زماننا المعاصر، وجه الأستاذ المطهري النقد للملا آقا الدربندي في موارد عديدة، وكان لهذه الانتقادات صدىً واسع لدى معاصرينا. إن اهتمامه بهذا الكتاب، وبنظرة ناقدة خاصة، منشؤه التأثر الذي استلهمه من انتقادات الميرزا حسين النوري في (اللؤلؤ والمرجان). وبانتقاده لكتاب (روضة الشهداء) للكاشفي، بأنه يتحدث عن خرافات، يقول الشيخ المطهري: قبل ستين أو سبعين سنة، ظهر المرحوم ملا آقا الدربندي، وجمع كل ما في روضة الشهداء، فضلاً عن أشياء أخرى في مكان واحد، فوا ويلاه! كتب الشيخ النوري يقول: كنا في درس المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهراني - وهو رجلٌ جليل، وأستاذ الشيخ النوري- ونستفيض من محضره، فجاءه سيدٌ خطيبٌ من أهل الحلة، وأعطاه كتاباً ليراه إن كان معتبرًا أو ليس معتبرًا، وكان الكتاب بلا بداية ولا نهاية، وقد كتب في هوامشه اسم أحد المؤلفين، وهو أحد العلماء من جبل عامل، ومن طلبة المحقق صاحب (المعالم)، فأخذ الشيخ عبد الحسين هذا الكتاب ليقرأه، أولًا نظر في سيرة ذلك العالم، فوجد أنهم لم يذكروا كتابًا من هذا القبيل باسمه، ثانيًا: قرأ الكتاب

فوجده مشحونًا بالأكاذيب. فقال لذلك السيد: إن الكتاب كذبٌ كلُّه. إياك أن تخرجَه إلى الخارج، أو تنقل شيئًا عنه، فلا يجوز. وبالأساس إن الكتاب ليس لذلك العالم، وكل محتواه كذب. كتب الشيخ النوري: إن الكتاب وقع بين يدي صاحب (أسرار الشهادة) فقام بنقله من أوله إلى آخره. (مجموعة آثار:١٧/ ٩٥؛ ويُنظر: ٥٩٢).

في موضعٍ آخر كتب المطهري: إن الملا آقا الدربندي باتفاق الآراء كان رجلًا صالحًا، حتى أن المرحوم الشيخ النوري، الذي كان يبالغ في انتقاد كتابه - والحق معه بانتقاده- يقول عنه: إنه رجل صالح، ومخلصٌ للإمام الحسين -عليه السلام- حقًا، ويقول: إنه كان في الحقيقة عندما يسمع باسم الإمام الحسين عليه السلام تسيل دموعه. وكان على مستوى جيد في الفقه والأصول... على أية حال، على الرغم من أنه كان رجلًا عالمًا، إلا أنه كتب أسرار الشهادة فقام بتحريف واقعة عاشوراء كليًا، وقلبها رأسًا على عقب، وأفقدها المعنى والمحتوى. (المصدر نفسه، ١٧/ ١٣٢). لقد طلب الشيخ المطهري من الشيخ علي أكبر غفاري كتاب مقتلٍ هو الأكذب، فأرشده إلى (أسرار الشهادة)، ولكن كان الوقت قبيل محرم، فلم تتيسر له نسخة منه لأن الخطباء تلاقفوه للاستعانة به (الملحمة الحسينية،٣/ ٢٦٥، وينظر: مزيدًا من الانتقادات:٢٧٢).

الملا آقا يرى مخالفيه جهالًا وعوامًا

في قراءة لكتب الملا آقا، نشهد أنه استخدم تعبير «جهلاء وحمقاء وعوام» كرارًا. في الحقيقة إن مفردة العوام، استخدمت كثيرًا في العهد القاجاري، وهذا نتيجة لتنامي الثقافة التي تبلورت في باب الاجتهاد والتقليد. (ينظر: مقالة مفهوم وجايگاه عوام در أدبيات ديني ما، المطبوع في مفهوم علم در تمدن اسلامي، صص٥٦٥-٥٩٢). إن الملا آقا يرى نفسه في أعلى مراتب العلم، وعنده حالة من الولع في استخدام هذه الكلمة بحق مخالفيه، وغالبًا ما تشمل استخداماته لتعبير (الجهلاء) علماء هم في نظره أميون، ممن

يتعاطون بالتشكيك في الآراء والأفكار والأخبار التي يأتي بها في كتبه.

عندما كان يستدل على أن يوم عاشوراء اثنتين وسبعين ساعة، كان يعرض وجهات نظرهم، ورأيه بهذا النحو: «رب شخص يعيد السؤال ويقول: إن الأمر أصبح الآن مشكلًا، وأصعب مما سبق، لأن هذا الأمر [يوم عاشوراء اثنتان وسبعون ساعة] لا يلائم عقول العوام، بل علماء وفضلاء ممن يتبوؤن مناصب عليا، بل استبعادهم له أكيد، وانكارهم قائم. فأقول في الرد: آه آه، مائة ألف، وآهٍ من طبع وخصلة العوام، وأولئك الذين هم علماء وفضلاء، لكنهم بطبع العوام وجهلهم». ثم يتحدث شاكيًا وضع العلم في زمانه ويواصل: «إن الغالبية من علماء هذه الأزمنة، خالو الوفاض من العلوم الربانية، والعقائد الحقة، بل جميع العلوم، إلا القليل من علم الفقه، وعلم أصول الفقه، وذاك ما اكتسبوه -والله وبالله- على نحو البساطة والسذاجة، وعن طريق التقليد، ولو أنهم سمعوا سيولًا من السبّ والشتم، ما اشمأزوا ولا تغيروا كاشمئزازهم وتغيرهم إذا ما سمعوا كلمة حق وصدقٍ، من أحد ما». من وجهة نظره، إن الذين يطلقون على أنفسهم علماء، يعلمون قليلًا من الفقه، لكنهم ليسوا خبراء بالحديث، ولا سيما كتاب (الحجة) في الكافي، فهم ليسوا على دراية به ليدركوا مقامات الأئمة: «يمضي من عمر كل منهم خمسون أو ستون أو سبعون سنة، ولم يطلّع على باب واحد من أبواب (أصول الكافي من كتاب الحجة وعلوم الأئمة عليهم السلام) الذي يزيد على ستين بابًا، بل لم يمروا عليه ولو مرة واحدة طوال عمرهم». إنه يقول: لا ينبغي القلق إذا ما انبرى «جهلاء الشيعة» «لإثارة الجدل والنقاش والإنكار والاستبعاد»، فمن الواضح - وقد صرح الأئمة- بأن الأذى يلحقنا» من بعض أصحابنا، وعلماء شيعتنا» مثلما يؤذينا أعداؤنا.(سعادات ناصرى، ص٦٣-٦٤).

ولدى علاجه لمسألة الـ اثنتين وسبعين ساعة، يرى الملا آقا أنه يواجه من ناحية العوام والجهلة، ومن ناحية أخرى إنه على قناعة بمحاذرة «لأذكياء ومن على شيء من الفهم من

العوام» فلو لم نجعل هذا اليوم اثنتين وسبعين ساعة، سيقول العوام ممن يفهمون شيئًا: ما هي نتيجة «شجاعة الإمام الحسين والعباس وعلي الأكبر وسائر شبيبة بني هاشم» الذين قيل «لا شبيه ولا نظير لهم على وجه الأرض»؟ هل «هذه هي الوقائع الكثيرة، وهذا القتال، وجهاد الإمام والعترة الهاشمية وسائر الأصحاب، ما كان حصل على مدى عشر أو اثنتي عشرة ساعة؟ سبحان الله». (سعادات ناصرى، ص٦٤). إن الأصل في نظر الملا آقا، هو أن هذه الشجاعة، يجب إثباتها والتوسعة في الوقت، لئلا تطرأ مشكلة في أذهان العوام. فالمهم في نظره إثبات هذه النظريات، وأن العوام والخواص بأجمعهم، وكل من يفهم ومن لا يفهم، إنما يدورون مدار القبول بآرائه. وبالنتيجة فإنه يخاطب المشككين بكون يوم عاشوراء اثنتين وسبعين ساعة بخطاب «أيها الحمقى، أيها الجهلة» عادًّا إياهم منكرين «قدرة الحق تعالى التامة فوق التمامات». (سعادات، ص٩٥).

وهنا تدخل القواعد الرياضية في الميدان أيضًا، أي: استناد الذين ينكرون استطالة يوم عاشوراء اثنتين وسبعين ساعة للقواعد الرياضية. في رأيه مبدأ العلوم الرياضية قد أُخذ من فلاسفة اليونان، وإن هؤلاء ظهروا في أوساطنا في عهد المأمون اللعين، ويتعين أن يُلقى جانبًا كل ما هو ليس موافقًا للشرع. الأفضل أن ننقل عبارته: «أُفٍّ وتفٍّ لعقول وأفهام أولئك المسلمين القائلين بمخالفة هذا الأمر لقواعد العلوم الرياضية. أما علمتم أن العلوم الرياضية كسائر علوم الحكمة اليونانية، قد أُخذت عن فلاسفة اليونان، وتُرجمت عن كتبهم في زمن اللعين المأمون، وأن ما وافق شرائع الأنبياء والمرسلين من علومهم، إنما هو مأخوذ عن الأنبياء، وما هو مخالف لقواعد شرائع الأنبياء، إنما هو أفكار الفلاسفة الفاسدة الباطلة العاطلة من قبيل القول بقدم العالم، وإنكار الحشر الجسماني، بل أفكار الشرائع والمسلمين؟ إذن أيُّ مسلمٍ يقول بهذا؟ لأن التأسيس على القواعد الرياضية للفلاسفة، لازمته إنكار انشقاق القمر، والمعراج الجسماني لرسول الله ﷺ». (سعادات ناصرى،٦٦).

في موضع آخر، يتحدث عن الأسرار النورانية، وينوه إلى أن الغالبية من أهل زمانه من العوام، وليسوا قادرين على إدراك هذه الحقائق: «إن أكثر الناس من العوام، ولم يبق شيء من العلوم في هذا الزمان من الفقه إلا صورته، وقليل من أصول الفقه الخالي من التحقيق. وا ويلاه، وا مصيبتاه، لقد اندرست علوم القرآن، وعلوم الحديث، والأخبار بالكامل، ولم يبق على نحو تام اسم ولا رسم للعلوم العقلية بتحقيقاتها النورانية في علوم كتاب الله المجيد، وعلوم أحاديث أصحاب الولاية، والخلافة المطلقة». وشاهده اعتراضات أولئك وإنكارهم وإشكالاتهم على الأمور التي يطرحها: «إن أردتَ أن تعلّم المسلمين والمؤمنين علومًا من أصول مذهب التشيع، يلقي الذين يسمون أنفسهم علماء، بعض الشبهات، فينأى المساكين من العوام عن الموضوع، وهم على وشك أن يفهموا الأمر بدافع فطرة الله التي فطر الناس عليها. والسرّ في ذلك هو البعد الذي يفصل أكثر المطالب العلمية الدقيقة عن تصورات ومخيلة أولئك الذين لم يبصروا علوم القرآن والروايات، فصار إنكار مثل هؤلاء العلماء مدعاة لإنكار عوام الناس». ويقول: إن العوام من ينكر «خبر مجيء أمير المؤمنين عليه السلام على هيئة أسد عند مقتل سيد الشهداء». ويقول: إنما العوام مَنْ إذا سمعوا هذا الخبر يحاولون «قتل المتكلم أو تكفيره، لأن أوهامهم وتصوراتهم الفاسدة، تصور الأمر معيبًا ومنقصة، والحال أن هؤلاء الجهال المساكين غافلون عن حقيقة الحال». في الحقيقة إن الجسد الحقيقي للإمام علي عليه السلام في ذات القبر إلى الأبد، ولا يعتريه أي تغيير (سعادات ناصرى، ص١٥٨-١٥٩)، والذي يأتي -بطبيعة الحال- الهيئة البرزخية للجسد: إن «مراد المتكلم وقصده من هذا الكلام» هو أن «الأرواح النورانية والشعشانية لمحمد وآل محمد، ونفوسهم الكلية القاهرة الباهرة، تتصرف بأبدان مثالية لطيفة كثيرة، وأجساد نورانية برزخية وفيرة». (المصدر نفسه، ص١٥٩).

ولو لم تكن لدى الملا آقا مؤلفات فقهية وأصولية مثل (خزائن الأصول)، لتصور المرء أنه رجلٌ قصاص وخرافي، يصنع من القشة جبلًا، فهو ينقل قصصًا مثيرة للعوام،

متصورًا صحتها، لكننا أمام رجل عارف بالنظام الفكري والمعرفي الحاكم على الفقه والأصول من حيث الدقة بالإسناد، ودلالة الكلمات، وغير ذلك. ومع ذلك فهو ليس وفيًا قيد أنملة لتلك الأصول ضمن دائرة التاريخ الديني.

إن الملا آقا يتحدث على مدى صفحات مطولة عن دم الإمام الحسين عليه السلام، ويسطر حكايات وأحكامًا عجيبة وغريبة حوله، ومن ثم يبدأ بمجلس آخر ويقول: من الضروري مواصلة ذات الموضوع، لكنه يتردد ويكتب: «لما أردت الشروع بهذا المقام، ألفيتُ همسات وتصورات ومحظورات قلبية قد داهمتني أن لا أكتب عن هذا المقام، واكتفي بما كُتِب عن الدم الطاهر» لِمْ لا يكتب؟ هنا يأتي دور الحمقى والجهال، فيكتب: «بما أن أكثر هذا الزمان حمقى وجهال ومستضعفون، وتتحكم فيهم التصورات الفاسدة، والأوهام الكاسدة، والوساوس الشيطانية، وتتبلور مزاعمهم الباطلة، وتصوراتهم العاطلة، بأنني أبالغ بخصوص، واكتب بإسفاف، بشأن الدم الطاهر، أستجير بالله، ومعاذ الله تعالى. فاستخرتُ الله بالقرآن الكريم في هذه الليلة، وهي ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك... وتوقفت عن الإشارة إلى أبحاث هذا المقام الواجب» (سعادات ناصرى، ص١٩٥).

يبدو أن هذه الهجمات على «الجهلة والعوام» تنويه إلى كثرة عدد المنتقدين له، والرافضين لهذه الأبحاث، وبطبيعة الحال إنه كان يحدِّث بالكثير من هذه الموضوعات على المنبر، في الوقت نفسه الذي كان هنالك معترضون عليه. وقد تقدمت منا الإشارة أن عبد الله المستوفي، وجه إليه انتقادات لاذعة.

تغلغل مؤلفات الملا آقا في المجتمع المتدين بإيران

الآن إذ انتهينا من الانتقادات الموجهة له، حريٌّ أن نقول، استنادًا لما نعرفه من كتبه بمختلف الطبعات وكذلك مخطوطاته: إن الملا آقا كان مؤثرًا في المجتمع المتدين بإيران. وكانت مؤلفاته نافعة لأهل المنبر، لحاجتهم للمزيد من التفاصيل عند الحديث عن واقعة كربلاء، وجعلها أكثر جاذبية وعاطفية، وهي بالضبط كالإسرائيليات التي استعان بها مفسرو الصدر الأول، لمزيد من توضيح الآيات التاريخية الخاصة بالأنبياء. إنها نمط من المفردات التاريخية القصصية، وفي الوقت نفسه مقترنة بمفاهيم مقدسة، لا ضرورة للبحث في سندها من الأساس، يجري استخدامها على نحو طبيعي، لشرح تاريخ الأنبياء، ونحتاجها هنا عن تاريخ عاشوراء.

لقد سرى تأثير الملا آقا في المجتمع المتدين المعاصر له، حيث كانت الموضوعات العاشورائية تحظى ببالغ الأهمية، وكذلك في المراحل اللاحقة، وبقيت أفكاره ومؤلفاته موضع اهتمام على مدى مائة وستين سنة ونيّف، وتركت أثرها في الكثير من المؤلفات التي أُلّفت من ذلك التاريخ حتى الآن. فعلى سبيل المثال إننا نشهد في زماننا نقولًا كثيرة عنه في كتب من قبيل (رياحين الشريعة) (ذبيح الله محلاتي، طهران، ١٣٧٠، على سبيل المثال: ٣/ ٥٦، ٧٣، ١٦٧، ٢٧٢) موسوعة كربلاء، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء(س)، [إسماعيل أنصاري «قم،١٤٢٨» الذي كان من هذه الفئة من الأشخاص في نقل الأخبار الضعيفة)، وموسوعة الإمام الحسين أيضًا (چاپ سازمان پژوهش و برنامه ريزى آموزشى، تهران، ١٣٧٨).

يُوصف الفاضل الدربندي في أوساط المتدينين بالزاهد، وتتداول ألسنة العامة عنه حكايات أهل القداسة، ففي السنوات الأخيرة، كان السيد الحاج آغا مجتبي طهراني حيثما أراد أن يضرب مثالًا بوجوب أن يرتبط الخطيب بعلاقة بالله، يقول: يقولون عن الملا آقا الدربندي إن رجلًا قال: لقد دعوته إلى بيتي وتعمدتُ إطالة المجلس حتى لا يتسنى له

الخروج إلى داره، فطلبتُ منه أن يبقى عندي، لأرى كيف هو عند السحر، فاذا به ينهض قبل الأذان بساعتين أو ثلاث، فما أن جلس، قال: «السلام عليك يا أبا عبد الله» وبدأ بالبكاء وبقي يجهش بالبكاء. نهض وذهب ليتوضأ، وبقي يبكي حتى السحر، وارتفع الأذان فنهض وصلى. (عن الوبسايت rcb.ir).

وفي حديث له في شهر آذر سنة ١٣٩٧ قارن آية الله السيد صادق الشيرازي الكربلائي بين الشيخ الانصاري والملا آقا الدربندي فنقل أمرًا -وربما- حكاية أيضًا عن السيد المرعشي أنه قال: كلاهما كان تلميذًا عند شريف العلماء . كانت مرجعية الشيخ الأنصاري عامة، ومرجعية الدربندي مقيدة. أحد تلاميذ الشيخ الانصاري رأى في المنام أنه سيتوفى بعد ثلاثة أيام، وقال ملَكٌ له: هذا القصر لك، وكان هو في الطريق إلى إيران، فعاد إلى النجف وقصَّ الأمر على الشيخ. وقال: رأيت قصرًا آخر في المنام، قيل إنه للشيخ الأنصاري، والى جانبه قصر أكثر عظمة، قالوا: إنه للشيخ الدربندي، فسأل عن السبب في هذا الاختلاف فقال له ملك: هذا ليس جزاء أعمال الدربندي، بل هو هدية من الإمام الحسين عليه السلام، أما قصر الشيخ الأنصاري فهو أجر أعماله. (وبسايت: برشين .شيرازي. ir).

وثمة حكاية أخرى عن سفره إلى أردبيل، وهي منقولة في المصادر، بدخوله حجرة أحد الطلبة، وكان يحيي الليل، ومن ثم لقاؤه بعالم المدينة الميرزا محمد علي الأردبيلي. (سرو چمان، عادل مولائي،ص٥٣).

لقد كانت مؤلفات الدربندي موضع فائدة خلال القرن والنصف الماضي أيضًا. كتب محمد حسين الجلالي عن كتابه (إكسير العبادات): «كتابه في المقتل، من أشهر كتب المقتل، وأوسعها تفصيلًا، يعتمد عليه عامة خطباء المقتل دون غيرهم». (فهرست التراث:٢/ ١٦٦). وردت في كتب الأدب الفارسي تلميحات إلى بعض مؤلفاته بطريقة قصصية:٢/ ٩٨٥.

وخلال مدة مكوثه في طهران، كان منبر خطابة الملا آقا منتعشًا للغاية، وكان له مريدون كثيرون، ومما يُنسب إليه إعتماد شأنية المزار المنسوب للسيدة زبيدة، إذ جرى تأكيد ذلك في كتيبة تحمل عنوان نتيجة تحقيقات الملا آقا في تلك البقعة سنة ١٢٨٦ حول سفر شهربانو وابنتها زبيدة الخ... وأمور أخرى مما تعارف ورودها في بحر الأنساب. (فرهنگ جامع تاريخ إيران: ١/ ١٣٢؛ ري باستان: ٥٣٧).

التصوير القصصي في مؤلفات الدربندي

ربط بعض الأخبار بمصاديق تاريخية معاصرة:

متى ما قرأنا بحر الأنساب، وطالعنا القصص العجيبة، والحروب المذهلة، يبرز فجأة اسم بلدة أو منطقة، وراوٍ يروي حتى يجعل القاريء العارف بتلك البقعة، يطبق الأخبار على تلك البلدة، أو الموقع الجغرافي.

إن الملا آقا يتمتع بهذا الأسلوب أحيانًا، فلدى الحديث عن قطع شمرٍ رأسَ الإمام الحسين عليه السلام، ورفعه الرأس على الرمح، وسيره به، وتكبير الرأس و«حينها بلغ صوت تكبير الرأس المقدس لخليفة الله تعالى إلى جميع عوالم الإمكان، وطاف على عالم النشأة قاطبة» و«إن الجميع كبَّروا تبعًا لرأس خليفة الله تعالى»، ويتابع: إن شمرًا سار قليلًا بالرمح، وإذا بهذا الكافر «قد أُنهكت قواه» فرأى في حينها «صخرة كبيرة وعالية قد سقطت، فوضع الرأس الأقدس الأنور على تلك الصخرة»، وهنا يقدم رواية عن مكان تلك الصخرة في أوان إقامته بكربلاء، ويقول: «إن هذا المكان يقع حاليًا قرب أحد أبواب الصحن الشريف، ويعرف بـ (باب السدرة)، وكل من يدخل الحرم، أو يخرج، يغادره من ذلك الباب، يتوقف عنده، ويبدي التعظيم والتجليل له، ويؤدي السلام على الإمام المظلوم، وذلك الموضع يشبه قبلة صغيرة، أي: حجرة صغيرة، وبابه مقفل ومسدود على الدوام. وتعلو تلك الحجرة كتيبة: «هذا مسقط رأس الحسين». والظاهر أن هذه الكتابة كانت موجودة في سالف الأزمان أيضًا. ويتحدث فيما بعد عن «علامات غريبة، وخوارق عجيبة، مثل صيحة وعويل وبكاء ونحيب وسطوع أنوار وضياء» تنبعث ليلًا من تلك القبة». نقل ذلك لي جماعة من الأخيار والثقاة والعدول والمجاورين من العرب

والعجم». (سعادات ناصرى، ١١٠).

ولا بأس أن نشير إلى قصة أوردها الملا آقا حول «خدابنده چنگيزى» الذي زار مرقد الحر، فلقد كان سمع أن الحر أو [الإمام الحسين] قد شد منديلًا على جرح في رأسه - ولم يكونوا قطعوا رأسه - فـ «طمع الملك خدابنده بأن يأخذ المنديل ليحتفظ به في خزانته، فأمر بنبش قبر الحر، فنبشوه وأخرجوا الجسد بطريقة أو بأخرى، وكأنه قد استشهد توًا. فلما رفعوا المنديل انبعث الدم، وأخذ يفور ويجري كجريان الماء من الميزاب... فأعادوا شد رأس الحر بالمنديل نفسه، فانقطع الدم وسكن» [سعادات، ص١٩٤].

وثمة قصة أخرى عن نادر شاه «وإن لم تبلغ حد الشهرة والتظافر مثل قصة الملك خدابنده، ولكنها لا تخلو من الشهرة. وهي أن نادر شاه أخطأ وتجرأ فأمر بنبش قبر حبيب بن مظاهر، ليرى ما إذا كان جسده ما زال على طراوته ونضارته ورقته أم لا. فلما أزاحوا التراب، وبان الجسد، اضطرب الكون وارتبك، وعمّت عاصفة وريح ورعد وعاصفة، وأوشكت أن تظهر علامات دمار الدنيا، فاستوى الجسد قاعدًا وهو مقطوع الرأس، وكان الدم يسيل من حلقومه مجرى الميزاب، فارتفع صوت من الحلقوم: «هل قامت الساعة؟». فأجابه رجل كان إلى جانب نادر شاه: ما قامت الساعة، فعاد الجسد إلى حاله، أي: اضطجع، ولهول هذه المشاهد ورعبها، أصيب نادر شاه بالذهول، وسقط مغشيًا عليه». (سعادات ناصرى، ص١٩٥).

ومن القصص في زمانه، قصة عن قرية زَر آباد في قزوين، وظهور الدم من شجرة كبيرة وعتيقة. إكسير: ٣/ ٧٨). وتحدّث عن صخرة في دمشق على هيئة أسدٍ، ويسيل الدم عينه في يوم عاشوراء. (٣/ ٧٨٢). ويتحدث عن طقس يجري يوم السابع من محرم في إحدى قرى حيدر آباد في الهند، إذ يقومون بحفر حفيرة بطول مائة ذراع، وقطع شجرة كبيرة ورميها في تلك الحفرة، وإشعال النار فيها، وعند منتصف الليل يخرج أهالي القرية عن بكرة أبيهم فيغتسلون في بيت عاشوراء، وهم ينادون «شاه حسين» ويذهبون قرب

الحفرة. وحينها تكون النار تشوي الوجوه على بعد عشرين ذراعًا، فيقترب شيوخهم منها فيدخلونها أولًا ويليهم الباقون وهم ينادون «شاه حسين» ويخرجون من الطرف الآخر دون أن تنغمس أقدامهم في النار. ولقد نقل ذلك عن «السيد الأجّل الفاضل التقي الصالح النقي محمد علي مولوي الدكني الهندي»، ونقل قصة مشابهة أخرى عن بومباي. (إكسير: ٣/ ٧٨٢-٧٨٥). ويقول: إن جماعة في ماجين التي يغلب على أهلها عبادة الأصنام، والمسلمون فيها من أهل السنة، والشيعة يشكلون الأقلية، يقومون بمثل هذا أيضًا. (إكسير:٣/ ٧٨٤-٧٨٥). يرى الملا آقا أن ذلك كله نابع عن عظمة شأن الإمام الحسين عليه السلام.

التصوير القصصي

إن القالب الذي اختاره الملا آقا لنفسه خاصّة في بيان تاريخ التشيع وأفكاره، هو قالب قصصي بنمط ديني مقدس. ولا يمكن القول: إن هذا القالب بالمعنى المتعارف بالضرورة، لكن المسلَّم به أنه ليس قالبًا تاريخيًا معهودًا حتى في بيان واقعة كربلاء، بل هو قصص دينية على غرار ما كان موجودًا في المسيحية، أو مشابهٌ لما جاء في (تذكرة الأولياء ومقامات العرفاء). ففي كلها أخبار مدهشة لكنها تُعرض في هالة من القداسة الدينية والمذهبية من خلال استخدام كلمات ومفاهيم متعارفة، وغايات عقدية وإيمانية معينة.

إن نقل الأخبار الإستثنائية في هذه القصص، لا يعد أمرًا طبيعيًا بأي حال، وهو بمنزلة أصل القصة أحيانًا، ولكن ناهيك عن ذلك فإن التنظيم القصصي بغايات محددة، ومخاطَبٍ متأهبٍ، يحظى بأهمية فائقة. إن التجانس بين العناصر الظاهرة والخفية في القصة، إلى جانب توافر أرضية لدى المخاطَبِ لتقبلها ومعرفتها، يُعد أصلًا. وهنا لا مجال أمام العقل النقاد، ولا محلّ لأي تشكيك. لقد عمل الملا آقا في مجال التصوير القصصي بكل مهارة، ونظرًا لقناعته العميقة، يكرس مشاعره على أحسن وجه في انتقاء العبارات

والكلمات. ونموذج لهذا التصوير الظريف، أنّه خصص بابًا في (سعادات ناصرى) لذي الجناح، وفيما عدا هذا الباب، فقد تطرق إلى ذي الجناح في مواضع متعددة. إنه يقول: بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام «أخذ ذو الجناح يحمحم ويصهل ويصيح»، فأمر عمر بن سعد أن يأتوه بالفرس فإنه «من أفضل جياد خيل رسول الله» لكن الفرس لم يستسلم «وأخذ يرفس القوم الكافرين برجليه، ويأخذهم بأسنانه، حتى قتل جماعة منهم، وألقى العديد من الفرسان عن ظهور خيولهم، وقام بتقطيع مَن ألقاهم عن خيولهم إربًا إربًا ويقتلهم، فقتل منهم أربعين رجلًا على بعض الروايات»، فأمر ابن سعد أن يبتعدوا عن ذي الجناح، ليروا ما هو فاعلٌ «وماذا يصنع». «لما ابتعد الكافرون عنه... أخذ ينظر إلى أجساد الشهداء». «فعلم الجميع أنه يريد جسد سيد الشهداء ولما وصله- آه آه هاى هاى! ليحترق كبدي، وليتقطع فؤادي- أخذ يشم ذلك الجسد ويصهل بكل قوته ويصيح ويبكي بكاء الثكلى ويحمحم ويقول: «الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت رسول الله». [لهذه الحكاية تتمة]. وفي مجلس آخر يجري الحديث عن «مآل ذي الجناح»: «... كان يحمحم ويصيح ويصهل عند الخيام ويبكي ويعول ويهمل الدمع كالمطر، وأخذ يضرب ناصيته بالأرض على مقربة من الخيام، حتى أسلم روحه إلى باريء الخلائق في سبيل صاحبه». وثمة خبر آخر يقول: إن [ذا الجناح] «قصد الفرات، وأخذ يبحث، وأثناء ما كان يبحث شوهد وسط الفرات، ومن ثم غاص في الفرات، ولم يعرف خبره إلى الآن، لكن بعضًا ذكروا أنه عند قائم آل محمد صلى الله عليه وآله على الظاهر». ثم يؤكد: لا ينبغي المرور على ذي الجناح مرور الكرام، فهو «من مواريث الإمامة والخلافة... بل يمكن القول من مواريث النبوة والخلافة». (سعادات ناصرى، ص ١٣١، ١٢٧-١٣٤).

وفي موضع آخر: «لما حضر ذو الجناح عند السيدة شهربانو، وصعدت على ظهره، تعلقت بها ابنتها زبيدة، زوجة القاسم وأقسمت: لا أفارقك يا أماه. أركبتها خلفها على ظهر ذي الجناح، وبأمر من الله تعالى، وببركة خليفة الله، طوى ذو الجناح الأرض،

وجاء أرض الري على وجه السرعة، فقالت السيدة شهربانو لبنت خليفة الله: انزلي يا ابنتي من على ذي الجناح، فأنت من هذه البلاد أو نواحيها من سلالة ساسان ويزدجرد، وسيأخذونك ويتكفلون أمرك». [سعادات ناصرى، ١٤١]. ان هذا التصوير يشبه ما جاء في قصة فضة والأسد (سعادات ناصرى،١٤٩-١٥٠). إن الكتاب زاخر بمثل هذه القصص، وهذه نماذج ممتازة من هذا القبيل.

عبارات أدبية-عاطفية عن عاشوراء

في الروايات والأخبار المتعلقة بعاشوراء، هنالك نماذج لعبارات أدبية، ربما هنالك مَنْ تكون له استنتاجات جادة ومثالية منها، ناهيك عن الاستنتاجات الأدبية، وهذا قد يكون تبعًا للأسلوب الذي نسلكه في تحليل الأخبار، وتفسير أصنافها.

بغض النظر عن الكيفية التاريخية لخبر رمي دم علي الأصغر نحو السماء، وعدم سقوطه على الأرض، فمن الممكن تفسير هذا الخبر بكلا النحوين: الأدبي أو الواقعي. والملا آقا يرجح الاستنتاج الواقعي في مثل هذه الموارد، وفي ضوئه يقدم التحليل والتفسير، بل حتى النظريات الكلامية. إن يكن الإمام الحسين عليه السلام قد رفع ابنه بيده، فبصرف النظر عن حقيقة أن ذلك عادة ما يكون نوعًا من إلقاء الحجة على أهل الأرض، ففي نظر الملا آغا، إن هنالك نوعًا من الاستنتاج السماوي تمامًا لسلوك الإمام الحسين عليه السلام. لا حصر لهذه الموارد في هذا الكتاب. يكتب عن دماء علي الأصغر: «ثمة أسرار في قطرات دم ذلك الطفل المظلوم، التي رماها حجة الله عليه السلام نحو السماء، ولم تقع على الأرض، لأن كل قطرة من هذا الدم بمنزلة ألف ألف شاهد ودليل على صدقه عليه السلام... إذن قد أُرسلت التحفة الحسينية إلى محل الضيافة الإلهية الرحمانية، وإنما صدرت هذه التحفة من فرط المحبة والفناء في الله، فأنّى لها أن ترجع؟» (جواهر، ص٥٧٢).

إن استخدام مفردات من قبيل «مقام الفناء في الله» في مثل هذه الموارد يبرهن على

تأثره بالمفردات العرفانية. إن هذه المفردات بإمكانها في غالب الأوقات أن تزيل الكثير من المعوقات الطبيعية في طريق التحليل.

هنالك الكثير من الكلمات التي تشير في هيئتها الطبيعية إلى مورد خارجي معين، أما في التفسيرات الدينية والسماوية، فمصداقها ليس أرضيًا بل سماويٌ. فعلى سبيل المثال عندما يقال في رواية إن أدعية الزائرين تستجاب تحت قبة حرم الإمام الحسين عليه السلام، يثار إشكال بأن القبة قد شيدت في عهد نادر شاه، فيأتي جواب الملا آقا بالطبع بأن المراد من القبة في الرواية «تلك القبة من نور الياقوت الأحمر والمكلل بالجواهر» و«تحيط بها تسعون ألف قبة خضراء من النور». إنها قبة قد نصبت في أعالي السماء منذ أن استشهد الإمام الحسين عليه السلام. وهكذا تمت معالجة هذا الإشكال والسؤال الذي طرحه «سماحة المرحوم الميرزا حسن شيخ الإسلام في قزوين» على الملا آقا بعد سنة ونصف إثر العثور على رواية للمفضل بن عمر، ويتم اطلاعه عليها، وهو «فرح وسُرَّ كثيرًا» (جواهر، ص٥٩٣؛ سعادات ناصرى، ص٤٦).

ونموذج من نثره في المحبة والعشق الحسيني: أيها السكارى بخمر اليقين، وأيها الثمالى بهوى الدين، ويا أهل الدين العارفين الكاملين، لن يصل مشام الروح نفحة من عطر إشراقات الأنوار الغيبية، وإطلالات واردات السواطع اللاهوتية، أو يتجلى عائد من تلك القافلة حتى يُدَقَّ الحب الحسيني كمطرقة على رؤوس وصدور عشاق طريق الحقيقة الجادين. لن يتيسر لأحد احتواء ما يجمع الكمالات الروحية والمعنوية وما يكشف عن الدقائق الأنفسية والآفاقية حتى يعرف أن محبته هي صيقل الأرواح، وعشقه مصباح في مشكاة القلوب. أجل هكذا هو: لقد حل العشق واستلب القلب منا / وسلب التدبير من الفؤاد المتيَّم. أيها العزيز! أيها الحبيب! يجب أن تحترق سنوات على صفائح محبته، وأن يصاغ حبك في عجينة كيانك، وأن تتخلى عن ملذات النفس ومشتهياتها من أجل التعزية والبكاء، كيما تنال شرف أسمى مراتب الإيمان، وأعلى مدارج الايقان، وأن تحترق على

الدوام بنيران الحب، وتبكي بكلتا عينيك كغياث الربيع، لتكون مصداقًا لما قيل: **عجبتُ لنيران الهوى أنَّ جمرها توَّهجَ من ماء المدامع واضطرم.**

بلى فالسكر بالعشق الحسيني، يتحقق في الباطن. (سعادات ناصرى، ص٩٠).

وثيقتان عن إصابة الملا آقا الدربندي على أيدي البابية

كنت ابحث في الأسانيد عن اسم الملا آقا الدربندي، فعثرت على النصين أدناه فيما يتعلق بنشاط البابية في العراق عند سنة ١٢٧٧ هـ تقريبًا، وكلا السندين عن الهجوم على الملا آقا الدربندي وإصابته بجروح، كما جرى التطرق في السندين إلى نشاطات البابية، وفعل القائم بالأعمال في بغداد ضدهم. الأول يتعلق بالسيد حسن القمي الذي اتهم بالانتماء للبابية في قم، وتم نفيه من البلاد، فجاء إلى الكاظمية. كما ذُكر في هذا السند سيدٌ يدعى ميري أو بيري، وكان ناشطًا في الكاظمية، وكان ذات ليلة في بيت السيد حسن، وبعد إصرار المندوب الإيراني على اعتقاله، هرب إلى إيران. وتحت ضغط من القائم بالأعمال الإيراني قال السيد حسن إنه اتهم عبثًا بالبابية، وهو إنما جاء إلى العراق، لأخذ كتاب تأييد من الشيخ مرتضى (الظاهر هو الشيخ الأنصاري) يثبت أنه ليس من البابية. وثمة أمر في هذا السند، يتعلق بميرزا حسين علي بهاء الله، الذي يعتبره الشيخ عبد الحسين [لعله الطهراني] المصدر الحقيقي للفتنة. لم تكن الحكومة العثمانية تتشدد مع البابية كثيرًا، فأقصى ما كانت تحكمهم به هو السجن، وبطبيعة الحال كانت الحكومة العثمانية تتعرض لضغط الدول الأوربية بسببهم. مهما يكن الأمر إنهما سندان نافعان. ولا أدري ما إذا كانا قد نشرا في مكان آخر قبل الآن أم لا؟ لم أستطع قراءة جميع الكلمات ولا سيما في السند الثاني، وفي مواضع وضعت نقطة أو علامة استفهام. السندان يخلوان من التاريخ، ولكن ثمة أسانيد معهما تحمل تاريخ ١٢٧٧هـ.

السند الأول

تصدقت شوم:

تتوارد الأقوال: إن بعض الزائرين وصلوا كربلاء المعلا، وحصلت فوضى وزحام من قبل فرقة البابية الضالة. حتى ذُكر أنهم أصابوا بجروح بليغة سماحة مجتهد الزمان الآخوند ملا آقا الدربندي، وهو من فحول العلماء. وقد اطلع عامة عباد الله على هذه القضية من بغداد حتى الآن. لا أوامر بشأن هذه الفرقة الشريرة ضمن التعليمات الصادرة لي... لم يصدر أمر بالبابية. إن الفوضى التي ستحصل في هذه البلاد سببها على الأغلب تمرد العرب وقطاع الطرق هناك. لا أعرف أي نوع من العقاب ينزله أولياء الأمور في دولة إيران العليّة بهذه الفرقة الشريرة؟ أو من خلال إعدادات وقواعد الحظر؟ يجب التعامل مع هذه بطريقة جديدة. ومهما يكن الحكم الذي يصدره أولياء الأمر في الدولة العليّة، فإننا نأمل لصاحب الجلالة الشاهنشاه -أرواحنا فداه- الدوام والخلود أن يسمح لأولياء الأمور في الدولة العليّة، ليتسنى اصدار حكم صريح لقلع وقمع هذه الفرقة الضالة بالنحو الذي يأمر به الهمايون. إن الإقدام لاقتلاع هؤلاء بمعونة حكومة بغداد، هو الأقرب للمصلحة والصلاح كما يبدو، لكن أقصى إجراءات السياسة العثمانية بحقهم، هو الحبس، وهذا ليس سبيلًا لعلاج مشكلة هذه الفرقة.

السند الثاني

تصدقت شوم:

بصدد فرقة البابية الضالة، استناداً لتقرير سماحة الشيخ عبد الحسين: إن هذه الفرقة، قبل وصولي إلى بغداد، قاموا بتمرد غريب. مثل ما قام به سيد ميري، إذ اظهر جرأة في محضر الخاقان المقرب القائم بالأعمال. إن قتل الملا آقا الدربندي ليس رواية ينسبونها لنا. لو كنا نفكر بقتله لحكمتُ بأن يقتلوه وسط كربلاء، في وضح النهار. لم يكن بمستوى أن نرسل إليه من يجرحه ليلًا.

إن هذه الصلافة في مقر القائم بالأعمال، بحضور السكرتير، هي من فعل ذلك الشرير، بمعونة ميرزا علي كاشي، الذي بعثت به مخفورًا، وكان حاضرًا معه سيد ميري/ بيري في مقر القائم بالأعمال. وبعد أن قبضت على أولئك، وبعثت بهم مخفورين، قيل: إن سيد ميري قد اختفى في الكاظمية ببيت السيد حسن القمي الذي سبق لقبلة العالم أثناء سفره إلى قم وهمدان في السنة الماضية، أن أمر بنفيه من قم، وقد أرسلت جماعة خلفه، فلم يكن سيد ميري موجودًا في بيته، فقبضوا على سيد حسن، وجاؤوا به، ولما أحضروه كان خائفًا بنحو كان لون وجهه ووضعه كالميت، فسألته: أين سيد ميري؟ ... التقيت سيد ميري؟ كان البارحة في بيتي. لستُ قادرًا على التحدث معه بسبب الخوف. يُحتمل أن يأتي أيضًا إن سمحتم؟ إن جاء الليلة سأطلعكم.

بعد أن أقوم بإحضار سيد ميري، سأقبض عليه. لم يأت إلى الكاظمية، لقد هرب، وقيل للزائرين الإيرانيين الذين وصلوا بغداد: إنه في منزل اليعقوبية الواقع على سبعة فراسخ من بغداد، رأينا السيد ميري كان ذاهبًا إلى إيران. كتبت إلى مندوبي خانقين وقرى

باط وغيرها أن يقبضوا عليه، وكتبت إلى مندوبي الأمير عماد الدولة، أما بعد؟ [سيد حسن] أظهر جزعًا وبكى كثيرًا: أنا لستُ بابيًا، لقد ألصقوا بي تهمة، فأخرجوني من قم، أنا ذاهب إلى الشيخ مرتضى كي آتِ بكتاب تأييد. في الظاهر هكذا أعرب عن ضعفه وإنكاره.

ولغرض إخافة سائر الذين يُعرض عليهم الانتماء للبابية، يجب أن يؤخذ الجميع بجريرة الواحد، وإن انتمى للبابية بالباطن. أذنتُ له فانصرف إلى بيته. ومع ذلك، وفقًا لما اخبر به الشيخ عبد الحسين، فإن رأس تلك القبيلة هو ميرزا حسين علي، ولكن بعد قدوم فدوي قد هرب أغلب من كانوا سببًا في الشر، وتواروا عن الأنظار، ولم يشاهد ميرزا حسين علي في العلن. وقد بعث أخاه وابنه إلى فدوي أول من أمس قائلًا: لقد اتهموني وأنا حاضر للحضور عندك.

لم أرَ شيئًا من فدوي بحقهم حتى الآن، غير أن جميع الملالي يقولون: إن وُجد ميرزا حسين علي هنا، فإنه سيكون مصدراً للفساد. الآخوند ملا آقا الدربندي الذي أصابوه بجراحات، بالأمس كان سماحة الشيخ عبد الحسين ومقرّب الخاقان الميرزا مهدي الخادم، ضيوفًا في مقر إدارة الأعمال. قالوا: إنه جاء إلى الكاظمين. أفكر بأن أذهب إلى لقائه في الكاظمين.

فهرس المصادر

* أجساد جاويدان، مهدي بور، قم، حاذق، ١٣٧٤.
* أحسن الوديعة، محمد مهدي الكاظمي، قم، ١٣٩٤ش.
* اختران فقاهت، ناصر الدين انصاري، قم، ١٣٨٧ش.
* أردبيل در گذرگاه تاريخ، بابا صفرى، اردبيل، ١٣٧٠ش.
* أسرار الشهادة، ملا آقا دربندي، ترجمة ميرزا حسين شريعتوار تبريزى، قم،١٣٩٢.
* أسرار المصائب، علي بن محمد تقى قزوينى، نسخه شماره ٧٨٣٢، كتابخانه مجلس.
* اسناد تاريخي خاندان غفارى، بجهود كريم أصفهانيان وايرج افشار، تهران، موقوفات افشار، ١٣٨٥.
* أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، بيروت، ١٤٠٣.
* إكسير العبادات وأسرار الشهادات، ملا آقا دربندي، تصحيح الشيخ محمد جمعة بادي وعباس ملا عطية الجمري، ١٩٩٤، البحرين.
* آثار تاريخى طهران، انجمن آثار ملى، ١٣٦١ش. تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر، بيروت، ١٤٢٩.
* تنقيح المقال، محي الدين المامقاني، تحقيق محمد رضا المامقاني، قم، ١٤٢٣هـ.
* جواهر الايقان وسرمايه زمان، ملا آقا، چاپ حروفى، بجهود محمد قربان پور، قم، ١٣٩٤هـ.
* حج نامه، كيوان قزوينى، تهران، ١٣٠٧ش.
* خاطرات عين السلطنة، تهران، أساطير، ١٣٧٤ش.

* دايرة المعارف بزرگ اسلامی، مدخل آقا دربندی (١/ ٢٦٨).
* دين ودولت در إيران، حامد الغار، تهران، توس، ١٣٦٩ش.
* الذريعة، آقا بزرگ الطهراني، قم.
* راهنمای دانشوران، محمد باقر برقعي، قم، ١٣٨٤.
* رجال إيران، مهدی بامداد، تهران، زوار، ١٣٥٧.
* ری باستان، حسين كريمان، طهران، دانشگاه شهيد بهشتی، ١٣٧١.
* رياحين الشريعة، ذبيح الله محلاتی، تهران، ١٣٧٠ش.
* ريحانة الأدب، محمد علی مدرس، تهران، ١٣٦٩.
* سعادات ناصری، ملا آقا دربندی، چاپ سنگی، ١٣٠٠هـ.
* سفرنامه فرهاد ميرزا، تهران، علمی، ١٣٦٦ش.
* شرح زندگانی من، عبد الله مستوفی، تهران، زوار، ١٣٨٤.
* شهريار جاده ها، تهران، كتابخانه ملی، ١٣٧٢ش.
* طبقات أعلام الشيعة، (+الكرام البررة) الشيخ آقا بزرگ الطهراني، بيروت، ١٤٣٠.
* علمای معاصر، علی خيابانی تبريزی، قم، ١٣٨٢.
* فرهنگ جامع تاريخ إيران، عباس قديانی، تهران، ١٣٨٧.
* فصوص اليواقيت في نصوص المواقيت، عبد الوهاب بن داود الهمدانی، چاپ سنگی، ١٢٨١.
* الفوادح الحسينية والقوادح البينية، حسين بن الشيخ محمد بن أحمد الدرازي آل عصفور البحراني، چاپ سنگی، ١٣١٢هـ.
* الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، الشيخ عباس القمي، قم، ١٣٨٥ش.
* فهرست التراث، محمد حسين الجلالي، قم، ١٣٨٠ش.

* فهرستواره كتابهای فارسی، أحمد منزوي، تهران، ١٣٨٢.
* قصران، حسين كريمان، تهران، انجمن مفاخر، ١٣٨٥.
* قصص العلماء، تنكابنی، افست، ١٣٦٤ش.
* قمقام زخار، فرهاد ميرزا، تهران، ١٣٠٥ش.
* كاربرد داستان-تاريخ در تبليغات مذهبی، قم مورخ، ١٣٩٧.
* كشف الأستار، أحمد حسيني خوانساری، قم، ١٤١٥هـ.
* گزارش يك كشتار، سيد علي موجانی، قم، ١٣٩٤.
* گنجينه دانشمندان، محمد شريف رازی، تهران، اسلاميه، ١٣٥٢ش.
* لؤلؤ ومرجان، ميرزا حسين نوری، تصحيح درايتی، قم، ١٣٧٩ش.
* المآثر والآثار، اعتماد السلطنة، سنگی، ١٣٠٦هـ، چاپ حروفی به كوشش ايرج أفشار، تهران، ١٣٧٤ش.
* مجدد رزايا النبي والآل، سلمان بن عبد الله آل عصفور البحرانی، تحقيق رحمن الطائي،
* مجموعه آثار، مرتضی مطهري، قم، ١٣٧٧ش.
* محرق القلوب، ملا مهدي النراقي، چاپ سنگی، ١٢٦٤هـ.
* مخزن البكاء، ص١، چاپ سنگی، ١٢٦٧هـ.
* مذاهب وفلسفه آسيايي، كنت دو گوبينو، ترجمه همايون فره وشی، تهران، ١٣٢٨ش.
* مرآة الشرق، محمد أمين خويي، به كوشش صدرايي خويي، قم، مرعشی، ١٣٨٥ش.
* مشاهير مدفون در حرم رضوی، آستان قدس، ١٣٨٦ش.
* مطلع الأنوار، أحوال دانشوران شيعه باكستان وهند، آستان قدس، ١٣٧٤ش.
* مع علماء النجف الأشرف، بيروت، دار الثقلين، ١٤٢٠هـ.
* مفاخر آذربايجان، عقيقی بخشايشی، تبريز، ١٣٧٨.

* مكارم الآثار، معلم حبيب آبادى، أصفهان، ١٣٦٤.

* المنتخب، فخر الدين الطريحي، النجف، ١٣٨١هـ.

* المنتقى النفيس من درر القواميس، محمد رضا الجلالي، صادر في مجلة تراثنا، السنة السادسة، (١٤١١هـ) العدد الثالث.

* موسوعة الإمام الحسين عليه السلام، مؤلفان، چاپ سازمان پژوهش وبرنامه ريزى آموزشى، تهران، ١٣٧٨.

* الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، إسماعيل أنصارى، قم، ١٤٢٨.

* موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، بيروت، ١٤٢٧.

* موسوع مؤلفي الإمامية، قم، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٨.

* مولفين كتب چاپى، خانبابا مشار، تهران، بى تا، (حوالى ١٣٥٠ش).

* نخبة التواريخ في مواد التاريخ، إسماعيل مستوفى تفرشى «دبير»، نسخه مجلس، شماره ٨٩٩٨، ص١٢٠، إطار٣٦.

المحتويات

كلمة المركز ٧

مدخل البحث ٩

سيرة الملا آقا الدربندي ١٣

غوبينو ومعلومات جديدة عن حياة الملا آقا الدربندي في طهران ١٦

سيرة الملا آقا الدربندي في مصادر أخرى ٢١

دبير التفرشي والملا آقا الدربندي ٢٦

عبد الله المستوفي والملا آقا ٢٧

في مؤلفات ملا آقا الدربندي ٣٨

تلاميذ ملا آقا الدربندي ٤١

الفاضل الدربندي في مؤلفاته ٤٣

أ- التعرّف على رجال الحكم العثماني ٤٣

ب- الملا آقا من العلوم الدينية التقليدية إلى تدوين المقتل ٤٥

ت- هجوم فرقة الشيخية على الدربندي ليلة السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٥٨هـ ٤٨

هجوم نجيب باشا على كربلاء ورواية ملا آقا الدربندي للواقعة ٥١

نص رواية الملا آقا حول هجوم نجيب باشا على كربلاء إلى السفير الروسي ٥٤

الملا آقا الدربندي وناصر الدين شاه ٥٩
تدوين أدبيات عاشوراء في العصر القاجاري ودور ملا آقا الدربندي ٦٥
ملا آقا والدخول إلى ميدان المؤلفات العاشورائية ٧٠
ملا آقا يوصي بعدم سرقة آرائه العلمية في كتبه ٧٥
رؤية الملا آقا ورأيه بعاشوراء ٧٧
نشر الإسلام هو الغاية من مراسيم العزاء للإمام الحسين (عليه السلام) ٨٤
الفاضل الدربندي تحت ظلال الحكايات ٨٦
زعفر الجني يحضر عند تلميذ في الحجرة للدفاع عن نفسه ٩١
حكايات أخرى ٩٢
منهج الملا آقا في الاستناد..... ٩٤
الاستنباط من بحر الأنساب ٩٧
الإستناد إلى كتاب ابن عصفور البحراني والاستعانة به ١٠٠
أولوية الملا آقا في الاستعانة بمنتخب الطريحي والكتب المشابهة له ١٠٤
الملا آقا وترجيح المصادر القصصية على التاريخية ١٠٥
الاستناد إلى الأحلام ١١٠
الاستعانة بالإلهامات ١١٢
الملا آقا والأبحاث الكلامية في عاشوراء..... ١١٤
منازل خاصة للسيدة زينب والعباس وعليّ الأكبر ١١٧

الكشف والشهود قرين الاستدلالات الكلامية ١٢٠
اختيارية حركة الأفلاك وشوقيتها وتفكيك المعضلات الكلامية ١٢١
المسائل الفقهية وعاشوراء ١٢٦
غرائب مدونات الملا آقا ١٢٨
أعداد القتلى في كربلاء وصيرورة يوم عاشوراء اثنتين وسبعين ساعة: ١٢٨
انتقادات لأسرار الشهادات ١٣٢
الملا آقا يرى مخالفيه جهالًا وعوامًا ١٣٩
تغلغل مؤلفات الملا آقا في المجتمع المتدين بإيران ١٤٤
التصوير القصصي في مؤلفات الدربندي ١٤٧
ربط بعض الأخبار بمصاديق تاريخية معاصرة ١٤٧
التصوير القصصي ١٤٩
عبارات أدبية-عاطفية عن عاشوراء ١٥١
وثيقتان عن إصابة الملا آقا الدربندي على أيدي البابية ١٥٣
السند الأول (تصدقت شوم) ١٥٤
السند الثاني (تصدقت شوم) ١٥٥
فهرس المصادر ١٥٧

صدر عن المركز

- موسوعة كربلاء الحضارية

- سلسلة إصدارات كربلاء

١. دليل كربلاء السياحي المصور.

٢. دليل كربلاء الآثاري (كربلاء المقدسة).

٣. مدينة كربلاء (الدليل التعريفي).

٤. الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء.

٥. الدرة البهية في فضل كربلاء وتربتها الزكية .

٦. بغية النبلاء في تاريخ كربلاء.

٧. تاريخ كربلاء المعلى.

٨. البيوتات الأدبية في كربلاء.

٩. الأبنية الحضارية في كربلاء حتى نهاية ٦٥٦هـ.

١٠. ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير.

١١. مدينة الحسين عليه السلام -مختصر تاريخ كربلاء-

١٢. دليل كربلاء قراءة في الجغرافيا التاريخية لمدينة كربلاء.

١٣. كربلاء والحركة الوطنية في القرن العشرين .

١٤. الزعماء الذين زاروا كربلاء.

١٥. نفحات شعر.

١٦. تسخير كربلاء -في واقعة الوالي محمد نجيب في عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م-.

١٧. شعراء كربلاء .

١٨. موقف نواب لواء كربلاء-في المجلس النيابي العراقي في العهد الملكي (١٩٢٥ - ١٩٥٨)

١٩. الوطنية في شعر كربلاء.

٢٠. كربلاء - تاريخاً وتراثاً.

٢١. نخبة من ادباء كربلاء.

٢٢. مخطوطات كربلاء المقدسة.

٢٣. مشهد الحسين عليه السلام وبيوتات كربلاء.

٢٤. مدينة الحسين عليه السلام.

٢٥. ديوان ابي الحب الصغير -الشاعر العراقي الكبير العلامة محسن أبو الحَب خطيب كربلاء -
٢٦. محطات كربلائية في مجلة العرفان اللبنانية .
٢٧. قصائد شهيدة .
٢٨. صور و دراسات أدبية في شعر و ادباء كربلاء .
٢٩. تاريخ الاسر العلمية في كربلاء (ال القزوين).
٣٠. رجال ثاروا لدم الحسين عليه السلام .
٣١. صحافة كربلاء .
٣٢. تاريخ القضاء في كربلاء(١٥٣٤ - ٢٠٢٢م).
٣٣. سوق التجار الكبير- شاهد الاف عام -.
٣٤. كربلاء المقدسة في وثائق الثورة العراقية (١٩٢٠).
٣٥. نثر الدر في تاريخ قضاء الحر .
٣٦. كربلاء في المصادر العربية والمعربة.
٣٧. كربلاء و الهجوم الوهابية بالمراجع العربية والأجنبية .
٣٨. التعليم في كربلاء (١٩٩١- ٢٠٢٠م) -دراسة تاريخية وثائقية-.
٣٩. الاعمال الشعرية الكاملة - جواد صالح آل طعمة .
٤٠. ايقونه كربلاء وشيخ مؤرخيها سلمان هادي آل طعمة
٤١. المراحل التأرخية لتخطيط مدينة كربلاء
٤٢. احسائيون في كربلاء.
٤٣. المخيم الحسيني (مواقد نيران ودموع غمام)
٤٤. الاعلام في كربلاء(دراسة تاريخية توثيقية)

- موسوعة اليوميات الكربلائية

١. كربلاء في عام ١٤٤١هـ .
٢. كربلاء في عام ١٤٤٢هـ .
٣. كربلاء في عام ١٤٤٣هـ .

- سلسلة الإصدارات العلمية

١. اهل البيت عليهم السلام في نهج البلاغة -قراءة تأويلية-.
٢. فكر ائمة اهل البيت عليهم السلام -في حل الإشكالات التفسيرية للنص القرآني-.
٣. العراق كما رسمة المطراقي زادة -سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م-.
٤. دور ال عقيل عليه السلام في واقعة الطف.

٥. الصفوة للأمام زيد بن علي عليه السلام.
٦. ازاحة الوسوسة عن تقبيل العتبات المقدسة.
٧. ثورة الامام الحسين عليه السلام دراسة في التكوين والجذور.
٨. الفكر الحديث في السياسات الاقتصادية.
٩. المدخل في إدارة المؤسسات المالية.
١٠. دلالة الالفاظ في القران العظيم-بين الحداثة و التراث-.
١١. المواهب -معجم الالفاظ القرآني-مستخلص من تفسير موهب الرحمن للأمام السبزواري.
١٢. السياحة حركة حضارية في الشريعة الإسلامية.
١٣. اساتيذ الحوزة العلمية العليا في النجف الاشرف.
١٤. نظرية الهيمنة في القران الكريم -دراسة تحليلية-.
١٥. المرجعية الدينية العليا مسيرة الف عام.
١٦. القافلة الالهية -قراءة متسلسلة في الفكر الأخلاقي و العرفاني للامام السبزواري-.
١٧. السيرة النبوية في الدراسات الاستشراقية.
١٨. الامام الحسين عليه السلام في الدراسات الاستشراقية.
١٩. المقام المقدس للأمام الحسين عليه السلام.
٢٠. سلمان والمدائن في التراث والمصادر التاريخية.
٢١. خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد في الشام.
٢٢. معالم وشخوص طريق الامام الحسين عليه السلام الى طف كربلاء.
٢٣. الأثر الاقتصادي في الحياة السياسية للدولة العربية الاسلامية .
٢٤. تهذيب جامع السعادات.
٢٥. موسوعة وضوء النبي صلى الله عليه وآله للسيد علي الشهرستاني (عرض جديد) .
٢٦. مناظرة في اراء فلهاوزن المستنبطة من واقعة طف كربلاء .
٢٧. ادباء كربلاء المعاصرون .
٢٨. وقعة صفين -دراسة تحليلية- نصوص الرسائل المتبادلة في وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري.
٢٩. خصوصية الثورة الحسينية -بين اعدائهم وبعض الحركات الإصلاحية العالمية (دراسة مقارنة).
٣٠. رسائل براقية في القضية الحسينية واهل بيت النبوة والذرية .
٣١. الامام الحسين عليه السلام في الضمير الإنساني و الوجداني .
٣٢. لباب مواهب الرحمن (للأمام السبزواري).
٣٣. قصر مقاتل -إختلاف الآراء وحقيقة الموقع في ضوء المصادر التاريخية ونتائج الدراسة الميدانية.
٣٤. الشبك (اصولهم - عقائدهم - مناطقهم - محنتهم).

٣٥. حي على خير العمل الحقيقة المغيبة (دراسة مستخلصة من موسوعة الاذان بين الاصالة والتحريف)

٣٦. موسوعة الاذان بين الاصالة و التحريف -للسيد علي الشهرستاني - عرض جديد.

٣٧. اشهد ان عليا ولي الله -شرعة لا بدعة- .

٣٨. قراءات تأويلية في تراث الإمام الحسين الفكري

٣٩. أيباء المتقين للماء لعادي الحرب وهو سلاح الموت فيها عند للضالمين

٤٠. الحوزة العلمية في النجف الاشرف (ادوار البحث الفقهي /الاصولي من منتصف القرن الخامس ال القرن الثاني عشر الهجريين).

٤١. الحوزة العلمية في النجف الاشرف (ادوار البحث الفقهي /الاصولي من القرن الثالث عشر ال القرن الخامس عشر الهجريين).

٤٢. مفهوم امية النبي بين خبث الدوافع وأوهام الدارسين- دراسة مستخلصة من أبحاث العلامة المحقق السيد الشهرستاني.

٤٣. اصحاب الإمام الحسين عليه السلام بين الحقيقة والتشكيك - جدلية العدد-

٤٤. المنبر الحسيني (واقعه وتطلعاته)

٤٥. قدسية عهد البيعة في صور أسلامية.

٤٦. الوهج الوضاء لسيد الشهداء عليه السلام.

٤٧. الزواج مع اختلاف الاديان بين الشرائع السماوية والقوانين الوضعية .

٤٨. كتب الدعاء والزيارة عند رجال الإمامية الاثني عشرية

- سلسلة اللغات

٤٩. مقتل الإمام الحسين عليه السلام(ترجم إلى اللغة الانكليزية).

٥٠. ثورة الإمام الحسين عليه السلام في الوجدان الشيعي(ترجم إلى اللغة الانكليزية).

٥١. النفس المهمومة (ترجم إلى اللغة الانكليزية).

٥٢. انتصار الحق (زينب بت علي عليها السلام) (ترجم إلى اللغة الانكليزية).

٥٣. ثورة الامام الحسين عليه السلام(مترجم الى اللغة اليابانية).

- سلسلة دراسات المركز

١. خصائص البنية السكانية لمحافظة كربلاء المقدسة.

٢. الاخيضر(دراسة في التاريخ و العمران).

٣. إحصائيات زيارة النصف من شعبان لعام ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

-سلسلة الرسائل و الاطاريح

١. مسير الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء.
٢. التنمية البشرية في القران الكريم.
٣. الاقتصاد الإسلامي و الفقر.
٤. حركة الشعر في ثورة التوابين و امارة المختار الثقفي.
٥. العناصر الزخرفية (المنفذة على قراميد بين العتبة الحسينية و جامع السليماني في تركية).
٦. معيارية اكتساب العلم (لدى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وتصنيف الأهداف التعليمية الأمريكية).
٧. السلم والحرب في القران الكريم.
٨. السيد نصر الله الحائري.

- سلسلة علماء الشيعة

١. الشيخ المفيد (دراسة في السيرة و العقيدة).
٢. الشيخ النجاشي(دراسة في السيرة و العقيدة).
٣. الشيخ الطوسي (دراسة في السيرة و العقيدة).
٤. الشيخ الصدوق (دراسة في السيرة والعقيدة).
٥. السيد الشريف المرتضى (دراسة في السيرة والعقيدة).
٦. مستدرك الذريعة.
٧. الى مستدرك الذريعة.
٨. درة الصدف (فيمن تلمذ علماء اصفهان و النجف).
٩. المفصل في تراجم الاعلام.
١٠. الحائريون (ترجمة من تلمذة علماء أصفهان بالحائر).
١١. البالغون الفتح في كربلاء (دراسة تحليلية).

- سلسلة خطب الجمعة

١. العقيدة المهدوية.
٢. عاشوراء الامام الحسين عليه السلام.
٣. دروس وعبر من حياة سيد البشر صلى الله عليه وآله.
٤. الولاء للأمير المؤمنين عليه السلام بين النظرية والتطبيق.
٥. قبسات من حياة الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام.
٦. لمحات من سيرة الامام الحسن عليه السلام.

٧. الدروس المستفادة من نهضة الامام الحسين عليه السلام الوقادة.
٨. الجهاد الفكري للأمام زين العابدين عليه السلام بعد واقعة الطف.
٩. معالم الحركة الإصلاحية في سيرة الامام الباقر عليه السلام.
١٠. من اثار الامام الصادق عليه السلام في الحفاظ على حقيقة الإسلام.
١١. الامام الكاظم عليه السلام علم و عمل و جهاد .
١٢. الامام الرضا عليه السلام شذرات ملتقطة من سيرته العطرة.
١٣. الامام الجواد عليه السلام امامة مبكرة ودور تربو.
١٤. الامام الهادي عليه السلام أضواء على سيرته و اثارة في الحفاظ على المجتمع الشيعي الامامي .
١٥. الامام العسكري عليه السلام صورة شخصية وادواره الفكرية والعقدية و السياسية.
١٦. اضاءة الفكر قضية الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه .

- خطب الجمعة السياسية

١. المنبر و الدولة / خطب الجمعة السياسية/ ٢٠٠٤م.
٢. المنبر و الدولة / خطب الجمعة السياسية/ ٢٠٠٥م.

- خطب الجمعة التربوية

١. قانون الابتلاء الإلهي.
٢. رسلة الإسلام الحقوقية الخالدة .
٣. المنهاج التربوي السليم في بناء انسان مستقيم.
٤. الوصية العلوية في القضايا الدينية و الأخلاقية والاجتماعية .
٥. ادب الله وهو شرح رسالة الامام الصادق عليه السلام.
٦. سمات التشيع الصادق في فكر الامام الصادق عليه السلام.
٧. صفات المتقين وهو شرح خطبة خطبة امير المؤمنين عليه السلام.

-موسوعة خطب الجمعة السياسية

١. الجزء الأول لسنة ٢٠٠٤م
٢. الجزء الثاني لسنة ٢٠٠٥م

- موسوعة الوحيد البهبهاني

١. استاذ الكل الوحيد البهبهاني.
٢. الوحيد البهبهاني في كتب التراجم.
٣. اعلام اسرة الوحيد البهبهاني.

٤. تلامذة الوحيد البهبهاني.
٥. دائرة المعارف الوحيد جمع وترتيب.
٦. الوحيد البهبهاني واراؤه الأصولية.
٧. مصادر استنباط الأصوليين والإخباريين.
٨. الوحيد البهبهاني وأراؤه الأصولية دراسة تحليلية.
٩. منتهى المرام في صلاة القصر و الأتمام.
١٠. الوحيد البهبهاني محدثا.
١١. مجموعة المقالات في تراجم البيلوجغرافة.
١٢. مجموعة المقالات في حديث الرجال.
١٣. مجموعة الرسائل والمقالات الكلامية.
١٤. مجموعة المقالات الأصولية.
١٥. مجموعة المقالات الفقهية.
١٦. الوحيد البهبهاني رجل العقل.

- موسوعة زيارة الأربعين

١. الزيارة الاربعينية المباركة (دلالات وافاق).
٢. السير على الاقدام الى كربلاء الحسين عليه السلام (اهدافه - مشروعيته - آدابه)
٣. القص في مسير السبايا يوم الأربعين (مقاربة بنيوية سيميائية).
٤. دراسات وبحوث في زيارة الاربعين.
٥. دراسة مقارنة (لبعض متغيرات الجهاز الدوري التنفسي لزيارة الأربعين سيراً وفقاً للجنس والعمر والمسافة).
٦. حرم الرسول الله صلى الله عليه وآله (من كربلاء الى بلاد الشام) دراسة تاريخية جغرافية علمية.
٧. حرم رسول الله صلى الله عليه وآله (من الشام الى كربلاء) دراسة تاريخية جغرافية علمية.
٨. تقويم خدمات زيارة الأربعين المباركة ٢٠١٧م.
٩. النشرة الإحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام المباركة ٢٠١٧م.
١٠. النشرة الإحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام المباركة ٢٠١٨م.
١١. النشرة الإحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام المباركة ٢٠١٩م.
١٢. النشرة الإحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام المباركة ٢٠٢٠م.
١٣. النشرة الإحصائية السنوية لزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام المباركة ٢٠٢١م.

- موسوعة الدكتور عبد الله الفياض

١. تاريخ الامامة و اسلافهم من الشيعة .
٢. تاريخ التربية عند الامامة و اسلافهم من الشيعة بين عهد الصادق ع و الطوسي .
٣. الحركة الفدائية في الإسلام -قديما و حديثا .
٤. الاجازات العلمية عند المسلمين.
٥. محاضرات في تاريخ صدر الإسلام و الدولة الاموية .
٦. تاريخ البرامكة .
٧. الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م.
٨. التاريخ فكرة و منهجاً.

- وقائع مؤتمر الحشد الشعبي / الجهاد الكفائي ضمان لمستقبل و وحدة العراق

- المجلات

١. مجلة الشباب
٢. مجلة السبط

للعلومات الاتصال بالرقم
07719291909

الأخراج والطباعة
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث
Karbala Center for Studies and Research
karbala.center1@gmail.com
+ 964 771 949 1210